

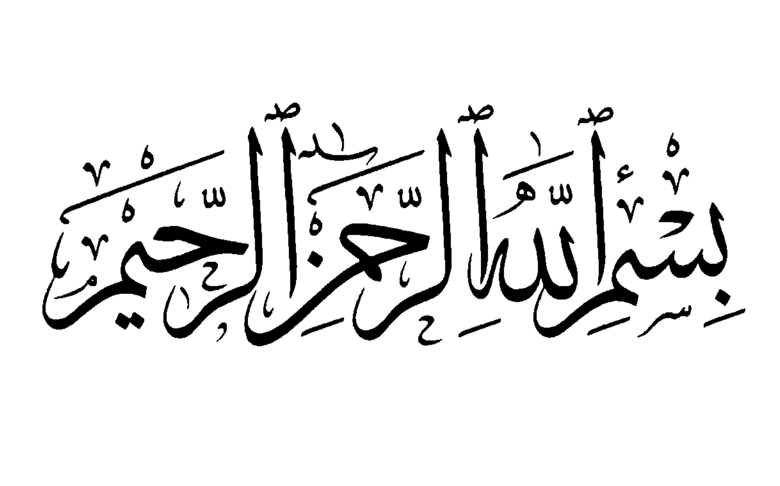
الغلو

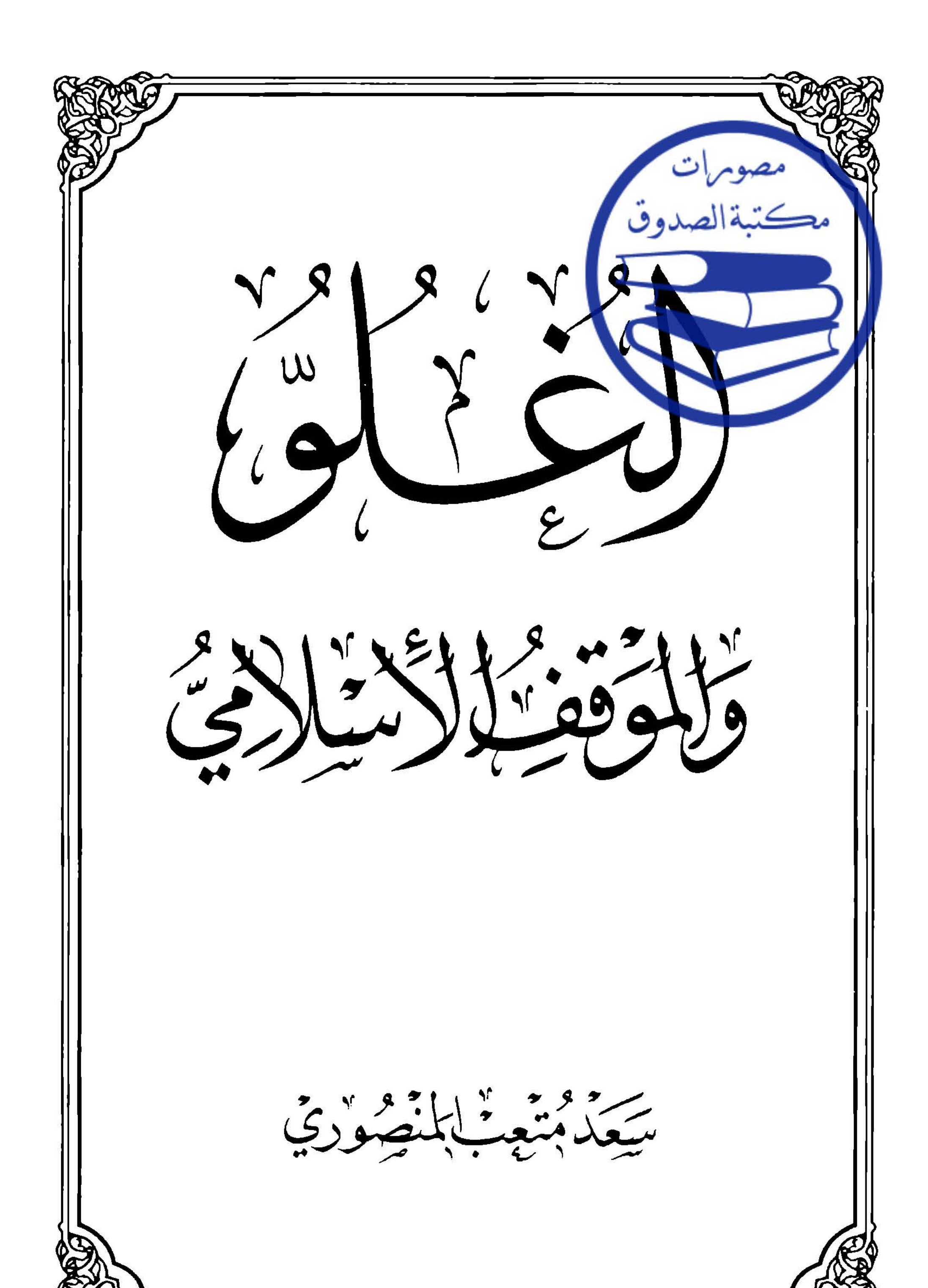
والموقف الإسلامي



سعد متعب المنصوري




بسم الله الرحمن الرحيم



الغلو

والموقف الإسلامي

سعد متعب المنصوري

منصوري، سعد متعب

الغلو والموقف الاسلامي / سعد متعب المنصوري. - قم: المجمع العالمي لاهل البيت(ع)، ١٤٢٦ق. = ١٣٨٤.

٢٧٣ ص.

ISBN 964-529-053-8

فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.

عربى.

كتابنامه: ص. [٢٥٧] - ٢٦٤؛ همچنين به صورت زيرنويس.

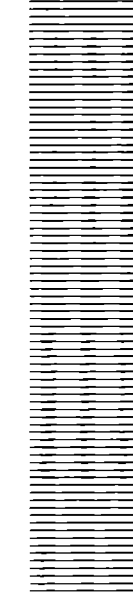
١. غلاة شيعه. ٢. غلو. ٣. عبدالله بن سبا، - ٤٠ق. -- نقد و تفسير.

الف. مجمع جهانى اهل البيت(ع). ب. عنوان.

BP ٢٤١/م٨غ٨ ٢٩٧/٥٣٨

كتابخانه ملى ايران. ٣٧٤٦٧ - ٨٤م





اسم الكتاب: الغلو والموقف الإسلامي

المؤلف: سعد متعب المنصوري

الموضوع: كلام

الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة: الأولى

المطبعة: دار الإسراء للطباعة و النشر

الكمية: ٣٠٠٠

تاريخ النشر: ١٤٢٧ هـ

ISBN: 964-529-053-8

www.ahl-u l-bayt.org

E-mail: info@ahl-u l-bayt.org

أهل البيت عليهم السلام

في القرآن الكريم

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

سورة الأحزاب / آية : ٣٣

أهل البيت عليهم السلام
في السنة النبوية

إني تارك فيكم الثقلين
كتاب الله وعترتي أهل بيتي
ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً

« الصحاح والمسانيد »

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليهم السلام الذي اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبّر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّي النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأُمة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لخُطى أهل البيت عليهم السلام الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه ـ للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت عليهم السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كلّ عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في هذا المضمار فريدة في نوعها ؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم إلى العقل

والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام أن يقدم لطلّاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة من خلال مجموعة من البحوث والمؤلفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من المنتمين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، أو من الذين أنعم الله عليهم بالإلتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء الشيعة الأعلام من القدامى أيضاً لتكون هذه المؤلفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة للحق، لتنفتح على الحقائق التي تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، في عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ونتقدم بالشكر الجزيل لسماحة الشيخ سعد المنصوري لتأليفه هذا الكتاب ولكل الأُخوة الذين ساهموا في اخراجه.

وكلّنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدّمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربّنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

المعاونية الثقافية

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

ظاهرة الغلو والتطرف في العقيدة والسلوك، لها إمتداد في التاريخ الإنساني، ولها وجود وآثار سلبيّة، في الأديان السابقة.

والملاحظ: أنّ الإطراء والثناء والتشبه بالقوّة المطلقة، تتناغم مع طموحات الطبيعة الإنسانية غير المهذبة، والبعيدة عن الواقعية في معرفة القدرات الإنسانية، والتي تعيش خيال القدرة على فعل كلّ شيء، وحلم الربوبيّة.

وبالعكس من ذلك، موقف الرساليين كالأنبياء والأئمة وأتباعهم عليهم السلام من ظاهرة المغالات والتجاوز عن حدود الإنسانيّة، إذ إنّهم واجهوها بأشدّ أنواع المواجهة، وأوصدوا أمامها جميع الأبواب.

وأعلنوا عليها حرباً حتّى إذا كانت على أدنى مستوى كالمدح والثناء العادي، إذ قالوا: أُحثوا التراب في وجوه المداحين، لأنّ المدح يمكن أن يبالغ فيه ويصل إلى حدّ الغلو، فغلقوا هذا الباب المؤدّي إلى نتائج غير ممدوحة.

وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام يقول لذلك المتملق المادح: «**أنا أصغر ممّا تقول وأكبر ممّا في نفسك**».

إلاّ أنّ في المقابل كان بعض الطغاة يفرضون الغلو على مجتمعاتهم كعقيدة واجبة الإتّباع فيلزم المجتمع بها ويعاقب من يخرج عليها، بل يقتلون ويذبحون كل من يحتمل خروجه عن طاعتهم، حتّى إذا كان جنيناً لم يخرج إلى الدنيا، اعتماداً على خبر كاهن أو منجّم.

واتّخذت هذه الظاهرة مستويات متعدّدة أكثرها وضوحاً كما جاء في القرآن الكريم حاكياً عن نمرود بقوله: ﴿**إذْ قالَ إبراهيمُ ربّي الذي يُحيي ويُميتُ قالَ أنا أُحيي وأُميت**﴾[١].

والأُخرى قول فرعون: ﴿**يا أيُّها الملأ ما عَلِمْت لَكُم مِنْ إله غَيري**﴾[٢].

وقال لموسى عليه السلام: ﴿**لَئنِ اتّخذتَ إلهاً غيري لأجعلنَّكَ مِنَ المَسجونينَ**﴾[٣].

وكان لتشبيه الله بالبشر، وتأليه البشر حضوراً في الأديان التي خضعت للتحريف والتزوير كما هو الحال في اليهودية إذ قالوا كما يخبرنا الله تعالى: ﴿**وقالَتِ اليَهودُ عزيزٌ ابنُ الله**﴾[٤].

وقالت النصارى: ﴿**إنَّ الله ثالث ثلاثة**﴾[٥]، ﴿**وقالوا اتّخذَ اللهُ وَلَداً**﴾[٦] أكثر الأديان تعرضت لمثل هذه الطريقة من التحريف لأصل التوحيد الذي هو

(١) البقرة: ٢٥٨.

(٢) القصص: ٣٨.

(٣) الشعراء: ٢٩.

(٤) التوبة: ٣٠.

(٥) المائدة: ٧٣.

(٦) البقرة: ١١٦.

الأساس في الأديان الإلهيّة، ولكن عوامل التحريف لها مناشئها الخاصة بـها وجميعها خارج الإطار الديني وبعيدة عن التوجيهات الدينية وكلّها من دوافع إنسانية قاصرة أو مقصرة.

والإسلام الدين الخاتم للأديان السماويّة، اتخذ إجراءات إحترازيّة، لكنّه رغم جميع الإجراءات الإحترازيّة التـي اتـخذها للـحيلولة دون نـفوذ الغـلو، بقيت عالميّة الإسلام واستيعابه لجميع الأمم وقبوله كل الناس، وهم يختلفون من حيث النوايا والإخلاص والاستعداد والسابقة وهذا التـفاوت يـمكن أن يؤدّي إلى إنتقال التراث الفكري مع حـامليه ويـمكن أن يـتسلل أصـحاب الآراء الفاسدة مع آراءهم إلى داخل المجتمع الإسـلامي، ويـمكن أن يكـون لأصحاب المطامع والعقول القاصرة دور مهم في الانحراف العـقائدي، أو لا ينصهر الجيل المسلم الأوّل فكرياً وسلوكياً مع الإسلام ويبقى يتأثر بـما نشأ عليه، وعوامل أُخرى ذُكرت بالتفصيل، وهذا يرجع إلى الناس لا إلى الإسلام وقدرته على صيانة المجتمع من الانحراف وكان لبعض حكّام المسلمين دور في ذلك، وأبرز ظاهرة للغلو أو المساهمة في إيجاد الغلو هي التكبر والتجبر الذي عليه الحكّام، وطلب المديح والثناء من الشعراء والخطباء، فخلقوا ميداناً للسباق على تصوير الحاكم بما يرضيه ويفتح سرائره حتّى تتفتح معها بيوت أموال المسلمين، وكانت مفتوحة لمَن كان أكـثر تـملقاً وإطـراءاً وتـصويراً للأحلام وأماني الحاكم.

ولذلك عندما يسمع الخليفة الشاعر يقول:

مـا شـئت لا مـا شـاءت الأقـدار فــاحكم فأنت الواحـد القـهّار

لم يستنكر ذلك التعظيم، بل يمتلئ فخراً وتأخذه النشوة والعـظمة حـتّى

يتصوّر نفسه مصداقاً لقول الشاعر.

ولذلك لمّا تنفتح أساريره وتنفتح معها أقفال بيت المال ليخرج الشاعر وهو محمّل من أموال الفقراء يردد:

فأنتم خير مَن ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وكذلك أصحاب التقشف من المتظاهرين بالزهد وترك الدنيا وادّعاء التقوى والتشبّه بالرهبان والبوذيين وغيرهم من أصحاب الرياضات، الذين ادّعوا من العجائب والغرائب التي لا يصدقها عاقل ومن العقائد ما لا ينسجم مع التوحيد، أمثال الإتّحاد والحلول التي تمثل أُسس الغلو وكل ذلك قام باسم الدين والإيمان والزهد والتقوى. وهذه العوامل وغيرها أدّت إلى ظهور مفردات لا تعبر عن مذهب معين وإنّما تعبر عن مدعيها، ولذلك سُمّيت بأسمائهم وانقرضت بهلاكهم ولم يبق إلّا الاسم منها.

ولكن المؤسف أن ينسب المسلمون تلك الضلالات إلى أتباع أهل البيت عليهم السلام، ومذهب الشيعة الإمامية، الذي تميز بالعقيدة التوحيدية الخالصة البعيدة عن التشبيه والتجسيم والتفويض، وكل ما يؤدّي إلى الشرك ويتنافى مع التوحيد أوّلاً، وبصلابة الموقف من الغلو والغلاة ثانياً، والتاريخ يشهد لمواقفهم، وأفردنا فصلاً لمنهج أهل البيت عليهم السلام في مواجهة الغلو، وكذلك لعلماء الشيعة وسيتضح للقارئ شموليّة المواجهة التي لم تترك مجالاً للغلاة على جميع المستويات.

فاتّهام الشيعة والغفلة عن الغلاة تخفف من الضغط على الغلاة وتهيئ لهم فرصة تشديد الهجمة في تلك الظروف على الشيعة إشغالاً لهم عن المواجهة لأعداء الإسلام وتسخير االبعض الغلو ضد مذهب أهل البيت عليهم السلام، تضامناً مع

الغلاة وتحقيقاً لأهدافهم في الإنتقام من ذرية الرسول ﷺ الذي قال الله في حقهم: ﴿إنَّما يُريدُ الله لِيُذهِبَ عنكُمُ الرِجسَ أهلَ البيتِ ويُطهّرَكُم تَطهيراً﴾، وإبعاد المسلمين من تحقيق الأمر الإلهي بالمودّة لهم: ﴿قُلْ لا أسألكُم عليهِ أجراً إلاّ المَودَّةَ في القُربى﴾، وتفريق لوحدة المسلمين وحرمانهم من أهم مصادر المعرفة الدينيّة والتقوى والقيادة الإلهيّة.

ولذلك فإنّ الشيعة ظلموا مرّتين: واحدة من أعدائهم والأُخرى من إخوانهم المسلمين وأمضى تلك المظالم وأعمقها أيّاماً تلك التي تصدر من القريب:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   على النفس من وقع الحسام المهند

وسوف يتبيّن لقارئ الكريم أنّ الغلو لا ينتسب إلى مذهب معين وإن وجد في جميع المذاهب بأشكال مختلفة وهو لا ينتسب للإسلام وإنّما منشؤه الكفر والزندقة، والذين يدّعون الإسلام ويلتزمون الغلو هؤلاء ليس لهم نصيب من الإسلام، وقد كان ولا زال حكم جميع علماء الإسلام بكفرهم وخروجهم من الإسلام.

وفي هذا الكتاب سنبيّن موقف الإسلام من الغلاة إن شاء الله.

* * *

الفصل الأوّل

معنى الغلو

معنى الغلو لغة

الغلو: تجاوز الحد[1].

وقال ابن منظور:

الغلو: مجاوزة الحد، والخروج عن القصد[2].

وقال: الغلو: الإرتفاع، ومجاوزة القدر في كلّ شيء[3].

وقال ابن الأثير:

أصل الغلاء الإرتفاع، ومجاوزة القدر في كلّ شيء يقال: غاليت الشيء وبالشيء، وغلوت فيه أغلو، إذا جاوزت فيه الحد[4].

وفي مجمع البحرين:

الغالي: تصلّب وتشدّد حتّى تجاوز الحد والمقدار، وغاليت الشيء وبالشيء مثله[5].

وقال الراغب:

---

(١) مفردات الراغب: ٣٧٧.

(٢) لسان العرب: ج ٦ ص ٣٢٩.

(٣) المصدر السابق.

(٤) النهاية، لابن الأثير: ٣٨٢/٣.

(٥) مجمع البحرين، مادة غلا، ج ٢، ص ١٣٣٢.

الغلو تجاوز الحد، يقال ذلك إذاكان السعر غلاءٌ وإذاكان في القدر والمنزلة غلوٌّ(١).

«غلوّاً، وغلاءً: زاد وارتفع، جاوز الحدّ، فهو غال وغلي فلان في الأمر والدّين تشدّد فيه وتجاوز الحدّ وأفرط فهو غال»(٢).

معنى الغلو في الإصطلاح

الغلو: هو مجاوزة الحدّ المعقول والمفروض في العقائد الدينية والواجبات الشرعية(٣).

وعرّفه ابن تيمية قائلاً: الغلو في الدين بأن ينزل البشر منزلة الإله، ومثل تجويز الخروج على شريعة النبيّ ﷺ(٤).

وقال: الغلو: مجاوزة الحد، بأن يزاد في الشيء، في حمده، أو ذمّه، على ما يستحق ونحو ذلك(٥).

وقال الشهرستاني: وهم الذين غالوا في حقّ النبيّ ﷺ، وأخرجوهم من حدود الخليقة، المغيريّة، والخطابية، والنصيريّة من هذا الصنف.

ثمّ إنَّ لهم أصنافاً أُخرى قد أكل عليهم الدهر وشرب(٦).

وقال الآلوسي: الغلو مجاوزة الحد والإفراط المنهي عنه(٧).

---

(١) مفردات الراغب: ص٣٧٧.

(٢) المعجم الوسيط. مادة غلا: ص ٦٦٠.

(٣) مجمع البحرين: ج ٢، ص١٣٣٢.

(٤) زين العابدين الركابي في تقديمه لكتاب الغلو في الدين لعبد الرحمن اللويحق.

(٥) إقتضاء الصراط المستقيم: ج ١، ص ٢٨٩.

(٦) الملل والنحل: ج ١، ص ٧٤.

(٧) روح المعاني: ج ٣، ص ٥٩٣.

وجاء في دائرة المعارف:

أنّ الغلاة هم: الذين غلو في حق أئمتهم حتّى أخرجوهم من حدود الإنسانية ووصفوهم بأوصاف الإلهيّة[١].

وقال الشيخ المفيد رحمه الله: «... الغلاة: من المتظاهرين بالإسلام الذين نسبوا أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من ذريته عليهم السلام إلى الألوهية والنبوة ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا ما تجاوزا فيه الحد، وخرجوا عن القصد»[٢].

والغالي:

«من يقول في أهل البيت عليهم السلام مالا يقولون في أنفسهم ويدّعون فيهم النبوّة والأُلوهية»[٣].

الغلو في القرآن الكريم

ذكر الغلو بعبارات متعددة:

الأُولى: بلفظ الغلو

كما في قوله تعالى: ﴿**يا أهل الكِتابِ لا تَغلوا في دينكُم ولا تَقولوا على الله إلاّ الحقّ**﴾[٤].

وفيها نهي عن الغلو بجميع أنواعه وأشدّه تأليه البشر بحجج الحلول أو الاتّحاد.

وقال تعالى: ﴿**قُلْ يا أهلَ الكِتابِ لا تَغلو في دينكُم غير الحق ولا تَتَّبِعوا أهواء قَومٍ**

---

(١) دائرة المعارف، مادة غلا، محمّد فريد وجدي.

(٢) تصحيح الإعتقاد: ص ٢٣٨، ط. إيران.

(٣) مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٣٣٢.

(٤) النساء: ١٧١.

قَدْ ضَلّوا مِنْ قَبلُ وأضلّوا كثيراً وضلّوا عَنْ سَواءِ السبيلِ ﴾[١]، وهذه الآية بخصوص الغلو العقائدي ونظرية التثليث التي قال بها النصارى بدليل آخر: الآيـة ﴿ولا تقولوا ثلاثة ﴾، والآية التي بعدها: ﴿لَنْ يَستَنكِف المَسيح أنْ يَكونَ عَبداً لله ﴾.

الثانية: بقول الغلاة

يذكر القرآن الكريم الغلو بعقائد أصحابه وأقوالهم وقد فصل في ذلك: كما في قوله تعالى: ﴿لَقَد كَفَرَ الذينَ قالوا إنّ الله المسيحُ بنُ مريم ﴾، ﴿وقالت اليَهود عزيرٌ ابنُ اللهِ ﴾.

﴿... لَقَدْ كَفَرَ الذينَ قالوا إن الله ثالِث ثلاثة وما مِنْ إلهٍ إلاّ إلهٌ واحدٌ ﴾[٢].

وقال تعالى:

﴿قُلْ يا أهلَ الكِتابِ تَعالَوا إلى كَلِمَةٍ سَواء بَينَنا وبينكُم ألاّ نَعْبُدَ إلاّ الله ولا نُشرِكَ بِهِ شَيئاً ولا يَتّخِذَ بَعضُنا بَعضاً أرباباً مِنْ دونِ الله... ﴾[٣] وهذه دعوة لنبذ الشرك والغلو والإلتزام بالتوحيد الخالص، ومن الغلو ادّعاء تلقي الوحي والنبوّة كذباً، وقد ذكرهم القرآن بقوله تعالى:

﴿ومَنْ أظلَمُ مِمَّنِ افترى علىَ اللهِ كَذِباً أوْ قالَ أُوحيَ إليَّ ولَمْ يُوحَ إليهِ شيءٌ ومَنْ قالَ سأنزل مِثلَ ما أنْزَلَ الله ﴾[٤].

---

(١) المائدة : ٧٧.

(٢) المائدة : ٧٣.

(٣) آل عمران : ٦٤.

(٤) الأنعام : ٩٣.

الثالثة: التحليل والتحريم

وهو منح العلماء موقع التشريع على وفق أهواءهم وطاعتهم على ذلك، والغلو هنا: أنّ موقع التشريع مختص بالله تعالى والعلماء يبينون حكم الله والإعتقاد أنّ لهم ما لله من حق التشريع فهو غلو.

قال تعالى: ﴿**اتّخذوا أحبارَهُم ورهبانهم أرباباً مِنْ دونِ اللهِ**﴾[1].

قال عديّ بن حاتم الطائي: أتيت النبيّ ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: **يا عديّ إطرح هذا الوثن من عنقك.** فطرحته فانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة فقرأ هذه الآية: ﴿**اتّخذوا أحبارَهُم ورهبانهم أرباباً مِنْ دونِ اللهِ**﴾ حتّى فرغ منها فقلت: إنّا لسنا نعبدهم، فقال: **أليس يحرّمون ما أحلّ الله فتحرمونه، ويحلّون ما حرّم الله فتستحلونه؟** قلت: بلى، قال: **فتلك عبادتهم**[2] والأحبار: هم حملة كتاب موسى عليه السلام وقد انحرف أغلب هؤلاء وصاروا يأكلون أموال الناس بالباطل ويحرّمون ما أحلّ الله ويحلّون ما حرّم الله: ﴿**إنّ كثيراً مِنَ الأحبارِ والرُهبان لَيأكُلُونَ أموالَ النّاسِ بالباطِلِ**﴾[3].

الغلو في السنّة النبوية الشريفة

جاءت معاني الغلو في السنّة في المجالات التالية:

أوّلاً ـ عبادة البشر

قيل: إنّ أبا رافع القرظي والسيّد النجرانيّ قالا: يا محمّد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربّاً؟

---

(١) التوبة : ٣١.

(٢) المعجم الكبير للطبراني: ج ١٧، ص ٩٢.

(٣) التوبة : ٣٤.

فقال ﷺ: **«معاذ الله أن نعبد غير الله، وأن نأمر بغير عبادة الله، فما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني، صنفان من أُمّتي لا نصيب لهما في الإسلام: الغلاة والقدرية»**(١).

وقال رسول الله ﷺ مخاطباً الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: **«إنّ أُمّتي ستفرق فيك ثلاث فرق: فرقة شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة عدوّك وهم الشّاكّون، وفرقة تغلوا فيك وهم الجاحدون»**(٢).

وهي إشارة إلى الذين قالوا: إنّ علياً عليه السلام هو الله، أو الذين قالوا بنبوّته، أو غيرها من المقولات الباطلة.

ثانياً ـ الحبّ المفرط

يجب أن يكون الحبّ منضبطاً في خط الله وأن لا يتجاوز حدوده، فقد جاء عن أبي عبدالله عليه السلام: **«وأحبّوا أهل بيت نبيّكم حُبّاً مقتصداً ولا تغلوا»**(٣).

قال رسول الله ﷺ: **«يا عليّ مثلك في هذه الأمّة كمثل عيسى بن مريم أحبّه قوم فأفرطوا فيه، وأبغضه قوم فأفرطوا فيه»**(٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **«يهلك فيَّ اثنان: محبّ غال، ومبغض قال»**.

ثالثاً ـ تجاوز السنّة

جاء عن الرسول ﷺ بعض الروايات التي تؤكّد بأنّ الغلو لا ينحصر بعبادة البشر وإنّما يشمل مسائل التشدّد والتطرّف حتّى في العبادة، وإن ما

---

(١) الخصال: ج ١، ص ٣٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٦٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٦٩، عن قرب الأسناد، ص ٦١.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٨٤، عن فضائل العشرة لأبي السعادات والمبتدأ لأحمد بن حنبل.

جاوز السنّة فهو غلو، فقد حدّث الفضل بن العباس رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: «**هات فالتقط لي حصىً**»، فلقطت له حصيات مثل حصى الخذف فوضعهنّ في يده فقال: «**بأمثال هؤلاء، بأمثال هؤلاء، بأمثال هؤلاء، وإيّاكم والغلو فإنّما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»(١).

ومنع صلى الله عليه وآله من الإفراط والتفريط بقوله: «**إنّ الله فرض الفرائض فلا تضيّعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرّم أشياء فلاتقربوها، وترك أشياء عن غير نسيان فلا تبحثوا عنها**»(٢).

وجاء عن الرسول صلى الله عليه وآله: «**لا تغلوا في صداق النساء**»(٣).

وجاء في مسند أحمد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**إيّاكم والغلو في الدين، فإنّما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**»(٤).

موارد تطبيق الغلو

النصّ القرآني والأحاديث النبويّة أحد الوسائل الأساسية لمعرفة موارد الإستخدام للمفردات وتحديد هويتها في الثقافة الإسلامية، ولهما الكلمة الفاصلة في ذلك وتسليط الضوء الشرعي على الغموض في المفاهيم، يؤدّي إلى الوضوح والظهور والتشخّص، الذي لا يدع مجالاً للإبهام.

ولما كانت اللغة الآلة التي اعتمدها الخطاب القرآني والنبوي، فلا يمكن الوصول للمعنى من غير الإعتماد عليها، ولذا كانت تعاريف العلماء للغلو

---

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢، ص ١٨٠ ـ ١٨١.

(٢) جامع الأُصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله لابن الأثير: ج ٥، ص ٥٩، ح ٣٠٧٠.

(٣) مجمع البحرين: ج ٢، ص ١٣٣٢.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ج ١، ص ٢١٥، ٣٤٧.

عبارة عن صهر للمعاني الثلاثة مع بعضها وتعيين مصاديقها في الواقع الخارجي، والمعاني التي جاءت للغلو يتفق عليها الجميع، ولكن الإختلاف نشأ في التطبيقات، ولذلك تعرضت عقائد مذهب أهل البيت عليهم السلام لتهمة الغلو واُلصقت بها، مع كل الأدلّة القرآنية والنبوية التي يمتلكها الشيعة الإمامية على إثبات عقائدها، ومواقفها المتشدّدة ضدّ الغلو ودفاعها عن التوحيد، وهنا بغضّ النظر عن الآراء الشاذة في تطبيقات هذا المفهوم، فإنّ موارد تطبيق مفردة الغلو تكررت في مجالات متعددة يمكن تقسيمها إلى:

أوّلاً ـ الغلو العقائدي:

أ ـ تأليه البشر.

ب ـ عبادة البشر.

ج ـ ادّعاء النبوّة.

د ـ ادّعاء المغالي النبوّة لنفسه.

هـ ـ ادّعاءها للأئمة أو غيرهم.

و ـ القول بالحلول.

ز ـ القول بالتفويض.

ح ـ القول بالإتّحاد.

ط ـ القول بالتناسخ.

ثانياً ـ الغلو العاطفي:

تقديم المحبوب ورفعه إلى أكثر من استحقاقه.

أ ـ رفعه إلى مستوى الآلهة.

ب ـ القول بأنّه ابن الله.

ج ـ تقديمه على النبيّ ﷺ.

د ـ المبالغة في تعظيمهم كالركوع لهم.

ثالثاً ـ الغلو السلوكي:

والقصد منه التطرف في التطبيقات الشرعيّة إلى المستوى الذي يتجاوز به السنّة، كما همّ بعض الصحابة بالسياحة والرهبانية والإختصاء وترك النساء وترك الأكل في النهار، ويشمل هذا الغلو:

أ ـ الغلو في العبادة.

ب ـ الغلو في التعامل والعلاقات الإجتماعية.

ج ـ الغلو في المراسم الدينية.

رابعاً ـ الغلو العام:

وهو التطرف والتشدد في الولاء القومي والعشائري والحزبي والمهني وكل مجالات الحياة.

توضيح:

بناءً على ما تقدّم في تعريف الغلو إتّضح أنّه يشتمل على كل أنواع التطرف والتشدّد المتعلقة في العقيدة والفكر والتشريع، والمرتبطة بالحياة والواقع الخارجي والسلوكي للإنسان، وطبيعة الإرتباط وحجمه مع كل ما

يحيط بالإنسان، أو يحمل في ذهنه، إذ إنّ لكل إرتباط طبيعة خاصة وحدود معينة، فالتعامل ضمن الدائرة المسموحة يعتبر سلوك ورابطة صحيحة والخروج عن الدائرة تجاوز حدودها يُسمّى غلو.

الإنسان مأمور بالإحسان للوالدين وبرّهم وحدودها ما جاء في برّ الوالدين في حياتهم وبعد مماتهم، أمّا أن يتجاوز الدين ويرفع من مقامهم إلى مستوى الإمام أو النبيّ أو غيرها من المستويات البشرية العالية فهو غلو لتجاوز الحدّ فكل تجاوز للحدّ والقدر وكل ارتفاع بأمر أو شخص يُسمّى غلو.

الأشياء والناس والموجودات لها حدود مقدرة، وطبيعتها وتكوينها منحها قدرات محددة ويفرض عليها حركة ضمن حدود القدرة الموهوبة لها.

فنسبة أشياء وأفعال لها، أو إضافة قدرات أكبر من طبيعتها التكوينية يدخل ضمن دائرة الغلو.

يستثنى من هذا، المنح الإلهية للقدرات المحدودة، كما هو الحال في المعجزات التي تظهر على أيدي الأنبياء عليهم السلام، كإحياء الموتى وخلق الطير وجلب عرش بلقيس وتسخير الرياح والجبال وغيرها، فإنّ هذه القدرات الإضافية خاصة بالأنبياء عليهم السلام، وأولياء الله، وهي بإذنه تعالى، وهذا خارج من الغلو.

فالغلو يشمل كل تجاوز للحدّ في الإعتقاد والعبادة والحب والبغض والمدح والذم ولا يمكن أن تحدّه المذكورات بل يدخل في كل مجالات الحياة وعلى طول المسيرة الإنسانية، والصراع والنزاع والبحث في الغلو، كان يدور غالباً في القسم الأوّل من الغلو وهو خصوص الغلو العقائدي، إذ وقع محلاً للبحث والإختلاف، وأمّا الأنواع الأُخرى فلم يدور البحث فيها إلاّ نادراً

ولعلّ علّة ذلك ترجع إلى أهمّية وخطورة الغلو العقائدي لأنّ العقيدة هي الأساس في البناء الفكري والقاعدة الأساسية للإيمان، فالتوحيد والنبوّة كانا ضمن بحث الغلو بخلاف المعاد إذ لم يقع فيه الغلو لأنّه لا يُتصوّر فيه ولأنّه لا يمثل مقام أو ذات تنسب لآخر، وإنّما هو اعتقاد بأنّ الله تعالى: ﴿جامِعُ النّاسِ لِيَومٍ لا رَيبَ فيهِ إنَّ اللهَ لا يُخلِفُ الميعادَ ﴾[١].

فلهذا يكون البحث في القسم الأوّل وفي خصوص التوحيد والنبوّة والغلو فيهما.

---

(١) آل عمران : ٩.

الفصل الثّاني

الغلو في التاريخ الإنساني

الغلو في التاريخ

تعرضت الأجيال الإنسانية في عمق التاريخ إلى حالات مرضيّة فكـرية كثيرة، ومن هذه الأمراض الغلو بالموجودات التي يـعيش الإنسـان مـعها أو يراها يوميّاً، أو التي لها أثر مباشر أو غير مباشر على معاشه وحياته اليومية.

وهـذا انـحراف خـطير، يـؤدّي إلى تـعطيل القـوى الفكـرية، والسـماح لأصحاب الأطماع والشعبذة بالتلاعب بمقدرات الناس ومصائرهم وجـرهم إلى نهايات مأساوية، على المستوى الفكري والسلوكي.

وهذا الوباء لا تبتلى به جهة أو دين أو جماعة، وإنّما يمكن أن يصيب الأُمم المعتقدة بالأديان السماوية، والأديان والمبادئ الأرضية وكذلك التي لم تلتزم بدين سماوي أو أرضي.

وهذا الأمر لا نذكره مبرّراً للغلو باعتباره ظـاهرة إنسـانية، وإنّـما نـذكره باعتباره:

أوّلاً: ظاهرة سلبيّة وانحراف فكري خطير أدّى إلى استعباد أُمم وهلاكها، انتهى بها إلى أسوء مصير وعـقيدة، اسـتحقت عـليها إنـزال العـذاب الإلهـي والاستئصال من الوجود.

ثـانياً: تبيين الدوافع والمناشئ التي انطلقت منها مسائل الغلو، لأن بعضها

يمكن أن يتكرّر بأشكال أُخرى تتناسب مع الزمان والمكان الذي تنطلق فيه للوجود.

ثالثاً: كشف المسائل الوهميّة التي اعتمدتها الإنسانية في انحرافها عن النبوّات، وإظهار الحق والطريق السليم والمستقيم الذي لا يمكن الحصول عليه إلاّ في الرسالات الإلهيّة الصحيحة التي لم تمتد إليها يد التحريف والتزوير.

رابعاً: الفهم الخاطئ أو المُغرض والتفسير الباطني للنصوص السماوية في التوراة والإنجيل والقرآن وبقيّة الديانات والأحاديث الشريفة الصادرة عن صاحب الرسالة من فعلٍ وتقرير، كل ذلك وفقاً للأهواء الشخصية من قبل المتصدّين الرساليين كالأحبار والرهبان ووعاظ السلاطين والمتصوفة وخلفاء الجور، فجعل البشرية تتخبّط في فهمها للنصوص الإلهية وبالأخص في الفترة التي يفتقد الناس فيها المعصوم (النبيّ أو الوصيّ) المفسّر الحقيقي لتلك النصوص الربانيّة.

فالبشرية بأجمعها عبدت الله منذ هبوط آدم عليه السلام وإلى يومك هذا، فطرة الله التي فطر الناس عليها، إلاّ أنّ الفهم الخاطئ و...، هو الذي حرف الأُمم القديمة والحاليّة عن الجادة والصراط الرباني القويم، وما قاله المسعودي ونعمة الله صفري من أنّ أهل الصين عبدوا ملوكهم أو آباءهم أو الأرواح أوّل الأمر تعبير جزافي وخاطئ يؤدّي إلى الفهم الخاطئ للنصوص لدى الناس.

لأنّ الغلو يعشعش في العقول الضعيفة التي تتذوق حلاوة التوحيد ويقبله الجهلة الذين لم يدركوا حقائق الإسلام والعبودية وسوف نرَ تخبط الإنسانية بذكر الغلو في التاريخ الإنساني والذي سنتناول به الأديان القديمة التي قامت عليها دول واتبعتها أُمم.

١ ـ الصينيون القدماء

قال المسعودي: «إنّ أهل الصين عبدوا ملوكهم أوّل الأمر»[١].

وقال نعمة الله صفري: «كانوا في بادئ الأمر عبّاد أرواح وكانوا يعبدون أرواح أجدادهم وآبائهم وأُمّهاتهم وكانوا يعتقدون أنّ هذه الأرواح سوف تأتي لمساعدتهم في حياتهم»[٢].

وقال اليعقوبي: «إنّ أهل الصين كانوا يعبدون ملوكهم الذين كانوا على شكل صور وأصنام»[٣].

وجاء في تاريخ الآلهة كلام عن الجمع بين عباداتهم يقول «نظم لأو ـ تسو» لقومه: «نظاماً انحصر... في عبادة الآباء والأجداد والملوك وكافّة الأسلاف»[٤].

وقال المسعودي: «لمّا جاء الملك توتال شيّد لهم هيكلاً للعبادة وجعل فيه بيوتاً لمَن أراد أن ينفرد بالعبادة، فلمّا فرغ من البناء نصب أعلى الهيكل تماثيل أجداده السابقين وأمر بأن تُعظّم وتُعبد»[٥].

ثمّ رتّب لهم سياسة شرعية وفرائض عقلية وأحكام وقضاء... «كما أمر الملك بتقديم القرابين إلى الهياكل...»[٦].

---

(١) مروج الذهب: ج ١، ص ١٥١ ـ ١٥٢.

(٢) غاليان كاوشي در جريانها وبرآيندها: ص ٢٩.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ج ١، ص ١٤٧.

(٤) الدملوجي، فاروق، تاريخ الآلهة، الكتاب الثاني: ج ٢، ص ٤٦ ـ بغداد (١٩٥٤ م).

(٥) مروج الذهب: ج ١، ص ١٥٢.

(٦) المصدر السابق.

فلمّا مات ذلك الملك جزع عليه أهل مملكته... فجعلوه في تمثال من الذهب الأحمر ورصّعوه بأنواع الجواهر على أنواع الكواكب السبعة من النيرين والخمسة بألوانها وأشكالها وجعلوا يوم وفاته صلوات وعيد يجتمعون فيه عند ذلك الهيكل، وصوّروا صورته على أبواب المدينة»(١).

وجميع الصور المذكورة تشترك، بمسألة التعظيم المفرط بالآباء والأجدادوالملوك بالشكل الذي تطوّر إلى صناعة التماثيل وعبادتها، ثمّ تتوسّع هذه العقيدة حتّى تصبح دين وشريعة للمجتمع، فكانت نقطة الإنطلاق، المغالات بالآباء والشخصيات وضياع حدود التعظيم والحب.

٢ ـ المصريون القدماء

كانوا يُسمّون ملكهم بإله الشمس ثمّ سُمّي بابن الله وهي المرحلة الأُخرى في الغلو والتي كانت مقترنة مع بعثة موسى عليه السلام كانوا يُسمّون ملكهم الله، والقرآن الكريم يذكر ادّعاء فرعون بقوله: ﴿**يا أيُّها الملأ ما عَلِمْت لَكُم مِنْ إله غَيري**﴾(٢).

ويذكر «ف ـ پ ـ كورو فكين» إنّ مرحلة تأليه فرعون جاءت بعد مراحل بدأت من «بيوت تُسمّى بيوت الآلهة فيها آلهة وهميّة «أصنام» وشيّد أصحاب الأموال والعبيد معابد من الحجر بيوتاً للآلهة وكان في كل معبد أفراد يتكفّلون خدمة الآلهة، وتقديم الغذاء لهم وخدمتهم وبناءً على هذا

(١) مروج الذهب: ج ١، ص ١٥٣.
(٢) القصص : ٣٨.

فهم أقرب الناس إلى الآلهة، وهم ينقلون أوامر الآلهة إلى الناس وحاجات الناس إلى الآلهة.

ولأجل كسب اللطف والرحمة من الآلهة، كانوا يقدمون القرابين، والفلاحون يقدمون أكياس محصولاتهم الزراعية، وأصحاب الصناعات يقدمون الأواني والأقمشة، ويقدم أصحاب الأموال الحيوانات والذهب والفضّة إلى الآلهة، وكان الفراعنة يهدون الأراضي وقسم من غنائم الحروب.

وجميع هذه الهدايا تكون من نصيب الكهنة، ولذلك تحوّل الكهنة إلى أصحاب رؤوس أموال ضخمة وقدرة اقتصادية عظيمة.

لكنّهم كانوا يخافون من نهاية هذه العقيدة وانقطاع مصدر الغنى، فكانوا يبذلون جهودهم من أجل تثبيت قواعد حكومة فرعون ودعمها.

فاستغلّ الكهنة شعور الخوف عند المجتمع من الآلهة، فكانوا يقولون: «إنّ الإله اللطيف الرحيم هو فرعون وتجب طاعته والتسليم له، وكل من لم يطع فرعون فهو عاصي للآلهة»(١).

فمصلحة ومنافع وأطماع الكهنة هي التي حرّكت عقولهم باتجاه تأليه البشر، لأنّ أمر الآلهة الوهميّة لا يمكن أن تدوم مدّة طويلة مخفيّة في البيوت المخصوصة لها.

وفي التاريخ القديم كان للكهنة دور مهم في ترويض الشعوب، وخدمة الحكّام، وخلق الأساطير والآلهة لإخضاع الشعوب، والانتفاع من القرابين والهدايا التي تقدم إلى الآلهة.

ويذكر اليعقوبي خداع الكهنة للعوام بعد ذكره عبادة الكواكب عند

---

(١) تاريخ دنياي قديم، ف ـ پ ـ كورو فكين: ص ٩٥، عن الترجمة الفارسية، م ـ بيد سرخي.

المصريين يقول: «وكان من قولهم: إنّ الأرواح قديمة كانت في الفردوس الأعلى... وكانت عندهم من هذه الأرواح آلهة تتنزل، فتصير إلى الأصنام فتتكلّم الأصنام لذلك».

وكانوا يخدعون عوامّهم بذلك، ويسترون العلّة التي بها كانت تتكلّم أصنامهم، وهي بصنعة كان كهانهم يصنعونها، وعقاقير يستعملونها، وحيل يحتالونها حتّى تصفر وتصبح، بصنعة يحكون بها من خلقة الصنم كخلقة الطير، أو البهيمة.

فيكون صوت ذلك الصنم مثل صوت جنسه من الحيوان، ثمّ يترجم كهانهم ذلك الصوت من الصنم على ما يريدون القضاء به، ممّا قد اتفقوا به من حساب النجوم وعلم الفراسة.

ويخبرون أنّ الأرواح إذا خرجت، صارت إلى هذه الآلهة، والتي هي الكواكب فتغسلها، وتطهّرها إن كانت لها ذنوب، ثمّ تصعد بها إلى الفردوس الأعلى حيث كانت(١).

٣ ـ الأمم المعاصرة لنوح وإبراهيم عليهما السلام

كان لعبادة الكواكب رواجاً، وكانت لحكمائهم آنذاك تبريرات لهذه العبادة، فبعضهم يبني هذه العقيدة «على ربط الكون والفساد وحوادث العالم الأرضي إلى الأجرام العلويّة كالشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل، وإنّها بما لها من الروحانيات المتعلقة بها، هي المدير للنظام المشهود، ويدير كل منها ما يتعلق به من الحوادث على ما يصفه في

(١) تاريخ اليعقوبي: ١/١٨٨.

أحكام النجوم ويتكرر بتكرر دورانها الأدوار والأكوار، من غير أن تقف أو تنتهي إلى أمر، فهي وسائل بين الله سبحانه وبين هذا العالم المشهود يتقرّب العبد إلى الله بعبادتها»(١).

وذكر المسعودي مبرراتهم التي دعتهم لعبادة الكواكب بقوله: «الأفلاك والكواكب أقرب الأجسام المرئية إلى الله تعالى، وإنّها حيّة ناطقة، وأنّ الملائكة تختلف فيما بينها وبين الله، وأنّ كل ما يحدث في هذا العالم فإنّما هو على قدر ما تجري به الكواكب عن أمر الله فعظموها وقرّبوا لها القرابين لتنفعهم فمكثوا على ذلك دهراً، فلمّا رأوا الكواكب تختفي بالنهار وفي بعض أوقات الليل... أمرهم بعض من كان فيهم من حكمائهم أن يجعلو لها أصناماً وتماثيل على صورها وأشكالها، فجعلوا لها أصناماً وتماثيل بعدد الكواكب الكبار المشهورة، وكل صنف يعظّم كوكب منها، ويقرّب لها نوعاً من القربان خلاف ما للآخر، على أنّهم إذا عظّموا ما صوروا من الأصنام تحرّكت لهم الأجسام العلويّة بكل ما يريدون، وبنوا لكل صنمٍ بيتاً وهيكلاً مفرداً، وسموا تلك الهياكل بأسماء تلك الكواكب»(٢).

وجعلوا الكواكب علّة لجميع الحوادث والتغييرات في الوجود بقولهم:

«إنّ معالي الشرف الكامل، والصلاح الشامل، ومعدن الحياة، في هذا السقف المرفوع، وأنّ الكواكب هي المدبرات والواردات والصادرات، وهي التي بمرورها في أفلاكها، وقطعها مسافاتها، وإتصالها بنقطة وإنفصالها عن نقطة، يتم ما يكون في العالم من الآثار، من إمتداد الأعمار وقصرها، وترك

---

(١) غاليان كاوشي در جريانها وبرآيندها، نعمة الله صفري فروشاني: ص ٢٩.

(٢) مروج الذهب: ج ٢، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

البسائط، وإنبساط المركّبات، وتتميم الصور، وظهور المياه وغيضها، وفي النجوم السيارة وفي أفلاكها التدبير الأكبر»(١).

وكان لهذه العقيدة آثار في مجتمع الجزيرة حتّى في بداية الدعوة الإسلامية، فقد جاء في السيرة: أنّه لما أصاب المسلمين مطر في الحديبية، نادى رسول الله ﷺ مناديه أن ينادي: «**ألا صلّوا في رحالكم**»، وقال صبيحة ليلة الحديبية لمّا صلّى بهم: «**أتدرون ما قال ربّكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم.**

قال ﷺ: قال الله عزّوجلّ: «صبّح بي من عبادي مؤمن بي وكافر، فأمّا من قال: مُطرنا برحمة الله وفضله، فهو مؤمن بالله وكافر بالكواكب، ومن قال: مُطرنا بنجم كذا وفي رواية بنوء كذا وكذا فهو مؤمن بالكواكب وكافر بي»(٢).

٤ ـ الهند القديمة

لقد كانت ظاهرة الغلو بالأشياء والأرواح رائجة في الهند منذ القدم فقد ذكر صاحب قصّة الحضارة: أنّ أديانهم وهي: «ديانة الفيدا» عبارة عن عبادة روحانية طوطميّة لأرواح كثيرة تسكن الصخور والحيوانات والأشجار ومجاري الماء والجبال والنجوم، وكانت الشعابين والأفاعي مقدسات ـ إذ كانت آلهة تعبد ومُثُلاً عُليا تُنشد في قواها الجنسيّة العارمة(٣).

«وهناك من آلهة الهنود الأوليين ما هبط مع الزمان إلى هنود العصور التاريخية، مثل «ناجا» الإله الأفعوان، و«هاتومان» الإله الفرد، و«ناندس»

---

(١) مروج الذهب: ج ١، ص ٢٤٦.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٣، ص ٢٩.

(٣) قصة الحضارة، وي وايل ديورانت، المجلد الثاني: ج ٣، ص ٣٠ ـ دار الفكر.

الثور المقدس، و«اليا كشا» أو الآلهة من الأشجار»[١].

وذكرت أسفار الفيدا أنّهم كانوا يؤلهون قوى الطبيعة وعناصرها: السماء والشمس والأرض والنار والضوء والماء والجنس وكان من أقوالهم أنّ: «جعلوا السماء أباً، وأسموها «فارونا»، وجعلوا الأرض أُمّاً، وأطلقوا عليها اسم «يريثيفي» وكان النبات هو ثمرة لقائهما بواساطة المطر، وكان المطر هو الإله «بارجانيا» والنار هي «آجني»، والريح كانت «فايو» وأمّا إن كانت الريح مهلكة فهي «رودرا»، وكانت العاصفة هي «إندرا» والفجر أو أساس» وكثير من الآله يطول ذكرها[٢].

٥ ـ الرومان

كانت الأسرة الرومانية رابطة بين الأشخاص والأشياء... وكل مظهر من مظاهر وجودها يرتبط ارتباطاً وثيقاً وجدّياً بالعالم الروحي، فكان الطفل يعلم بالقدرة الصامتة الفصيحة أنّ نار الموقد التي لا تخمد ليست إلاّ رمز الآلهة فستا (Vesta)، ومادتها، وأنّها هي الشعلة المقدسة التي ترمز إلى حياة الأُسرة وإلى دوامها... وتمثل آلهة الأسرة أو أرواحها المقدسة، إللار (Lar)[٣]، الذي يحرس حقولها ومبانيها وسعادتها ومصيرها.

والبينات (Penates) أو الآلهة الداخلية التي تحمي ما تجمع للأسرة في مخازنها وأصونتها وبيادرها، وكانت الآلهة يانوس (Janus) يحوم حول عتبة الدار وإن كانت الأعين لا تراه... وكان الطفل يعلم أنّ أباه هو الحافظ

(١) قصة الحضارة، المجلد الثاني: ج ٣، ص ٣٠ ـ دار الفكر.

(٢) قصة الحضارة، المجلد الخامس: ج ١٠، ١١، ص ١٢٢، ١٢٣.

(٣) قصة الحضارة، المجلد الثاني: ج ٤، ص ٣١.

للأُسرة وأنّه رمز القوّة والخلافة الداخلية (Genius) التي لا تُفنى بفناء الجسم بل يجب أن تتغذى على الدوام عند قبر الأب.

وكانت الأُمّ هي الأُخرى التي تحمل ربّاً من الأرباب، وكان عليه أن يعاملها أيضاً معاملة الآلهة...

وكانوا يعتقدون أنّ الإنسان تحيط به الأرواح «أطياف الذكور من أسلافه التي كانت أقنعة وجوههم الرهيبة معلقة على جدران المنزل تحذره من أن يتنكّب طريق هؤلاء الأجداد»[١].

«ولم يكن الروماني، كما كان الأغريقي، يفكر في آلهته كأن لها صوراً كصور الآدميين، ولم يكن ممينا إلاّ ممينا (Mumina) أي الأرواح، وكانت هذه الآلهة في بعض الأحيان معنويات مجردة كالصحة والشباب أو الذاكرة، أو الحظ، أو الشرف، أو الأمل...»[٢].

لاحظنا أنّ عقائد الرومان القديمة، كان منشأها الحياة وطريقة التعامل معها، والمؤثرات بأنواعها المختلفة على حياة الإنسان الواقعية أو الخياليّة آنذاك.

فكان الغلو عندهم بقدرات تلك المؤثّرات، وعناصر حفظ وجودهم، فجعلوا من أرواح الأجداد آلهة، ومؤثرة في حياة الإنسان الحيّ، وكذلك الأشياء المحيطة بالإنسان لانتفاع الإنسان، منها ما رفعها إلى مستوى الآلهة، بل جعلها آلهة مؤثرة في حياته.

وجعل من الإستعدادات، والآثار الطبيعة آلهة، لردّة الفعل اتجاه

---

(١) أحد الآلهة المحليين وهو تسكاني الأصل ولكن الرومان جعلوه فيما بعد أحد الآلهة الراعية للأسرة.

(٢) قصة الحضارة، المجلد الثاني: ج ٤، ص ١٢٤.

المسائل المختلفة.

وكل ذلك، ناتج عن:

أ ـ جهله بالقوى المؤثرة في الطبيعة.

ب ـ جهله بقدرات الموجودات التي يعيش معها.

ج ـ الحاجة الإنسانية إلى الإرتباط بقوّة فوق القدرات العادية (القدرة المطلقة).

٦ ـ اليابانيون

عبادة الأسلاف عند اليابانيين.

«ومن عبادة الأسلاف نشأت أقدم ديانة قائمة في اليابان، وهي «شنتو» أي «طريق الآلهة» ولها صور ثلاث: العقيدة المنزلية ؛ التي تتجه بالعبادة إلى أسلاف القبيلة، وعقيدة الدولة التي تتجه بالعبادة إلى الحاكمين الأسلاف، وهم الآلهة الذين أسسوا الدولة وبناءها.

فكانوا يخاطبون السلف المقدّس الأوّل الذي عنه جاءت سلسلة الأباطرة، ضارعين سبع مرات كل عام، فيتوجه إليه الإمبراطور نفسه بالدعاء، أو من ينوب عن الإمبراطور، كانوا يؤدّون له صلاة خاصة إذا ما همّت الأُمّة بالإضطلاع بمشروع تراه استثنائياً من قداسته، مثل الإستيلاء على شانتوج سنة (١٩١٤م).

ولم تكن ديانة «شنتو» بحاجة إلى تفصيل مذهبي أو طقوس معقدة أو تشريع خلقي، ولم تكن لها طبقة من الكهنة خاصة بها، ولا تذهب إلى ما يبعث العزاء في نفوس الناس، من خلود الروح، ونعيم الفردوس ؛ فكان كل

ما تطالب به معتنقيها، أن يحجوا آناً بعد آن لأسلافهم، وأن يقدموا لهم ضراعة الخاشعين، ويفعلوا كذلك لإمبراطورهم، ولماضي أُمّتهم، وقد حلّت لهم عقيدة أُخرى محل هذه العقيدة حيناً، لأنّها مسرفة التواضع في جزائها التي تعد به، وفي الأوامر التي تلزم بها الناس»[1].

وهذا الغلو ناشئ من التأثر بالشخصيات التاريخية، التي لها أثر في حياة اليابانيين، وبالإنجازات التي تحققت على أيديهم، ولذلك اعتبروهم رمز القوّة، والوحدة الوطنية.

فالرجال الأقوياء الذين يتركون آثار على حياة الناس يمكن أن يُعبدوا «خصوصاً من كانوا أقوياء إبان حياتهم، فألقوا الخوف في نفوس الناس يرجح أن يعبدوا بعد موتهم»[2].

٧ ـ البوذيّة والغلو

البوذية إنطلق من حركة رفض للترف، وانتهت بتأليه صاحب تلك الحركة بودا، إذ ولد بودا قبل حوالي (٢٥) قرن من الزمان في سفوح جبال الهملايا من الهند، وبين أُناس يعرفون باسم «سياكيا»، وليد لأحد ملوكهم، وكان ربيب نعمة وترف حتّى الثلاثين من عمره، وقد تعرف في هذه المدّة على علوم زمانه ولا سيما تعاليم الكتاب المقدس للهنود، الذي يعرف باسم «وودا»، ثمّ اعتزل كل هذه النعمة والترف للرياضة الروحية، على أثر ثورة روحية لديه، وكان الذي يشغل باله هو الفكر في مصدر آلام البشرية، وكيف

(١) قصة الحضارة، وي وايريل ديورانت: المجلد ٣، ج ٥، ص ١٣ ـ دار الفكر.

(٢) المصدر السابق، المجلد الأول: ج ١، ص ١٠٨.

يستطاع التوصل إلى حياة سعيدة؟

وبعد سنين من الرياضة الروحية توصّل أخيراً تحت شجرة التين إلى اكتشاف فكرة، اعتقد بأنّها هي سرّ الحياة السعيدة، وترك بعد هذا الإعتزال والخلوة، وأنكر الرياضة، وبدأ بتعليم الناس وإرشادهم.

والذي اكتشفه ليس إلاّ قانوناً طبيعيّاً بسيطاً هو: أنّ هذا العالم يحكمه قانون الثواب والعقاب، وأنّ الخير يُولِد الخير، والشرّ يُولِد الشرّ.

هذا الوليد الجديد لملوك الهند الذي كان يدعي «سيداتا» وتلقب بعد عودته باسم «بودا»، أنكر بعد كشفه هذا القانون سنّة القرابين، والأدعية والبكاء والتضرع والخضوع للآلهة، وأثرها في مصير الإنسان.

بل أنكر الآلهة، وآمن بقدم العالم، والقانون الأزلي لهذه الحياة، وأنكر كتاب «وودا» الذي كان يدعو إلى القرابين والأدعية وغيرها، والذي كان يفترض تفاوتاً بين البشر بحسب أصل الخلقة، وينتقد ذلك. أنّ طريقة بودا أشبه بالفلسفة من الدين، إلاّ أنّ أتباعه جعلوا طريقته ديناً يعتنقونه، وصعدوا به ـ وهو ينكر العبادة والدعاء ـ إلى رتبة إله يعبد دون الآلهة، إذ صنعوا لأنفسهم معابد أقاموا فيها تماثيل بودا وجمعوا أقواله في كتاب سمّوه «سلال العلم الثلاث»[١].

٨ ـ الغلو في الأديان الفارسية

ظهر في العهد الساساني من ادّعى النبوة، وأنه آخر الأنبياء، ودينه

---

(١) الإسلام وإيران، الشهيد المطهري: ج ٢، ص ٤٥ ـ ٤٦، ترجمة الشيخ محمّد هادي اليوسفي، إصدار منظمة الإعلام الإسلامي، قسم العلاقات الدولية.

أكمل الأديان.

يذكر اليعقوبي في تاريخه أنّ: «في أيّام سابور بن أردشير ظهر ماني بن حمّاد الزنديق فدعى سابور إلى الثنوية، وعاب مذهبه، فمال سابور إليه، وقال ماني: إنّ مدبّر العالم اثنان وهما شيئان قديمان: نور وظلمة، خالقان، فخالق خير وخالق شرّ، فالظلمة والنور كل واحد منها في نفسه اسم لخمسة معان»[١].

ويذكر الشهيد مطهري: «أنّ دين ماني أحد الأديان النشطة في العهد الساساني، وهو عبارة عن خليط من عناصر دينيّة، زرادشتية ومسيحية وبوذية، بالإضافة إلى بدع من نفسه».

وقد ذكر ذلك السيد حسن تقي زادة بقوله: «لبعض العقائد الإيرانية القديمة، ولا سيما الزروانية، وبعض الطرق والفرق الأُخرى غير الرسمية، والمبتدعة من الزرادشتية، في أواخر عهد الأشكانيين، وأوائل الساسانيين، أثر كبير في العقائد المانوية... وعلم بالتحقيق أنّ هذا ليس إلاّ شَبَهاً ظاهراً نشأ من أنّ ماني كان يقتبس مصطلحات الأُمم التي كان يريد نشر دعوته فيها، فيصبّ عقائده وتعاليمه في قوالب تلك المصطلحات المعروفة لديهم.

والمقطوع به أنّ هذا الدين كان ذا دعوة عالمية، وأنّ ماني كان مدّعياً النبوّة، وأنّه آخر الأنبياء، ودينه أكمل الأديان».

وكان مصير هذا الدين المبتدع بعد الإنتشار أن انقرض، وكان سبب ذلك كما ذكر الشهيد المطهري: «من المقطوع به أنّ الإسلام هو العامل الأصيل في

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ١، ص ١٥٩، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف اليعقوبي ـ دار صادر بيروت.

هزيمة المانوية ؛ حيث كانت المانوية ثنوية، ومن الطبيعي أن يفقد الشرك الثنوي مقوماته أمام هذا الدين الجديد، الذي كان له رصيد فطري وفكري، وكان أقدر على اجتذاب الأفكار المستقيمة، ولا سيما طبقة العلماء والفلاسفة».

وكان المسلمون يتعاملون مع الأديان التي كان لها أصل سماوي بطريقة الصلح والجزية، أمّا مع المانوية فقد «عدوّهم زنادقة ملحدين مشركين ثنويين، فقد أطاحوا بكيانهم حتّى بصورة أقلية دينيّة معاصرة»[1].

---

(١) الإسلام وإيران، الشهيد المطهري: ج ٢، ص ٣٧ ـ ٤٠.

الفصل الثّالث

مقالات الغلو

مقالات الغلاة

يقوم الغلو على بعض المسائل الفكرية التي تكوّن الأُسس التي يتفرع منها، وهذه المسائل، يمكن اعتبارها عنصراً مشتركاً لجميع حالات الغلو العقائدي على طول التاريخ، ومعرفة هذه الأُسس كفيل بكشف المباني الفكرية، وفهم النظرية التي اعتمدها الغلاة وتشخيص مواضع ونقاط الإلتباس والإشتباه، التي إرتكبها الغلاة في حياتهم، الفكرية والتي جرتهم إلى هذا الموقف.

هذا على فرض أنّهم سلكوا الطريق العلمي في التزامهم بمنهج الغلو، وإلاّ فإنّ دوافع القول بالغلو كثيرة جدّاً، ولم تقم على دليل بل بعضها اتّباعاً للهوى والعاطفة وما شابه ذلك.

والغلاة لم يدوّنوا عقائدهم وآراءهم بأقلامهم وإنّما كتبت ودوّنت بأقلام غيرهم، وذلك لقصر عمر حركتهم، ولتصدي الأئمة عليهم السلام لهم، الذي جعل منهم مجموعة معزولة إجتماعيّاً وعقائدياً.

لكن مع ذلك نقل التاريخ لنا تصريحاتهم الشفويّة، وسلوكهم العام، الذي يعكس بواطن أفكارهم وعقائدهم.

ويمكن القول إنّهم يبتعدون عن نشر أفكارهم المكتوبة في بعض

الأوقات، حتّى يتمكنوا من الحركة بمرونة في المجتمع، ويمكن التملّص من بعض الأقوال التي تؤدّي إلى عزلهم.

وسوف نتعرض في هذا الفصل إلى مقولات الغلاة، ونعنى بها، وهي الأُسس الفكرية التي جرّت أُولئك إلى الغلو، والجهات التي تأثّرت بها، أو نبت غلوها على أحد تلك الأُسس، إذ لاحظنا أنّ عقائد الغلاة يمكن جمعها تحت عناوين تعتبر أقوى الركائز التي يقوم عليها الغلو، ولذلك عمدنا إلى ذكرها، وجعل الغلاة تحت تلك المقالات.

أوّلاً: الإتحاد

وهو أن يصير شيئان أو أكثر، شيئاً واحداً من غير زيادة ولا نقصان، هذا عمليّاً واعتقاداً هو الإيمان باتحاد ولي من أولياء الله نبيّاً أو إماماً أو غيرهما بالله تعالى[١].

ومنشأ الإتحاد له جذور تاريخية أبعد من التاريخ الإسلامي، واشتهر عند البرهميّة[٢]، حيث قالوا: الواجب الديني على الإنسان أن يؤمن بالبرهم، ويتقرب إليه بالقرابين والعبادات، ويتحلّى بالأخلاق الكريمة، والأعمال الصالحة، فإن عزفت نفسه عن الدنيا، وتخلق بكرائم الأخلاق، وتحلّى بصالح الأعمال، وعرف البرهم بمعرفة نفسه، صار برهمياً، واتحد بالبرهم، وصار

---

(١) خلاصة علم الكلام، عبد الهادي الفضلي: ص ٢١٣.

(٢) برهمن: اسم أوّل ملوك الهند الذي عمّر بلادها وأسس قواعد المدنيّة فيها وبسط العدل بين أهلها ولعلّ البرهمية نشأت بعده باسمه والمدنيّة الهندية من أقدم المدنيات الإنسانية لا يضبط بدأ تاريخي لها على التحقيق.

هو هو، وهو السعادة الكبرى، والحياة البحتة[١].

والذين قالوا بذلك:

١ ـ النصارى

يقولون: «ظهرت اللاهوت بالناسوت، فصار ناسوت المسيح مظهر الجوهر، لا على طريق حلول جزء فيه، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التي هي حكم الصفة، بل صار هو هو، وهذا كما يقال، ظهر الملك بصورة إنسان، أو ظهر الشيطان بصورة حيوان».

وقد «زعم أكثر اليعقوبية، أنّ المسيح جوهر واحد، أقنوم واحد، إلاّ أنّه من جوهرين، وربما قالوا: طبيعته واحدة من طبيعتين فجوهر الإله القديم، وجوهر الإنسان المحدث، تركّبا كما تركّبت النفس والبدن فصار جوهراً واحداً، أقنوماً واحداً، وهو إنسان كلّه وإله كلّه.

فيقال: الإنسان صار إلهاً، ولا ينعكس، فلا يقال الإله صار إنساناً»[٢].

وهذه الفكرة هي التي شجبها القرآن وكفّر القائلين بها بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الذينَ قالوا إنّ اللهَ هوَ المَسيحُ ابن مَريمَ﴾[٣].

٢ ـ الصوفيّة

لم يكن جميع الصوفية ممّن يعتقد بالإتحاد، وإنّما جزء منهم، وهم غلاة الصوفية والذين تعرضوا للنقد حتّى من نفس الصوفية على شطحاتهم وزلاّتهم

(١) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ج ١٠، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني: ج ١، ص ٢٢٦.

(٣) المائدة: ٧٢.

في أقوالهم وأفعالهم.

فعبد القادر بن حمزة بن ياقوت الأهري يقول: وكثيراً ما يقع السلاك عند خمود القوى وذكاء نار البصيرة مثل هذا الإشتباه كما في قول أبي يزيد البسطامي[١] عند سكره وإنطماسه في بحر نور الجلال وقطع نظره عن نفسه «سبحاني ما أعظم شأني»[٢].

وقال: «لا إله إلاّ أنا فاعبدوني»[٣].

إنّ الصوفية في مراحلها السلوكية، تنتهي عند كثير من أتباعها إلى ادّعاء الربوبية، لكنها تختلف شكلاً عن ادّعاء فرعون وتتفق مضموناً ونتيجةً.

فهذا أحدهم يقول: هناك روح ناطقة غير مخلوقة تتحد بروح الزاهد المخلوقة، فيصبح الولي الدليل الذاتي الحيّ على الله «هو هو»[٤].

فالإتحاد والفناء بهذا المعنى يتنافى وأصل التوحيد والعبودية، وهو كما يقول الصوفية من الشطحات.

ويذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه شطحات الصوفية: «أنّ أبا عبدالله بن جابان يقول: دخلت على الشبلي في سنة القحط، فسلّمت عليه، فلمّا قمت على أن أخرج من عنده، كان يقول لي ولمَن معي إلى أن خرجنا من الدار: مرّوا، أنا معكم حيثما كنتم، أنتم في رعايتي وفي كلائتي»[٥].

---

(١) جاءت ترجمة البسطامي طبقات الصوفية: ص ١٥، لأبي عبد الرحمن السلمي، المتوفّى سنة (٤١٢ هـ) ـ الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة اسمه طيفور بن عيسى بن سروشان، وكان جدّه سروشان هذا مجوسيّاً فأسلم. وهم ثلاثة أخوة: آدم، وطيفور، وعليّ، مات طيفور وهو المترجم له سنة إحدى وستين ومائتين ورواية أُخرى أنّه مات سنة أربع وثلاثين ومائتين.

(٢) الأقطاب القطبية أو البُلغة في الحكمة: ص٩٨ (انتشارات انجمن فلسفة دانشگاه تهران)

(٣) الموسوعة العربية الميسرة، مادة بسطامي.

(٤) الموسوعة العربية الميسرة، مادة حلاج.

(٥) شطحات الصوفية: ص ٤١.

٣ ـ الرونديّة

وهم أصحاب عبدالله الراوندي، «شهدوا أنّ المنصور (الخليفة العباسي الثاني المُسمّى بأبي جعفر المنصور الدوانيقي) هو الله، وهو يعلم سرّهم ونجواهم، وأعلنوا القول بذلك ودعوا إليه، فبلغ ذلك المنصور، فأمر بطلبهم، فأخذ منهم جماعة، فأقروا بذلك، فاستتابهم، وأمرهم بالرجوع عن هذا القول والتوبة منه، فأبوا أن يرجعوا عن ذلك، وقالوا: هو ربّنا هو يفنينا شهداءوكما شاء،كما قتل من قتل من شاء من أنبيائه ورسله، وأوليائه على أيدي من شاء من خلقه، وأمات بعضهم بالهدم والغرق وأنواع الآفات والبلايا، وسلّط عليهم السباع، وقبض أرواح بعضهم فجأة، وبالعلل وكيف شاء، وذلك له أن يفعل ما يشاء بخلقه لا يسأل عمّا يفعل...»[١].

استحالة الإتحاد

أ ـ الإتحاد مستحيل في نفسه

والدليل على استحالته في نفسه: أنّ الشيئين المتحدين ـ بعد فرض اتحادهما ـ إن بقيا موجودين فلا اتحاد بينهما، لأنّهما ـ والحالة هذه ـ اثنان متمايزان لا واحد.

وإن لم يبقيا موجودين بأن انعدما معاً، ووجد شيء ثالث غيرهما أيضاً لا اتحاد هنا لأنّ المعدوم لا يتحدد بالمعدوموإن انعدم أحدهما وبقي الآخر، فلا اتحاد بينهما أيضاً لأنّ المعدوم لا يتحد بالموجود.

---

(١) المقالات والفرق للأشعري: ص ٦٩ ـ ٧٠.

ب ـ يستحيل إثباته لغيره

والدليل على استحالة إثباته لغيره، كما قرره الشيخ المفيد بقوله: «إنّ الواجب لو اتحد بغيره لكان ذلك الغير إمّا واجباً، أو ممكناً، فإن كان واجباً، لزم تعدد الواجب، وهو محال، وإن كان ممكناً، فالحاصل بعد الإتحاد إن كان واجباً، صار الممكن واجباً، وإن كان ممكناً، صار الواجب ممكناً، وكلاهما خلاف المفروض، وباطل، فثبت بطلان اتحاد الباري بغيره»[١].

ثانياً: الحلول

«وهو قيام موجود بموجود آخر على سبيل التبعيّة وبشرط امتناع قيامه بذاته»[٢].

ومعنى قيد «على سبيل التبعيّة»، أن تكون الصلة بين الحال والمحل صلة تبعية، كالصلة بين الجسم ومكانه، أو بين العرض والجوهر، وهو ما يعرف بالحلول الوضعي، بمعنى أن يكون المحل موضعاً للحال.

والمراد بقيد «بشرط إمتناع قيامه بذاته» عدم استقلالية الحال، أي أنّ وجود الحال مرتبط بوجود المحل إرتباطاً تبعيّاً كارتباط وجود العرض بوجود الجوهر.

والحلول من الناحية الفكرية يعتبر إمتداد لفكرة الفناء عند الصوفية وقد ظهرت في أشعارهم وسلوكهم وهي قبل ذلك كانت عند النصارى.

---

(١) النكت الاعتقادية: ص ٣٩٦.

(٢) خلاصة علم الكلام، د. عبد الهادي الفضلي: ص ٢١٨.

القائلون بالحلول

١ـالنصارى: قالوا: حلّ الباري تعالى في عيسى عليه السلام[١].

٢ ـ الغلاة من المتصوفة: قالوا: إنّ الله تعالى يحلّ في العارفين[٢]، ويقولون: إنّ العبد إذا صفت نفسه وتطهّر ارتقى إلى مقام المقربين، ثمّ لا يزال يصفوا ويرتقي حتّى يحل فيه روح الله الذي حلّ في عيسى عليه السلام.

٣ـالنصيرية والإسحاقية: قالوا: إنّ الله تعالى حلّ في عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٤ـالدروز: «يعتقد الدروزيّة أنّ الله يحلّ في الإنسان دائماً، ويقبل جسداً آدمياً»[٣].

٥ـالمشبهة:التشبيه ينتهي إلى نتيجة حتمية، وهي القول بالحلول والاتحاد، ولذلك كانت نظرية التشبيه ممهدة لعمليّة نفوذ الآراء الداخلية على الإسلام مثل الحلول والاتحاد.

يقول الشهرستاني: «إنّ من المشبه من يقول بالحلول، وإنّ فرقة الحلمانية نسبة إلى أبي حلمان الدمشقي[٤] إنّما هي فرقة حلوليّة».

ويقول: «ومن المشبه من مال إلى مذهب الحلوليّة، وقال يجوز أن يظهر الباري تعالى بصورة شخص كما كان جبريل عليه السلام ينزل في صورة أعرابي، وقد تمثّل لمريم عليها السلام ﴿بشراً سويّاً﴾»[٥].

---

١) موسوعة كشاف إصطلاحات الفنون والعلوم: ج ١، ص ٧٠٨ ـ ٧٠٩.

٢) المصدر السابق.

٣) موسوعة الفرق الإسلامية، د. محمّد جواد مشكور: ص ٢٤٦.

٤) ترجم له البغدادي في الفرق: ص ٢٤٥، وقال: كان أصله من فارس ومنشؤه حلب وأظهر بدعته بدمشق فنسب لذلك إليها.

٥) الملل والنحل: ج ١، ص ١٤٤.

ويذكر البغدادي: «أنّ أبا حلمان كان ينادي بحلول الله في الأشخاص الحسنة، وكان هو وأصحابه إذا رأوا صورة حسنة سجدوا لها، لتوهمهم أنّ الله حلّ فيها، وكانوا يستدلون على جواز الحلول بقوله تعالى في آدم ﷺ: ﴿فإذا سوّيتهُ ونفَختُ فيهِ مِنْ روحي فقَعوا لَهُ ساجِدينَ﴾(١) وكان أبو حلمان يزعم أنّ الله أمر الملائكة بالسجود لآدم لحلوله فيه، ولقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقنا الإنسانَ في أحسَنِ تَقويم﴾(٢)»(٣).

بطلان الحلول

استدل المتكلمون على بطلان الحلول، بقولهم: «يستحيل على الواجب تعالى، لأنّ الحال في الشيء يحتاج إليه فيلزم إمكانه، وإلاّ إمتنع حلوله»(٤)، فالحلول يكون حصل على سبيل التبعيّة وهو ينفي الوجوب الذاتي الذي هو منشأ الإستغناء المطلق.

ثالثاً: التفويض

وهو على أقسام والذي يهمنا هنا في موضوع الغلو خصوص المعنى الذي يؤدّي إلى القول بالغلو، ويتلخص بالقول:

إنّ الله تعالى خلق محمّداً وعليّاً صلوات الله عليهما ففوض إليهما فخلقا ورزقا وأماتا وأحيا.

---

(١) الحجر: ٢٩.

(٢) التين: ٤.

(٣) الفَرق بين الفِرق: ص ٢٤٥.

(٤) خلاصة علم الكلام: ص ٢١٨ ـ ٢١٩.

والإعتقاد بالتفويض يستلزم الشرك، أي الإعتقاد بوجود خالقين مستقلين أحدهما: العلّة العليا، التي أحدثت الإمام أو النبيّ، والأُخرى: النبي أو الإمام وهما يستقلان بعد الخلق الأوّل بالحدوث والبقاء وتأثيراتهما.

وهذا يشبه قول اليهود: ﴿يَدُ الله مَغْلولَةٌ غلة أيديهم﴾ إذ أوقفوا الدور الإلهي في التأثير بعد أن خلق الخلق.

وكان لأئمة أهل البيت عليهم السلام مواقف شديدة وصلبة أمام هذا النوع من التفكير، وأمثاله من النظريات الشاذة التي تحاول أن تصغّر من عظمة الله تعالى، وترفع عباده ومخلوقاته إلى ما يوازي مقامه جلّ وعلا.

وقد جاء عن ياسر الخادم قال: قلت للرضا عليه السلام: ما تقول في التفويض؟ فقال: **«إنّ الله تبارك وتعالى فوّض إلى نبيّه صلى الله عليه وآله أمر دينه فقال: ﴿وما آتاكُمُ الرسول فَخُذوهُ وما نَهاكُم عَنهُ فانتهوا﴾[(1)] فأمّا الخلق والرزق فلا»**، ثمّ قال عليه السلام: **«إنّ الله عزّوجل خالق كل شيء وهو يقول عزّوجل: ﴿الله الذي خَلَقَكُم ثمَّ رَزَقَكُم ثُمَّ يُميتُكُم ثُمَّ يُحييكُم هَلْ مِنْ شُركائِكُم مَنْ يَفْعَل مِنْ ذلِكُم مِنْ شَيءٍ سُبحانَهُ وتعالى عمّا يُشرِكونَ﴾[(2)]»**[(3)].

وقال الإمام الرضا عليه السلام في موضع آخر: «... والقائل بالتفويض مشرك»[(4)].

والتفويض الذي تقصده الروايات القائلة بالحكم عليهم بالشرك هو الإعتقاد باستقلالية الخالق والرازق والمعطي، والقيام بكل هذه الأفعال بالقدرات الذاتية التي لا تعتمد على قدرة عليا تستمد منها القدرة على أداء هذه الأعمال.

---

(١) الحشر : ٧.

(٢) الروم : ٤٠.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ٣٢٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٧٠.

أمّا الخلق والرزق والإحياء وغيرها ممّا كان يصدر من الأنبياء فهي بإذنِ الله وأمره، وغير خارجة عن إرادته سبحانه وتعالى، وقد أُجريت على أيدي الأنبياء عليهم السلام، وذكرها القرآن الكريم، كما جاء في سورة البقرة إحياء الطيور المقطعة بدعوة إبراهيم عليه السلام: **﴿وإذْ قالَ إبراهيمُ ربِّ أرني كيفَ تُحيي المَوتى قال أوَلَم تُؤمِنْ قالَ بَلى ولَكِنْ لِيَطمَئنَّ قلبي قال فَخُذْ أربَعَةً مِنَ الطيرِ فَصُرهُنَّ إليكَ ثُمَّ اجعَلْ على كُلِّ جَبَلٍ مِنهنَّ جُزءاً ثُمَّ ادْعُهنَّ يأتينَكَ سعياً واعلم أنّ الله عزيزٌ حَكيمٌ﴾**[1].

وقد نسب الله تعالى الخلق إلى نبيّه عيسى عليه السلام بإذنه تعالى بقوله: **﴿...وإذ تخْلُق مِنَ الطينِ كهَيئةِ الطيرِ بإذني فَتَنفَخُ فيها فَتَكون طيراً بإذني وتُبرئ الأكمَهَ والأبرَصِ بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني...﴾**[2].

وفوّض العطاء لنبيّه سليمان عليه السلام بقوله: **﴿هـذا عطاؤنا فامْنُنْ أو أمْسِكْ بِغَيرِ حِسابٍ﴾**[3].

وعن أبي إسحاق عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ الله أدّب نبيّه على محبّته فقال: **﴿وإنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عظيم﴾، ثمّ فوّض إليه فقال: ﴿ما آتاكُمُ الرسول فَخُذوهُ وما نَهاكُم عَنهُ فانْتَهوا﴾**، وقال: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾**[4].

القائلون بالتفويض

القول بالتفويض، يعتمد على بعض الروايات التي يستغلها أصحاب

---

(١) البقرة : ٢٦٠.

(٢) المائدة : ١١٠.

(٣) سورة ص : ٣٩.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٣٣٤.

التوجهات الفكرية المنحرفة ويفسرها على الأساس الذي يؤدّي إلى الإلتقاء مع أفكاره المنحرفة ومصالحه الشخصية.

فالقول بالتفويض أسهل المقولات من الناحية العلميّة وأكثرها أثراً على عواطف العامة من الناس، وقال به كل من:

١ـ المنصورية: وهم الذين غالوا بأبي جعفر المنصور العباسي الخليفة الثاني من أبناء العباس، وقالوا: «هذا ربّ العزّة الذي يطعمنا ويسقينا»[١]، والروندية: أصحاب عبدالله بن الراوندي، «شهدوا أنّ المنصور هو الله، وهو يعلم سرّهم ونجواهم»[٢].

٢ـ البيانيّة: «أصل الدعوة كانت لحمزة بن عمارة البريري الذي إدّعى أنّه نبي أرسله محمّد بن الحنفية، وأنّه ينزل عليه سبع أسباب من السماء فيفتح بهنّ الأرض ويملكها»[٣].

٣ـ السبئية: «وهم جماعة يعتقدون أنّ الله تعالى خلق الخلق وتركهم سُدىً، ولا يأمر أحداً إلاّ بالإيمان، فكل من آمن منهم يذهب إلى الجنّة وكل من يكفر يذهب إلى النار.

والإيمان هو الصلاة والصوم والطاعات والعبادات الأُخرى، وكلّها طوعيّة اختياريّة وغير واجبة، فمن شاء أدّاها، ومن لم يشأ تركها، كما جاء في قوله تعالى: ﴿... **اعمَلوا ما شِئتُم** ﴾[٤]»[٥].

---

(١) الطبري: ج ٧، ص ٥٠٧.

(٢) المقالات والفرق، الأشعري: ص ٦٩.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٣.

(٤) فصلت : ٤٠.

(٥) موسوعة الفرق الإسلامية: ص ٢٧٤.

٤ـ المخمّسة: «وهم من فرق الغلاة الملعونة، يذهبون إلى أنّ سلمان الفارسي، وأباذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وعمرو بن أُميّة الضمري، هم النبيين والموكلين بمصالح العالم من قبل الربّ، وأنّ الربّ في قولهم لعنهم الله هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام»(١).

رابعاً: التناسخ

وقد عرّف بأنّه: إنتقال النفس الناطقة الإنسانية بعد الموت من بدن إلى بدن إنسان آخر، والعمود الفقري للتناسخ هو إنتقال الروح من بدن إلى آخر في هذه الحياة الدنيا(٢) والذين يعتقدون بذلك يُسمّون التناسخيّة.

حقيقة التناسخ

وعن هشام بن الحكم، أنّ زنديقاً سأل أبا عبدالله عليه السلام فقال: أخبرني عمَّن قال: بتناسخ الأرواح من أي شيء قالوا ذلك؟ وبأيّ حجّة قاموا على مذهبهم؟

قال عليه السلام: **«إنّ أصحاب التناسخ قد خلّفوا وراءهم منهاج الدين، وزيّنوا لأنفسهم الضلالات، وأمرجوا أنفسهم في الشهوات، وزعموا أنّ السماء خاوية، ما فيها شيء ممّا يوصف، وأنّ مدبّر العالم في صورة المخلوقين، بحجّة من روى: أنّ الله عزّوجلّ خلق آدم عليه السلام على صورته، وأنّه لا جنّة ولا نار، ولا بعث ولا نشور، والقيامة عندهم خروج الروح من قالبه، وولوجه في قالب آخر، إنّ كان محسناً في القالب الأوّل أُعيد في قالب أفضل منه**

(١) مقباس الهداية: ج ٢، ص ٣٦١، المقالات والفرق: ص ٢٩.

(٢) الفردوس الأعلى، محمّد الحسين كاشف الغطاء: ص ٢٨٠ دار المحجّة البيضاء الطبعة الأُولى، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

حسناً في أعلى درجة الدنيا، وإن كان مسيئاً أو غير عارف صار في بعض الدوابّ المتعبة في الدنيا، أو هوامّ مشوهة الخلقة، وليس عليهم صوم ولا صلاة، ولا شيء من العبادة أكثر من معرفة من تجب عليهم معرفته، وكلّ شيء من شهوات الدنيا مباح لهم، من فروج النساء، وغير ذلك من نكاح الأخوات، والبنات، والخالات، وذوات البعولة، وكذلك الميتة، والخمر والدم.

فاستقبح مقالتهم كلّ الفرق، ولعنهم كلّ الأُمم، فلمّا سئلوا الحجّة، زاغوا وحادوا، فكذّب مقالتهم التوراة، ولعنهم الفرقان، وزعموا مع ذلك أنّ إلاههم ينتقل من قالب إلى قالب،، وأنّ الأرواح الأزلية هي التي كانت في آدم، ثمّ هلمّ جرّا تجري إلى يومنا هذا في واحد بعد آخر.

فإذا كان الخالق في صورة المخلوق، فبما يستدلّ على أنّ أحدهما خالق صاحبه؟

وقالوا: إنّ الملائكة من ولد آدم عليه السلام، كل من صار في أعلى درجة من دينهم خرج من منزلة الامتحان والتصفية فهو ملك، فطوراً تخالهم نصارى في أشياء، وطوراً دهريّة، يقولون أنّ الأشياء على غير الحقيقة، فكان يجب عليهم أن لا يأكلوا شيئاً من الحيوان، لأنّ الدوابّ عندهم كلّها من ولد آدم حوّلوا في صورهم...»[1].

إبطال التناسخ

سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن التناسخ فقال عليه السلام: فمن نسخ الأوّل؟

قال السيّد الداماد رحمه الله: «إنّ القول بالتناسخ إنّما يستتب، لو قيل بأزلية النفس المدبّرة للأجساد المختلفة، المتعاقبة على التناقل والتناسخ وبلا تناهي تلك الأجساد المتناسخة بالعدد من جهة الأزل كما هو المشهور من مذاهب

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤، ص ٣٢٠ ـ ٣٢١، الإحتجاج: ج ٢، ص ٢٣١ ـ ٢٣٣ ـ إنتشارات أسوة.

الذاهبين إليه، والبراهين الناهضة على استحالة اللانهاية العدديّة بالفعل مع تحقق الترتب والإجتماع في الوجود قائمة هناك بالقسط بحسب متن الواقع المعبّر عنه بوعاء الزمان أعني الدهر، وإن لم يتصحّح الترتّب التعاقبي بحسب ظرف السيلان والتدرّج والفوت واللحوق، أعني الزمان.

فإذنّ لا محيص لسلسلة الأجساد المترتّبة من مبدأ معين هو الجسد الأوّل في جبهة الأزل يستحق باستعداده المزاجيّ أن يتعلق به نفس مجرد تعلق التدبير والتصرّف، فيكون ذلك مناط حدوث فيضانها عن جود المفيض الفيّاض الحق جلّ سلطانه.

وإذا إنكشف ذلك، فقد إنصرح أنّ كل جسد هيولاني بخصوصيّة مزاجه الجسماني واستحقاقه الإستعدادي، يكون مستحقاً لجوهر مجرّد بخصوصه يدبّره ويتعلق به ويتصرّف فيه ويتسلط عليه فليتثبت»[1].

حكم القائل بالتناسخ

سأل المأمون العباسي الإمام الرضا عليه السلام قال: يا أبا الحسن ما تقول في القائلين بالتناسخ؟

فقال الرضا عليه السلام: **«من قال بالتناسخ فهو كافر بالله العظيم، يكذب بالجنّة والنار»**[2].

وعن الحسين بن خالد قال: قال أبو الحسن عليه السلام: **«من قال بالتناسخ فهو كافر»**[3].

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤، ص ٣٢١ وج ٢٥، ص ٣٢٥.

(٢) المصدر السابق: ج ٤، ص ٣٢٠.

(٣) المصدر السابق: ج ٤، ص ٣٢٠.

القائلون بالتناسخ

من الفرق التي تدعي الإسلام وتقول بالتناسخ، منها ما انقرض ولم يبق إلاّ اسمه، ومنها ما هو موجود إلى يومنا هذا.

والذين يلتزمون هذه النظرية، يتجاوزون جميع مبادئ الإسلام ونظرياته في الخلق والمعاد والمسؤولية والتكاليف الإلهية، وقد تبيّن كل ذلك في السطور التي سبقت، وهذه طوائف القائلين بالتناسخ:

١ـالموحدين الدروز: إذ تعتبر من أصول الإيمان في عقيدتهم، ولذلك يشترطون «الإيمان بخلود الروح والعودة إلى التجسد، وأنّ أرواح العباد هي جواهر خالدة لا تبيد ولا تفنى، تنتقل من جسد آدمي إلى جسد آدمي آخر، بعد همود الجسد السابق»[١].

«وإنّ عقيدة التناسخ شائعة بين الدروز، فخيار الناس تتقمص روحهم المواليد، أمّا شرارهم فتتقمص أرواحهم أجسام الكلاب»[٢].

٢ـالمعاويّة: وهم أصحاب عبدالله بن معاوية، يزعمون أنّهم يتعارفون في إنتقالهم في كل جسد صاروا فيه على ما كانوا عليه، مع نوح عليه السلام في السفينة، ومع الأنبياء في أزمانهم ومع كل نبي في عصره وزمانه، ومع النبيّ صلى الله عليه وآله في عصره وزمانه، ويُسمّون أنفسهم بأسماء أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله يزعمون أرواحهم فيهم يتأولون في ذلك قول عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«إنّ الأرواح تتناسخ فإنّ روح الله عزّوجل عن ذلك كانت في آدم على

(١) من هم الموحدون الدروز، جميل أبو ترابي: ص ١٢.

(٢) موسوعة الفرق الإسلامية: ص ٢٤٦.

ما قالته فرقة من النصارى، وزعمت أنّ الأنبياء كلّها آلة ينتقل الروح من واحد إلى واحد حتّى صارت في محمّد ﷺ ثمّ في عليّ عليه السلام ثمّ في محمّد ابن الحنفية ثمّ في ابنه هاشم ثمّ فيه، وزعموا أنّ الدنيا لا تفنى أبداً واستحلّوا الزنا وإتيان الرجال في...»[١].

٣ـ أتباع محمّد بن بشير (لعنه الله): وهو من الغلاة المعروفين وهو موسى بني أسد لعنه الأئمة عليهم السلام ودعوا الله عليه وقتل على يد الخليفة العباسي.

يذكر الأشعري عن عقيدة هؤلاء بقوله: «وقالوا بالتناسخ والأئمة عندهم واحد، وإنّما هم منتقلون من بدن إلى بدن».

وهؤلاء الغلاة «المواساة بينهم واجبة في كل مأكولة ومال وفرج وغيره»[٢].

(١) موسوعة الفرق الإسلامية: ص ٤٣.

(٢) المقالات والفرق، الأشعري: ص ٩٢.

الفصل الرّابع

المؤرّخون والربط السيّئ

المؤرّخون والربط السّيئ

لما كان تدوين التاريخ خاضعاً للإنتساب المذهبي والعرقي وطبيعة السلطة الحاكمة في زمن كتابة التاريخ، فلا يمكن الخروج من ذلك بشكل كامل والتخلص من جميع المؤثرات المذكورة.

فالمنع الرسمي من توثيق ما لا ينسجم مع المنهج الحكومي هو يمثل العامل الخارجي، والتطرف المذهبي الذي خلقته السلطة لصياغة الرأي العام بشكل ينسجم مع ما يريده الحكام ويساهم في تحقيق إرادتهم، فمجموع هذه العوامل وغيرها جعلت من التجرد وعدم الإنحياز والموضوعية والإنصاف في مثل هذه الظروف من المسائل الصعبة خصوصاً عند مواجهة أصحاب الآراء والمصالح الذين هم جزء من أطراف الصراع والاختلاف، فهؤلاء لا يهمهم إلاّ استغلال الفرص والوقيعة في خصومهم، أو الذين لا يتفقون معهم في الرأي، فهم على استعداد لاستثمار هذه الأجواء لكسب الجولة حتّى ولو على مستوى التشويش الفكري بطريقة غوغائية.

ويشتدّ الأمر أكثر عندما تكون القوى الرسمية هي الموجهة لطريقة وكيفية كتابة التاريخ بشكل مباشر، وهي المانعة للآخر من الإعتراض، وهي التي تفرز وتعين بطرقها الخاصة ما هو قانوني عن غير القانوني.

فإذا جعلت السلطة لكل ما ينشر ويكتب قنوات وفلاتر تنقية مصممة وفق الأحجام والتركيبة الحكومية التي يُسمح بمرورها عبر القنوات ووسائل الفرز الخاصة، فإنّ المتوقع من المرشح لا يمكن أن يكون أكثر من تقارير رسميّة عكستها السلطة بوسائل إعلامها.

فالتاريخ كتب بوثائق الدولة، وبالطريقة التي لا تتعرض لها ولا لأفعالها ولا مخالفاتها القانونية والشرعية بسلبها أبسط حقوق المواطنة وقتلها لأولياء الله وتقريبها لأعدائه من اليهود والنصارى والزنادقة وأصحاب الجرائم.

فإذا كانت القوى الرسمية طرف في الصراع المذهبي آنذاك، وهي المثيرة والقائدة له والموجه لطبيعته وكيفيته وآلياته، فإنّنا في وسط هذه الأجواء لا ننتظر من المؤرّخين الحقيقة الكاملة، خصوصاً عند نقلهم وتدوينهم عن طرف الصراع الذي اتخذت منه السلطة موقفاً، وهو له رأي وموقف فيها.

والشيعة لا يرتجون من الذين سفكوا دمائهم وطاردوهم وشردوهم على مدى قرون متعاقبة، أن يثبتوا لهم ذلك ويعلموا الأُمّة بحقيقة العنصر الأساسي الباعث للاختلاف بين الشيعة والحكام الأُمويين والعباسيين، ويقولوا إنّ جميع القرابين التي قدمها أتباع أهل البيت عليهم السلام كانت لأجل تصحيح المسيرة الإسلامية التي وصلت إلى مستويات بعيدة من الإنحدار والانحراف وكان الحكام قادة لهذا الهبوط والسقوط للأُمّة.

ولا ينتظر أتباع أهل البيت من الحكام أن يقولوا أنّ المعركة مع الشيعة كانت بين الإيمان المتمثل بأهل البيت عليهم السلام وأتباعهم وبين نفاق الحكام، وهو صراع بين الصلاح والفساد، وبين الإستقامة والإنحراف، وبين الشرع والأهواء.

فالذي أباح دماءهم وأموالهم وكرامتهم، لا يمكن له أن يصدر أحكام الإباحة إلاّ إذا تعرّض أوّلاً إلى نسبتهم لما تترتب عليه هذه الأحكام، في عقائدهم وسلوكهم وآراءهم.

ولذلك نسب للشيعة كل قبيح وأصدروا بحقهم ما يتناسب مع المفتريات من أحكم وقراءة كتب الفرق الإسلامية باتجاهاتها المختلفة وأزمنتها المتباعدة والمتقاربة في تصويرها للشيعة، لا تمثل بواقعيتها العلميّة والموضوعيّة إلاّ التقارير الرسميّة للسلطة الحاكمة آنذاك، وهي تشبه إلى حد كبير وصف الغرب عموماً وأمريكا بالخصوص للحركات الإسلامية المجاهدة.

الطبري يؤرّخ للشيعة

ابتلي الشيعة بمسألة الإفتراء والكذب عليهم ولم تبتل طائفة من الطوائف الدينية على طول التاريخ مثل الشيعة، إذ يعمد الباحثون والمحققون إلى معرفة أفكار وعقائد أي طائفة ممّا يعرضه أئمتها وعلمائها، وكل الباحثين يدّعون ويحاولون ذلك إلاّ في البحث في مذهب أهل البيت عليهم السلام يتجاوز الباحثون كل ذلك ويعتمدون على زنديق وضّاع كذّاب أمثال سيف بن عمر وهذا ما فعله الطبري في تاريخه واتبعه بذلك الذين جاءوا بعده ولم تنته المسألة إلى يومنا.

فقد نسب الطبري تاريخ وعقائد الشيعة إلى شخصية وهميّة من أصول يهودية، وأخرج الشيعة من الإسلام جملةً وتفصيلاً إعتماداً على رواية مكذوبة من شخص سنتعرض لرأي العلماء فيه في الصفحات القادمة.

عبدالله بن سبأ

يقول الطبري في تاريخه حول هذه الشخصية التي خلقت أحداث وأفعال وتأثيرات تشبه المعجزات ونسبوا إليها قدرات وقابليات جعلت كبار الصحابة ينقادون له، وأكبر الفتن والمعارك بينهم تكون بقيادته بشكل خفي.

قال الطبري: «إنّ يهودياً باسم عبدالله بن سبأ المُكنّى بابن السوداء في صنعاء أظهر الإسلام في عصر عثمان واندس بين المسلمين، وأخذ يتنقّل في حواضرهم وعواصم بلادهم: الشام، والكوفة، والبصرة، ومصر، مبشّراً بأنّ للنبيّ الأكرم ﷺ رجعة كما أنّ لعيسى بن مريم عليه السلام رجعة، وأنّ عليّاً هو وصي محمّد ﷺ كما كان لكل نبيّ وصيّ، وأنّ علياً خاتم الأوصياء كما أنّ محمداً ﷺ خاتم الأنبياء، وأنّ عثمان غاصب حقّ هذا الوصي وظالمه، فيجب مناهضته لإرجاع الحقّ إلى أهله».

«إنّ عبدالله بن سبأ بثّ في البلاد الإسلامية دعاته، وأشار عليهم أن يظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والطعن في الأُمراء، فمال إليه وتبعه على ذلك جماعات من المسلمين فيهم الصحابي الكبير والتابعي الصالح أمثال أبي ذر، وعمار بن ياسر، ومحمّد بن حذيفة، وعبد الرحمن بن عديس، ومحمّد بن أبي بكر، وصعصعة بن صوحان العبدي، ومالك الأشتر إلى غيرهم من أبرار المسلمين وأخيارهم، فكانت السبئية تثير الناس على ولاتهم تنفيذاً لخطة زعيمها، وتضع كتباً في عيوب الأُمراء وترسل إلى غير مصرهم من الأمصار، فنتج عن ذلك قيام جماعات من المسلمين ـ بتحريض السبئيين ـ وقدومهم إلى المدينة وحصرهم عثمان في داره، حتّى قتل فيها،

كل ذلك كان بقيادة السبئيين».

«إنّ المسلمين بعدما بايعوا عليّاً، ونكث طلحة والزبير بيعته وخرجا إلى البصرة، رأى السبئيون أنّ رؤساء الجيشين أخذوا يتفاهمون، وأنّه إن تمّ ذلك سيأخذون بدم عثمان، فاجتمعوا ليلاً وقرّروا أن يندسوا بين الجيشين ويثيرواالحرب بكرة دون علم غيرهم، وأنّهم استطاعوا أن ينفّذوا هذا القرار الخطير في غلس الليل قبل أن ينتبه الجيشان المتقاتلان، فنأوش المندسّون من السياسيين في جيش عليّ من كان بأزائهم من جيش البصرة، ففزع الجيشان وفزع رؤسائهما، وظنّ كلّ بخصمه شرّاً، ثمّ إنّ حرب البصرة وقعت بهذا الطريق، دون أن يكون لرؤساء الجيشين رأي أو علم»[١].

انقياد من غير تحقيق

لقد تعاطى الكثير هذه الرواية بحالة انسياق غير مألوفة في طريقة تلقيهم لأمثالها من الروايات، وتجاوز ـ للضوابط في قبول وردّ الرواية ـ غير معهود، وتقبل من غير فكر وملاحظة، ولم يكلفوا أنفسهم ولم يثير السؤال في أذهانهم ولم يرجعوا محتواها وإنطباقها واختلافها مع ما تتمسك به من غير عقيدة وما تمتلكه من تراث روائي ضخم ولم يمنعهم من قبولها، المصدر الذي يعتبر الأوّل والأخير فيها وما جاء بحقه وموقعه في ميزان العلماء وموقع روايته عندهم ولم ينظروا إلى تقييمات أهل الفن من علماء الإسلام في معرفة الرجال وقد ذكرت جملة منها تبين من خلالها حقيقة شخصية سيف بن عمر، وطريقة التعامل مع روايته وموقع روايته إذ انفرد

(١) تاريخ الطبري: ج ٣، ص ٣٧١.

بها، والمؤسف انقياد وتقليد مجموعة من الآراء مع آراء الطبري واعتمادها نتائج خطيرة ضدّ أتباع أهل البيت عليهم السلام على طريقة الطبري.

١ـ محمّد أبو زهرة: يذكر رواية الطبري ثمّ يقول: «وهكذا ترى شيخ المؤرّخين «الطبري» بين كيف كانت مؤامرات هؤلاء لإفساد المسلمين واتخذا من الشكوى من بعض ولاة عثمان ذريعة للدعوة إلى الانتفاض وبثّ الأفكار المنحرفة... وفي ظل هذه الفتن نبت المذهب الشيعي وإن كان الشيعة ومعهم غيرهم يقول: إنّ جذوره تمتد إلى وقت وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله»(١).

٢ـ محمّد رشيد رضا: قال: «وكان مبتدع أُصوله (التشيّع) يهودي اسمه عبدالله بن سبأ، أظهر الإسلام خداعاً، ودعا إلى الغلو في عليّ كرّم الله وجهه».

٣ـ أحمد أمين المصري: يقول: «والحق إنّ التشيّع كان مأوى يلجأ إليه كل من أرادهم الإسلام لعداوة أو حقد... ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية»(٢).

توثيق متطرف

شيخ المؤرّخين الطبري أرّخ نشوء الشيعة من نقطة الغلو التي تعني الكفر، وفتح باب الإفتراء والتهم والتكفير لجميع أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وبهذا حاول خلق حاجز نفسي بين المسلمين من المدرستين وعزل الشيعة في دائرة خارج المجتمع الإسلامي، لأنّه جعل الغلو أساس لبناء المذهب في عقائده ومواقفه وسلوكه، وبهذا القول إرتكب خطأً لا يغتفر وأسس فتنة

---

(١) المذاهب الإسلامية: ص ٤٧.

(٢) فجر الإسلام: ص ٢٧٠.

توارثتها الأجيال وتلقفها أعداء الإسلام للطعن بكل الإسلام.

ثمّ جعل هذا البناء من صنع اليد اليهودية بكل جزئياته، ثمّ أظهر شخصية ذات قدرات خارقة للعادة استطاعت أن تخلق تيار فكري وعقائدي وعسكري وسياسي، في فترة زمنية قصيرة جدّاً، لم يتمكن الرسول ﷺ بدعوته الحقة والتأييدات الإلهية أن يؤثّر ويغير بمثل تلك الفترة القياسية وهذه الشخصية ابن سبأ الملحد الزنديق الذي يُنسب له أنّه هو الذي استطاع أن يظلّل المجتمع الإسلامي آنذاك ويلعب على عقولهم، ويؤثّر عليها، ويدخل مبادئه اليهودية والزرادشتية ويهيمن على عقول السامعين وينسيهم ما تمسكوا به وما تعلموه من الرسول ﷺ من عقائد.

الغلو بقدرات ابن سبأ والطعن بوعي الصحابة

لقد صوّر الطبري ابن سبأ بشكل لو كان هو أيضاً في عصره لتأثّر بمقولته ولكان من أتباعه، لأنّه قادر على الهيمنة على عقول السامعين واستغفال كبار الصحابة وأشعل الفتن، إذ استطاع على رواية الطبري بفتنته قتل عثمان وطلحة والزبير وخلق حرب الجمل وجعل كبار الصحابة مبلغين لمقولاته، وبعد ذلك كانت له من الوجاهة عند المسلمين ما يُسخر ويُخضع بها الصحابة والشخصيات المهمّة في المجتمع الإسلامي.

من أمثال عمار بن ياسر ﵁ الذي قال له رسول الله ﷺ: **«يا عمار تقتلك الفئة الباغية»**[1]، وقال: **«إذا اختلف الناس كان ابن سميّة مع الحقّ»**[2]،

(١) أُسد الغابة: ج ٥، ص ٢٦٧.

(٢) سير أعلام النبلاء: ج ١، ص ١٤٦.

ولذلك عندما أنكر الناس على أبي العادية جريمته بقتله عمار رضي الله عنه اعترف على نفسه بأنّه من أهل النار بقوله: «والله لو أنّ عماراً قتله أهل الأرض لدخلوا النار»(١).

وقال حبة بن جوين العرني: قلت لحذيفة بن اليمان: حدّثنا فإنّا نخاف الفتن، فقال: عليكم بالفئة التي فيها ابن سميّة فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق»(٢).

وأدخل الطبري الصحابي الجليل صادق اللهجة أبوذر الغفاري الذي وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «ما أقلّت الغبراء، ولا أظلّت الخضراء، أصدق لهجة من أبي ذر»(٣).

وقال أبوذر: بايعني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً، وواثقني سبعاً، وأشهد الله عليَّ سبعاً، ألّا أخاف في الله لومة لائم»(٤).

فبهذه الطريقة يتعامل الطبري مع كل ما يتصل بالتشيّع، وفي هذا الموضع ينسى نظرية عدالة الصحابة والتي يمثل عمار وأبوذر الطبقة الأُولى منهم، ويجعلهم أداة مرنة بيد اليهودي ابن سبأ ثمّ حرّف مواقفهم المبدئية وصلابتهم في ذات الله إلى جهل وإغواء، ويقف إلى جانب الطليق معاوية بن أبي سفيان في تسييره أبوذر من الشام إلى المدينة على بعير بلا وطاء حتّى تآكل لحم فخذيه(٥).

---

(١) أُسد الغابة: ج ٥، ص ٢٦٧.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣١٠، طبع في ١٩٧٩م طبعة دار الفكر.

(٣) المستدرك: ج ٣، ص ٣٤٢، الطبقات الكبرى، لابن سعد: ج ٤، ص ٢٢٨.

(٤) مسند أحمد: ج ٥، ص ١٧٢، سير أعلام النبلاء: ج ٢، ص ٦٢.

(٥) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٧١.

وبهذا قد يكون تجاوز أحاديث الرسول ﷺ التي جعل فيها عمار بن ياسر علامة الحقّ والهدى ويفسر مواقفه المبدئية بدافع التحريك اليهودي الذي نسبه إلى ابن سبأ.

وكذلك كان موقفه مع صادق اللهجة أبوذر الغفاري إذ جعله اُلعوبة بيد اليهود واستغل ذلك أحمد أمين ونسبه إلى المزدكية.

فمع كل الوثائق النبوية والتاريخ الجهادي لهؤلاء الصحابة نرى الطبري يصدق سيف بن عمر ولا يصدق الرسول ﷺ يصدق معاوية ويكذب عمار وأباذر.

وقد جاءنا الرسول ﷺ بالخبر اليقين وقال الله: ﴿**وما آتاكُمُ الرسول فَخُذُوهُ وما نهاكُم عنهُ فانتَهوا**﴾[1].

فهكذا تعامل المؤرخون مع الغلو وربطه بالشيعة.

ملاحظات على الربط المشبوه

رواية ابن سبأ التي جعلها المؤرّخون نقطة بداية التشيّع تعتمد على مرتكز واحد وهو رواية سيف بن عمر، وقد كتب السيد مرتضى العسكري دراسة مفصّلة ودقيقة في هذه المسألة انتهى بها إلى نهاية أسناد هذه الرواية إلى سيف بن عمر بجميع طرقها، ووضع تقييماً لهذه الشخصية استخرجه من آراء العلماء من القرن الثالث إلى القرن العاشر الهجري سنذكره نصّاً.

---

(١) الحشر: ٧.

قيمة أحاديث سيف[١]

قال يحيى بن معين المتوفى سنة (٢٣٣ هـ): «ضعيف الحديث فليس خير منه»[٢].

وقال النسائي صاحب الصحيح المتوفى سنة (٣٠٣ هـ): «ضعيف متروك الحديث ليس بثقة، ولا مأمون».

قال أبو داود المتوفى سنة (٣١٦ هـ): «ليس بشيء كذّاب».

وقال ابن أبي حاتم المتوفى سنة (٣٢٧ هـ): «متروك الحديث».

وقال ابن السّكن المتوفى سنة (٣٥٣ هـ): «ضعيف».

وقال ابن عديّ المتوفى سنة (٣٦٥ هـ): «ضعيف، بعض أحاديثه مشهورة وعامّتها منكرة لم يتابع عليها».

وقال ابن حبان المتوفى سنة (٣٥٤ هـ): «يروي الموضوعات عن الإثبات، اتّهم بالزندقة، وقال: «قالوا: كان يضع الحديث».

وقال الحاكم المتوفى سنة (٤٠٥ هـ): «متروك، اتّهم بالزندقة».

وقال الخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٠٦ هـ) كما في ترجمة خزيمة غير ذي الشهادتين من الإصابة ونقل ابن عبد البرّ المتوفى سنة (٤٦٣ هـ) عن أبي حيّان أنّه قال فيه: «سيف متروك وإنّما ذكرنا حديثه للمعرفة، ولم يعقّب ابن عبد البرّ على هذا الحديث شيئاً».

وقال الفيروز آبادي المتوفى سنة (٨١٧ هـ): «صاحب تآليف» وذكره

---

(١) عبدالله بن سبأ، مرتضى العسكري: ج ١، ص ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) ميزان الإعتدال: ج ٢، ص ٢٥٥.

مع غيره وقال عنهم: «ضعفاء».

وقال ابن حجر المتوفى سنة (٨٥٢ هـ) بعد إيراد حديث ورد اسمه: «فيه ضعفاء أشدّهم سيف».

وقال صفي الدين المتوفى سنة (٩٢٣ هـ): «ضعفوه، له في الترمذي فرد حديث».

ابن سبأ بين الواقع والأُسطورة

يبدو واضحاً أنّ الدور الذي أُعطي لابن سبأ في الأحداث التي جرت إبان حكم الخليفة الثالث وما بعدها، نوع من نسيج الخيال، وتهويل لشخصية مغمورة، لم يكن لها أي دور يذكر في تلك الأحداث، وقد ذهب البعض إلى التشكيك في صحة وجوده كما قال طه حسين: «إنّ عبدالله بن سبأ شخصية خيالية، أوجدها خصوم الشيعة للطعن بهم»، وقال الدكتور إبراهيم بيضون: «والسبئية، أسطورة كانت أم حقيقة، فهي على هامش التشيّع ومتناقضة في الصميم مع الفكر الشيعي، بخلفيته السياسية البحته»[1].

وابن سبأ لم يذكر في كتب الشيعة إلاّ شخصية ملعونة مغالية، غالى في الإمام عليّ عليه السلام فحكم فيه بحكم الإسلام، فهو شخصية منحرفة لم يكن لها أثر ... ذكر الطبري، والذين اعتمدوا على تاريخه من المؤرّخين وغيرهم لم ... يذكروا الطبري ـ سابقاً له أو معاصراً ـ على روايته في نسبة فتنة قتل الخليفة ... وإظهار قول الإمامة بالنصّ وغيرها إلى ابن سبأ كما نسبه الطبري، ... خلال التاريخ الإسلامي المكتوب باستثناء الطبري، تكون الصورة

---

(١) الأموية والمعارضة: ص ٤٥.

الواقعية بالحجم الطبيعي لابن سبأ، هو ما ذكرناه، والمؤرّخين الشيعة والسنّة لا يختلفون في ذلك.

أمّا الصورة الأُسطورية، التي وهبته القدرات التأثيرية الخارقة، والقادرة على تغيير التركيبة الإسلامية العقائدية، والمحركة للمجتمع الإسلامي ضدّ الخلافة في المدينة ووقوع وجوه الصحابة من أهل السابقة والإيمان تحت تأثير ابتداعات ابن سبأ، فهي من مختصات كتاب الطبري والكتب الأُخرى التي أُخذت عنه.

فالصورة الأُولى لا خلاف فيها ولو بقيت على وضعها الطبيعي ولم ينسب إلى جهة لبقيت قضية مهملة مثل كثير من المسائل، فهي لا تستحق أكثر من سطر في التاريخ.

أمّا الصورة الثانية فهي التي يصدق عليها القول بالأسطورة والأكذوبة وغيرها من الصفات المشابهة ويصدق عليها قول العلامة السيد مرتضى العسكري والدكتور طه حسين، والشيخ كاشف الغطاء، إذ قال الأخير: «إنّ عبدالله بن سبأ، ومجنون بني عامر، وأبي هلال وأمثال هؤلاء الرجال أو الأبطال كلّها أحاديث خرافة وضعها القصاصون وأرباب السمر والمجون»[1].

تعارض المحتوى مع المسلمات

أوّلاً: الطعن بالصحابة اللذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض وجعلهم موضع ثقة الأُمّة ووصفهم بصفات الخير والصدق وجعلهم علامة

---

(١) أصل الشيعة وأُصولها، تحقيق علاء آل جعفر: ص ١٨١.

الحقّ والهدى عن المعسكر الذي هم فيه، وقد تقدمت الروايات حول عمار ابن ياسر رضي الله عنه وأبوذر الغفاري رضي الله عنه.

ثانياً: إنّه يحمل الشتيمة لجميع الأُمّة الإسلامية آنذاك، لوصفه لها بالسذاجة وعدم الوعي والمبدئية، إذ صوّرها وهي في حالة انقياد لشخصية مجهولة ـ وعلى أفضل الإحتمالات حديثة عهد بالإسلام ـ طارئة على الإسلام، استطاعت تحريك الأُمّة وخلق الفتن التي بدأت ولم تنته.

ثالثاً: تتضمن الرواية الردّ والتكذيب لحديث الرسول ﷺ وتصديق الزنديق سيف بن عمر.

لأنّ الرسول ﷺ قال: «**ما أقلت الغبراء ولا أضلت الخضراء أصدق ذي لهجة من أبي ذر**».

ووصفت الرواية أقوال أبوذر بأنّه تعلّمها ووضعها على لسانه ابن سبأ وفتح الطبري الباب لغيره ليقول أنّ أباذر يحمل الآراء المزدكية واليهودية.

وهكذا عمار بن ياسر رضي الله عنه وجندب بن كعب وكثير من الصحابة الذين أثنى عليهم الرسول ﷺ ثناءً يتضمن حسن العاقبة وسلامة المسيرة والموت على الهدى والبصيرة.

فنسبة هؤلاء المؤمنين من الصحابة إلى إلى ابن سبأ مع ورود الثناء النبوي عليهم ردّ وتكذيب لأقوال الرسول ﷺ وحديثه، وهو خلاف للأوامر الإلهية القاضية بتصديق النبيّ ﷺ وعدم تكذيبه، قال: ﴿**وما آتاكُمُ الرسول فَخُذُوهُ وما نهاكُم عنهُ فانتَهوا واتّقوا اللهَ إنَّ اللهَ شَديدُ العِقابِ**﴾[1].

---

(١) الحشر : ٧.

وقال: ﴿قُلْ أطيعوا اللهَ والرسولَ فإنْ تَولّوا فإنَّ اللهَ لا يُحبُّ الكافِرِينَ ﴾(١).

رابعاً: تشويه سمعة الصحابة الناقمين على سياسة عثمان القائمة على تسليط بني أُميّة على مقدّرات الأُمّة، والذين لم يقصروا في النص ومحاولة الإصلاح، والذين كانوا يتحركون بدوافع الحفاظ على التجربة الإسلامية من الإختراق والتشويه، وإعادة الإعتبار لتطبيق السنّة النبوية بمضامينها الحقيقية، وإعادة المجتمع الإسلامي إلى تركيبته ومسيرته التي فارقه عليها الرسول ﷺ.

وبني أُميّة بدأوا بجر التجربة الإسلامية إلى النموذج الجاهلي الذي كانوا عليه قبل الإسلام.

الحقيقة المزوّرة

كل ما جاء في رواية الطبري إظهار لشخصية الخليفة عثمان بأنّها غير مقصرة وأنّ الإختلاف الذي حدث جاء من خارج دائرة الصحابة والمجتمع الإسلامي ولكن هذه التي كشفت كتب التاريخ عنها وذكرت بواعث التحرك ضدّ عثمان بشكل مفصّل ولم تذكر لابن سبأ دور فيها، ولم يذكره صحابي ولا تابعي ولو كان لذكره ولو واحد منهم!

والذي ذُكر في التاريخ أنّ تلك الفتنة كانت وليدة تراكمات أخطاء وتجاوزات ولاة عثمان والحكومة المركزية والتي لم تراع فيها الحدود الشرعية وحقوق الأمّة، واستئثار بنو أُميّة وآل أبي معيط بجميع مقدرات الأُمّة.

(١) آل عمران : ٣٢.

ولذلك كان وجوه الصحابة من أهل الشورى ضمن الناقمين على عثمان أمثال طلحة والزبير، وعمرو بن العاص وأُمّ المؤمنين عائشة...

وكانت مواجهة الصحابة له بشكل أقسى وأجرء من غيرهم، إذ منعوه الماء وقتلوه ثمّ لم يصلوا عليه وبعد ذلك منعوا دفنه في قبور المسلمين.

فالمحاولات اليائسة لبعض المؤرّخين أمثال الطبري ومن هم على شاكلته، لتحريف الحقيقة واستغفال الأجيال التي لم تعاصر تلك الأحداث، لا يمكن أن تدوم وفي الأُمّة عقول حُرّة وإشعاع فكري وعلمي، ومع اتساع رقعة الإشعاع تتضح الحقائق وهنالك يخسر المبطلون.

إنّ الصورة التي رسمها سيف بن عمر والتي تمسك بها الطبري ثمّ التقت النظرة التقليدية بالنظرة الحديثة في المواقف ضدّ الشيعة، ما هي إلّا إبتغاء مرضاة بني أُميّة وإرضاء من هم على شاكلتهم من المعاصرين وإعادة اعتبار لأُولئك الذين بأخزائهم وخروجهم عن ثوابت الشريعة جلبوا السخط الشعبي والمخالفة للخليفة عثمان بن عفان، من أمثال الوليد وابن أبي سرح ومروان ابن الحكم ومعاوية بن أبي سفيان.

وهؤلاء خلقوا الفتن التي أدّت إلى قتل الخليفة عثمان، ثمّ بدأوا بالعمل للوصول إلى أهدافهم وقد تحقق ذلك لبعضهم عندما تحالف معهم أصحاب الأطماع ومن هو على شاكلتهم.

وإلّا لو كانت طريقة الوصول لمقام الخلافة والقيادة في المجتمع آنذاك تسير بشكلها الطبيعي القائم على المواصفات والملكات التي حددتها النظرية الإسلامية، لما وصل أُموي ولا عباسي إلى تلك المقامات المتقدمة في هرم تشكيلة المجتمع الإسلامي.

الفتنة أسبابها وشخصياتها

نسبة الأحداث لابن سبأ والشيعة تأسيس لجريمة ضدّ الأُمّة الإسلامية، تساهم في تباعد الرؤى ونسف نقاط الإلتقاء وتخلق منهم أُمم لا تعترف ببعضها ولا تمتلك مشتركات للقاء.

لأن أبعد نقطة عن الإسلام الكفر، وأشدّ عدوّ للمسلمين اليهود والمشركين، فالرواية تريد أن تخلق هذه الأجواء ضدّ مذهب أهل البيت عليهم السلام، وتريد أن تميز موقع الشيعة من الإسلام وموقف الشيعة من المسلمين.

تريد للشيعة أن تعيش حالة إنزواء دائم وعزلة تهيء لحكومات الظلم والاستبداد فرصة لإشباع أطماعهم وشذوذهم.

وهذه من الجرائم والخيانات الكبرى للأمانة التاريخية ولمستقبل الأمّة، ولو انتهت المسألة عند زمن روايتها لهان الأمر، فهي تعدّت ذلك الزمن والكتاب لتصبح تلك المعلومة الشاذة، المنحرفة عن الحقيقة والصدق، مصدراً ومرجعاً في المعرفة في هذا الباب وتلقاه المتأخرون وكأنّه الحقيقة الكاملة والرأي الصحيح، وأخذ البعض يستعملها للتفرقة والإنقسام كوسيلة سهلة.

وسوف نكشف عن أسباب الفتنة وشخصياتها في النقاط التالية:

أوّلاً ـ الصحابة حاصروا عثمان ومنعوه الماء طلحة نموذجاً

إنّ عثمان لما منع الماء صعد على القصر، واستوى في أعلاه ثمّ نادى: أين طلحة؟ فأتاه.

فقال: يا طلحة، أما تعلم أنّ بئر رومة كانت لفلان اليهودي، ولا يسقي أحداً من الناس منها قطرة إلّا بثمن، فاشتريتها بأربعين ألفاً، فجعلت رشائي فيها كرشاء رجل من المسلمين استأثر عليهم؟

قال ـ طلحة ـ: نعم.

قال: فهل تعلم أحداً يمنع أن يشرب منها اليوم غيري؟ لم ذلك؟

قال: لأنّك بدّلت وغيّرت.

وبعد حوار طويل بين عثمان وطلحة والأخير لا يجب إلاّ بقول: لأنّك بدّلت وغيّرت.

«ثمّ انصرف وبعث إلى عليّ يخبره أنّه منع من الماء، ويستغيث به، فبعث عليّ عليه السلام ثلاث قرب مملؤة ماء، فما كادت تصل إليه، فقال طلحة: ما أنت وهذا؟ وكان بينهما كلام شديد...»(١).

ويذكر ابن الأثير في تاريخه: إنّ القعقاع بن عمرو قال لطلحة ـ يوم الجمل ـ: «يا أبا محمّد إنّك لجريح، وإنّك عمّا تريد لعليل، فادخل البيوت، فدخل ودمه يسيل وهو يقول: اللّهم خُذ لعثمان منّي حتّى ترضى»(٢).

والذي «رماه مروان بن الحكم بسهم فصرعه(٣)، وقال: لا أطلب والله بعد اليوم بدم عثمان»(٤).

---

(١) الإمامة والسياسة «المعروف بتاج الخلفاء»: ٥٢، لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة (٢٧٦ هـ) تحقيق الشيري.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٣١، أحداث سنة (٣٦).

(٣) الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٣٢، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٨٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٨٢.

ثانياً ـ الصحابة، وأمّ المؤمنين يحرضون الناس على قتله

يقول اليعقوبي في تاريخه: «وكان أكثر من يؤلّب عليه طلحة والزبير وعائشة».

«كان عثمان يوماً يخطب إذ دلّت عائشة قميص رسول الله ﷺ، ونادت: يا معشر المسلمين! هذا جلباب رسول الله ﷺ لم يبل، وقد أبلى عثمان سنّته!

وصار مروان إلى عئشة فقال: يا أمّ المومنين، لو قمت فأصلحت بين هذا الرجل وبين الناس؟

قالت: لعلّك ترى أنّي في شكّ من صاحبك؟

أما والله لوددت أنّه مقطع في غرارة من غرائري، وإنّي لا أُطيق حمله، فأطرحته في البحر»(١).

ومعاوية الذي كشف له عثمان عن نواياه في تأخير نصرته عندما قال معاوية: «قد قدمت لأعرف رأيك وأعود إليهم فأجيئك بهم ـ حماته من أهل الشام ـ قال عثمان: لا والله، ولكنّك أردت أن أُقتل فتقول، أنا وليّ الثأر.

ارجع فجئني بالناس! فرجع، فلم يعد إليه حتّى قتل»(٢).

وبعد قتله صدقت نبوءة عثمان إذ «كان معاوية يعلق قميص عثمان وفيه الأصابع(٣)، فإذا رأى ذلك أهل الشام إزدادوا غيضاً ووجداً في أمرهم، ثمّ رفعه، فإذا أحس بفتور يقول له عمرو بن العاص: حرك لها

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٧٥.

(٣) أصابع نائلة امرأة عثمان.

حوارها تحن فيعلوها»[١].

وعمرو بن العاص الذي وجّهه عثمان لأهل مصر ليتكلّم معهم فتكلّم بكلام طويل أثنى به على الرسول ﷺ والخليفتين أبي بكر وعمر ثمّ قال: «ثمّ ولّي عثمان، فقلتم، وقال: تلومونه ويعذر نفسه، أفليس كذلك؟ قالوا: بلى.

قال: فاصبروا له، فإنّ الصغير يكبر والهزيل يسمن، ولعلّ تأخير أمر خير من تقديمه ثمّ نزل، فدخل أهل عثمان عليه فقالوا له: هل عابك أحد بمثل ما عابك به عمرو؟!

فلمّا دخل عمرو قال: يا ابن النابغة! والله مازدت إن حرّضت الناس عليّ.

قال: والله لقد قلت فيك أحسن ما علمت، ولقد ركبت من الناس، وركبوها منك، فاعتزل إن لم تعدل! فقال: يا ابن النابغة قمل درعك مذ عزلتك عن مصر»[٢].

وكان يقول ابن العاص عن موقفه من عثمان: «والله إنّي كنت لألقى الراعي فأُحرّضه على عثمان وأتي عليّاً، وطلحة والزبير فأُحرضهم على عثمان»[٣].

وقال عثمان: «اللّهم اكفني طلحة فإنّه حمل على هؤلاء وألّبهم عليّ، والله إنّي لأرجو أن يكون منها صفراً وأن يسفك دمه»[٤].

وقد كان في كلام عثمان دليلاً على أنّ جميع أهل المدينة كانوا ممّن

---

(١) الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٨٢ أحداث سنة (٣٥).

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٧٥.

(٣) الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٥٥.

(٤) المصدر السابق: ص ٦٤.

حاصر عثمان إلّا بنو أمية وقد قال لهم في اليوم الثالث من الحصار: «يا أهل المدينة أستودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي»(١).

ولم يخاطبهم باسم السبئية أو عنوان آخر ومطالباتهم كانت مشخصة ومحددة.

وقد كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم إلى من بالآفاق منهم: «إن أردتم الجهاد فهلمّوا إليه فإنّ دين محمّد ﷺ قد أفسده خليفتكم فأقيموه»(٢).

هذا في مركز الخلافة الإسلامية المدينة، أمّا الولايات الأخرى كالكوفة ومصر والبصرة فهم قدموا من ولاياتهم استجابة لهذه الدعوة والجماهير الإسلامية في عرض البلاد وطولها ناقمة على عثمان، وكانت قيادة المعارضة للولايات المركزية يتصدرها الصحابة وأبناءهم(٣).

وذكر الطبري في تاريخه موقف الصحابة من الخليفة عثمان عن عبدالرحمن بن سيّار أنه قال: «لمّا رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النبيّ ﷺ إلى من بالآفاق منهم وكانوا قد تفرقوا في الثغور، إنّكم إنّما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عزّوجلّ، تطلبون دين محمّد ﷺ فإنّ دين محمّد قد أفسده من خلفكم وترك، فهلمّوا فأقيموا دين محمّد ﷺ فأقبلوا من كل أُفق حتّى قتلوه»(٤).

وهذه دعوة الصحابة في المدينة إلى غيرهم من الصحابة ولم يذكر فيها

(١) الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٦٢.
(٢) الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٥٨.
(٣) ذكر صاحب الكامل في التاريخ تفصيلاً في ذلك: ج ٣، ص ٥٠، أحداث سنة (٣٥).
(٤) تاريخ الطبري: ج ٣، ص ٤٠٠ ـ ٤٠١، أحداث سنة (٣٥).

علّة إلّا التبديل والإفساد في الدين وترك السنّة، وكذلك الموقف المقابل لأهل المدينة الذي اتخذه عثمان برسالته إلى معاوية لم يذكر فيها السبئية، أو أمثالها وإنّما قال: بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد فإنّ أهل المدينة كفروا وخلعوا الطاعة، فابعث إليّ من قبلك من مقاتلة أهل الشام على كل صعب وذلول...»[١].

الصحابة لم تنصر الخليفة

عن أبي الطفيل، عامر بن وائلة الصحابي، إنه دخل على معاوية، فقال له معاوية:

ألست من قتلة عثمان؟

قال: لا، ولكنّي ممَّن حضره ولم ينصره.

قلا: وما منعك من نصره؟

قال: لم تنصره المهاجرون والأنصار.

فقال معاوية: أما لقد كان حقّه عليهم أن ينصروه.

قال: فما منعك يا أمير المؤمنين من نصره ومعك أهل الشام؟

فقال معاوية: أمّا طلبي بدمه نصرة له.

فضحك أبو الطفيل ثمّ قال: أنت وعثمان كما قال الشاعر:

لا ألفينّك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زاداً[٢]

(١) تاريخ الطبري: ج ٣، ص ٤٠٢.

(٢) تاريخ الخلفاء: ص ٢٠٠.

ثالثاً ـ النقمة الجماهيرية

مخالفة سنّة الرسول ﷺ وسنّة الشيخين أثارت نقمة الناس على عثمان، وقد تعهد بالإلتزام بها يوم الشورى، إذ «قدّم أقاربه وذوي أرحامه، وكان الغالب عليه مروان بن الحكم بن العاص، وأبو سفيان بن حرب».

ثمّ ذكر اليعقوبي: «أن نقم الناس على عثمان بعد ولايته بستّ سنين، وتكلّم فيه من تكلّم، وقالوا: آثر القرباء، وحمى الحمى، وبني الدار، واتخذ الضياع والأموال بمال الله والمسلمين، ونفى أباذر صاحب رسول الله ﷺ، وهبد الرحمن بن حنبل، وآوى الحكم بن العاص، وعبدالله بن سعد بن أبي‌سرح طريدي رسول الله ﷺ وأهدر دم الهرمران»[١].

وقد ذكر ابن الأثير: «أنّ جبلة بن عمرو الساعدي مرّ به عثمان وهو في نادي قومه وبيده جامعة فسلم فردّ القوم فقال جبلة: تردون على رجل فعل كذا وكذا؟

ثمّ قال لعثمان: والله لأطرحنّ هذه الجماعة في عنقك أو لتتركنّ بطانتك هذه الخبيثة مروان، وابن عامر، وابن سعد، منهم من نزل القرآن بذمّه وأباح رسول الله ﷺ دمه»[٢].

امرأة عثمان تنصح عثمان باتّباع السنّة وتقوى الله إذ تقول:

قد أطعت مروان يقودك حيث شاء، قال: ما أصنع؟

قالت: تتقي الله وتتبع سنّة صاحبيك (من قبلك) فإنّك متى أطعت مروان

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٥٨.

قتلك، ومروان ليس له عند الناس قدر، ولا هيبة، ولا محبّة، وإنّما تركك الناس لمكانه»[١].

وقال عليّ عليه السلام: «أي عباد الله، يا للمسلمين، إنّي إن قعدت في بيتي، قال لي: تركتني وقرابتي وحقّي، وإنّي إن تكلّمت فجاء ما يريد، يلعب به مروان، فصار سيقة له يسوقه حيث يشاء، بعد كبر السن وصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله».

وقام مغضباً حتّى دخل على عثمان، فقال له: «أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلاّ بتحرّفك عن دينك وعن عقلك، مثل جمل الضعينة، يقاد حيث يشاء ربّه، والله ما مروان بذي رأي في دينه، ولا نفسه، وأيم الله إنّي لأراه يوردك ولا يصدرك، وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك، وغُلبت على رأيك»[٢].

رابعاً ـ السياسة الإقتصادية الجائرة

أ ـ خازن بيت مال المسلمين

يعتبر بيت المال ملك للخليفة عثمان وأهله من بني أُميّة، وحدّث أبوإسحاق عن عبد الرحمن بن يسار قال: رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة، إذا أمسى آتاه عثمان، فقال له: إدفعها إلى الحكم بن أبي العاص، وكان عثمان إذا أجاز أحداً من أهل بيته بجائزة جعلها فرضاً من بيت المال، فجعل يدافعه ويقول له: يكون فنعطيك إنشاء الله، فألح عليه، فقال: إنّما أنت خازن لنا، فإذا أعطيناك فخذ، وإذا أسكتنا عنك فاسكت.

(١) الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٥٧.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٥٦ ـ ٥٧.

فقال: كذبت والله! ما أنا لك بخازن، ولا لأهل بيتك، إنّما أنا خازن المسلمين.

وجاء بالمفتاح يوم الجمعة وعثمان يخطب، فقال: أيّها الناس، زعم عثمان أنّي خازن له ولأهل بيته، وإنّما كنت خازناً للمسلمين، وهذه مفاتيح بيت مالكم، ورمى بها، فأخذها عثمان، ودفعها إلى زيد بن ثابت»[١].

ب ـ هبات ضخمة من بيت المال

في عام (٢٧ هـ) افتتحت أفريقية «وكثرت الغنائم، وبلغت ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ـ (٢٥٢٠٠٠٠) دينار ـ وأنّ عثمان زوّج ابنته من مروان بن الحكم، وأمر له بخمس هذا المال»[٢].

عبد الرحمن بن عوف يعارض عثمان

ذكر عبد الرحمن أنّ إبلاً من إبل الصدقة قُدِم بها على عثمان فوهبها لبعض بني الحكم فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فأخذها وقسّمها بين الناس وعثمان في الدار»[٣].

وزوّج عثمان ابنته من عبدالله بن خالد بن أسيد، وأمر له بستمائة ألف درهم، وكتب إلى عبدالله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة»[٤].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٣) الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٥٨.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٦٨.

ج ـ ضرائب منهكة للدخل الفردي

عزل عثمان عمرو بن العاص وولّى عبدالله بن أبي سرح... فقال عثمان لعمرو لما قدم: كيف تركت عبدالله بن سعد؟

قال: كما أحببت! وما ذاك؟

قال: قويّ في ذات نفسه، ضعيف في ذات الله.

قال: لقد أمرته أن يتبع أثرك.

قال: لقد كلّفته شططاً.

واجتبى عبدالله مصر اثني عشر ألف ألف دينار، فقال عثمان لعمرو: درّت اللقاح، قال: ذاك أن يتمّ يضر بالفصلان[١].

د ـ تصرفات شخصية مثيرة

كان في بيت مال المدينة سفط فيه حليّ وجواهر فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك، وكلّموه فيه بكلام شديد حتّى أغضبوه، فقال: هذا مال الله، أُعطيه من شئت وأمنعه من شئت، فأرغم الله أنف من رغم...

وفي لفظ آخر: لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفيء وإن رغمت أُنوف أقوام.

فقال لي عليّ عليه السلام: «إذاً تمنع من ذلك ويحال بينك وبينه»[٢].

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٦٤.

(٢) أنساب الأشراف: ج ٦، ص ١٦١.

نتائج من المشاهد

يستفاد من الوقائع التي ابتدأت بتولي عثمان وحتّى حادث القتل، الذي وقع (لإثني عشرة ليلة بقيت من ذي الحجّة سنة ٣٥هـ) أنّ الأسباب لم تكن من صناعة الشخصية الأسطورية ابن سبأ وإنّما كانت بواعثها بما يمكن تلخيصها:

النوع الأوّل ـ الأسباب الدينية

١ ـ المخالفة الصريحة للقرآن والسنّة النبوية.

٢ ـ مخالفة التعهد الذي أُخذ عليه يوم الشورى بالسير على طريقة الشيخين.

٣ ـ إبدال الشرع بالهوى، والكفاءة بالقرابة، والمؤمن بالطليق.

٤ ـ فقدان العدل والتساوي في الحقوق بين أبناء الأُمّة.

٥ ـ فتح أبواب المساجد لإجراء العروض السحرية والشعوذة كما حدث ذلك في مسجد الكوفة.

النوع الثاني ـ الأسباب السياسية

١ ـ إبعاد الأُمراء والقضاة من غير الأُمويين وحصر هذه المناصب لبني أُميّة خاصّة.

٢ ـ إرغام الصحابة المؤمنين ذوي المقام القريب من رسول الله ﷺ والتنكيل بهم.

٣ ـ إنغماس أكثر الأُمراء في الترف ودواعي الشهوات.

٤ ـ الاهتمام بالجباية إلى المستوى الذي يضعف الدخل الفردي.

٥ ـ فقدان قوّة السيطرة على الولايات وأُمراءها.

٦ ـ حالة الإنحياز إلى بني أُميّة أدّى إلى تفرق الأُمّة إلى عصبيّات وأحزاب سياسية كلّها تطمع بالخلافة.

النوع الثالث ـ الأسباب الاقتصادية

١ ـ فقدان الحكومة لنظرية اقتصادية ثابتة يعرف المواطن حقّه فيها.

٢ ـ حرمان العطاء الشهري للأحرار من الصحابة، كما حدث ذلك لعبدالله بن مسعود...

٣ ـ الهبات غير المحدودة لبني أُميّة وخاصّة الخليفة.

٤ ـ الإعتقاد بتملك الخليفة والوالي لبيت المال، الذي هو ضمن مسؤوليته، وعامل بيت المال عامل على أموال الخليفة أو الوالي الخاصّة.

* * *

الفصل الخامس

مناشئ وأهداف الغلو

نشوء الغلو

نشأ الغلو في الفكر البشري تأثراً بحالات المبالغة في التقييم للأفكار والشخصيات، وخصوصاً تلك التي يميل إليها طبع الإنسان، هذا على المستوى العام.

أمّا المستوى الخاص: فهو العقائد والفرق المنحرفة ؛ التي عمل بها الفكر والهوى الإنساني كالبوذية والزرادشتية واليهودية والنصرانية والهنود.

وهؤلاء جميعاً حاولوا إعطاء أفكارهم صبغة علمية وفلسفية لإقناع أتباعهم والدعوة لأفكارهم.

وألبس أعداء الإسلام والجهلة ـ اللذين لم يدركوا عقائد ومفاهيم وروح الإسلام ـ هذه الأفكار لباس الإسلام وحاولوا صبغها بصبغة الإسلام لتدخل ضمن الرؤى الإسلامية.

وتستر هؤلاء بتقربهم للصالحين وإظهارهم الصلاح، وأندس بعضهم في صفوف أصحاب الأئمة لاستغلال المكانة العظيمة للأئمة عليهم السلام في نفوس المسلمين لتمرير أفكارهم من خلال إنتسابهم، وحاول الغلاة اختراق خط أهل البيت عليهم السلام وظهور الغلو كخط مواز لمذهب أهل البيت عليهم السلام ، وقد استمرت هذه الحالة وهذا النشاط حتّى نهاية عهد الأئمة عليهم السلام مع اختلاف في درجة

النشاط والفعالية تتناسب مع الظروف ودرجة ومساحة حركة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم.

وهيأت ظاهرة الغلو فرصة لخصوم أهل البيت عليهم السلام والساعين لتفريق الصف الإسلامي وتشتيت وحدة المسلمين، لاتهام أتباعهم بالغلو حتّى غدا الكثير من المضلّلين لا يفرقون بين مذهب الشيعة الإمامية وبين الغلاة، بل راح البعض يعدها من فرق الشيعة.

مناشئ الغلو وأهدافه

لا يمكن المرور بظاهرة الغلو بتسامح، واعتبارها حدثاً بسيطاً وطبيعياً من غير تدقيق في علل تكوين أفكاره، ونتتبع الجذور التي امتدت لتصل إلى ساحة مبادئنا ومقدساتنا، وانعكست على طريقة التعاطي من التشريعات والشخصيات الإلهيّة.

ولما كانت عقيدتنا بكل تفاصيلها تخلو من الثغرات التي تفك من تماسكها، لارتباطها وتماسك وإنسجام وحدتها البنائية، وهذه صفات المبادئ الإلهية، لأن ما يصدر من الله يمثل قمّة الكمال، ولا يمكن فيه إحتمال وجود ما يؤدّي إلى الإنحراف والإختلاف، وهذه هي صفات المسائل التي تصدر من الله تعالى: ﴿ولوْ كان مِنْ عِندِ غيرِ الله لَوَجدوا فيهِ اختِلافاً كثيراً﴾[1].

وهذا التماسك لا يسمح بنفوذ الأفكار الغريبة وإذا وُجدت عند أفراد، أو حاولت النمو في البيئة الإسلامية، فإنّها سريعاً ما تظهر عيوبها وتعارضها مع

---

(١) النساء : ٨٢.

معتقدات الأُمّة، وتفرزها المضادات والمناعات الفكرية التي لا تسمح ببقائها.

لأنّ امتلاك الأُمّة للمناعة في عقائدها يمكنها من مقاومة نفوذ كل غريب بعد تشخيصه.

فبناءً على هذا، إذا أردنا أن نفتش عن علل نشوء الغلو لا يمكن أن نجدها في العقيدة الإسلامية الأصيلة، القائمة على تنزيه الله تعالى من كل نقص، والتي تنفي أن يكون الباري عزّوجلّ يحمل صفات المخلوقات: ﴿لَم يَلِدْ ولَمْ يُولَد * ولَم يَكُنْ لَهُ كُفُواً أحَد ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾(٢).

ولا يأمر ولا يجوّز أن يتّخذ عباده أرباباً من دونه، حتّى إذا كان عباده من أحبّ مخلوقاته إليه وأكثرهم كمالاً،كالأنبياء والملائكة: ﴿ولا يأمركُم أنْ تتخِذوا الملائكةَ والنبيينَ أرباباً أيأمُركم بالكُفرِ بَعدَ إذْ أنتم مُسلِمونَ ﴾(٣).

وقبل كل ذلك غرس الاتجاه الفطري في النفس الإنسانية نحو عبادته سبحانه وتعالى وجعل الإنسان يعيش في أعماقه الإحساس بالعبودية له سبحانه وتعالى والإعتراف بربوبيته: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السماواتِ والأرضِ قُلِ الله ﴾(٤).

﴿ولئِنْ سألتُهم مَنْ خَلَقَ السماواتِ والأرض لَيقولُنَّ الله ﴾(٥).

وقد ذكّر سبحانه عباده بالنعم التي أنعمها عليهم وخلْقَهُم ومصيرهم،

---

(١) الإخلاص : ٣ ـ ٤.

(٢) الشورى : ١١.

(٣) آل عمران : ٨٠.

(٤) الرعد : ١٦.

(٥) لقمان : ٢٥.

الذي ينتهون إليه وعجز مادونه عن ذلك فقال سبحانه وتعالى: ﴿الله الذي خلَقَكُم ثمَّ رَزَقَكُم ثمَّ يُميتُكُم ثمَّ يُحييكُم هَلْ مِنْ شُركائكُم مَنْ يَفعَل من ذلِكُم مِنْ شيء سبحانَهُ وتعالى عمّا يُشركون﴾[١].

وحذر من أنواع الغلو بقوله: ﴿يا أهلَ الكِتابِ لا تغلوا في دينكُم ولا تقولوا على الله إلاّ الحق﴾[٢].

فالرسالة الإلهيّة لا تحمل في داخلها بذور الغلو، وقد كانت الآيات الإلهيّة في مقام النفي والتحذير والاستدلال على أنّ كل ما دون الله لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً ولا حياة ولا نشورا.

أمّا الذين غالى فيهم الناس وجعلوهم في مقام الربوبية فأحاديثهم وسلوكهم شاهد على عبوديتهم لله سبحانه وتعالى، وكل كرامة كانت لهم حصلوا عليها لإخلاصهم ومبالغتهم في العبودية.

فقد كان رسول الله ﷺ يحذر من الغلو بقوله: «إيّاكم والغلو في الدين»[٣]، وكان رسول الله ﷺ عبداً لله وتركزت دعوته على التوحيد وشعارها: «لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله»، ويكرر المسلم يوميّاً في صلاته: «أشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله».

وكان الإمام عليّ عليه السلام يقول في دعائه: «يا ربّ، يا ربّ، أسئلك بحقّك وقدسك وأعظم صفاتك وأسمائك، أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة وبخدمتك موصولة وأعمالي عندك مقبولة، حتّى تكون أعمالي وأورادي كلّها ورداً واحداً وحالي في

(١) الروم : ٤٠.

(٢) النساء : ١٧١.

(٣) لسان العرب: ج ١٥، ص ١٣٢.

خدمتك سرمداً»(١).

والإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «كان إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربّه عزّوجل»(٢).

وأمّا الإمام الحسين عليه السلام فدعائه بعرفة يحمل أرقى معاني التوحيد والعبودية التي تعتبر من الآثار المهمّة له: «**ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وَجَدَك، لقد خاب من رضي دونك بدلاً، ولقد خسر من بغى عنك متحولاً...**»(٣).

والصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام ذكرت أدق معاني التوحيد وأرقى مقامات العبودية والخضوع لله تعالى، والإمامين الباقر والصادق عليهما السلام كانت مقولتهم: «**... والله ما معنا من الله براءة، وما بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجة، ولا يتقرّب إلى الله إلاّ بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً نفعته ولايتنا، ومن كان منكم عاصياً لم تنفعه ولايتنا**»(٤).

وهكذا جميع أهل بيت النبوة في كلامهم وسلوكهم وتوجيههم لأتباعهم، فهم يؤكّدون على معرفة الله وتوحيده وطاعته، ثمّ إنّهم عباد له سبحانه وتعالى، وطريق القرب منه هي العبادة والانقياد التام لأوامره وإجتناب معاصيه ونواهيه، وهم يفتخرون بعبوديتهم لله.

فإذا تنزهت العقائد الإسلامية الأصيلة من وجود الأفكار الضالة والغالية، وكذلك أهل البيت عليهم السلام، فلم يبق مورد لنشوء الغلو يمكن التوجه إليه إلّا الطرف المغالي الذي يمكن أن يكون شخصاً فتأثر

---

(١) مقطع من دعاء كميل.

(٢) الأنوار البهية، عباس القمّي: ص ٧٥.

(٣) دعاء عرفة، ذكره جميع الذين كتبوا في الأدعية والزيارات، ويستحب قراءته يوم عرفة.

(٤) مشكاة الأنوار للطبرسي: ١٣٣.

بالعوامل الشخصية، أو تكون مؤسسة، وجهة منظمة تنطلق منها الآراء الغالية، بتوجيه منظم ومبرمج، وسوف نتناول العامل الشخصي، والعامل المنظم بشيء من التفصيل.

أوّلاً ـ العوامل الشخصية

أ ـ الحبّ غير المنضبط

لما جاءت الآيات والأحاديث تؤكّد مبدأ الحبّ والمودة لأهل البيت عليهم السلام وجعلت الحبّ أجر الرسالة ووسيلة القرب من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله.

وقد غفل البعض عن الحدود التي لا يجوز تجاوزها، فيحبّ بشكل غير منضبط ويصل إلى نتائج غير مقصودة في أوّل حركته بهذا الإتجاه، ويحسب أنّه يحسن ويتقرب بل يمكن أن يتصور نفسه أهدى من غيره.

وقد ذمّ الإمام عليّ عليه السلام هذا النوع من الحب بقوله: **«إنّ اليهود أحبّوا عزيراً حتّى قالوا فيه ما قالوا، فلاعزير منهم ولا هم من عزير، وإنّ النصارى أحبّوا عيسى حتّى قالوا فيه ما قالوا... إنّا على سنّة من ذلك، إنّ قوماً من شيعتنا سيحبّونا حتّى يقولوا فينا ما قالت اليهود في عزير وما قالت النصارى في المسيح عيسى، أبغضته اليهود حتّى بهتوا أُمّه، وأحبّه النصارى حتّى أنزلوه بالمنزلة التي ليس به»**.

ثمّ قال عليه السلام: **«يهلك فيَّ رجلان: محبّ مفرط يقرظني بما ليس فيَّ، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني»**[1].

وقال الرسول صلى الله عليه وآله: **«يا عليّ مثلك في هذه الأُمّة كمثل عيسى بن مريم أحبّه قوم**

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ٢٢٦.

فأفرطوا فيه، وأبغضه قوم فأفرطوا فيه»(١).

وقد حذّر الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «**اتقوا الله وعظّموا الله، وعظّموا رسوله صلى الله عليه وآله ولا تفضلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً فإنّ الله تبارك وتعالى قد فضله، وأحبّوا أهل بيت نبيّكم حبّاً مقتصداً ولا تغلوا**»(٢).

ب ـ الإنحطاط الفكري وتدني الوعي

البعض يكون بمستوى من العقل يقصر فيه عن فهم الحقيقة الدينية وجوهر العبودية وحدود القدرات التي يمكن أن تمنح للأولياء والأنبياء.

إذ أنّ الذين يصطفيهم الله لهداية الناس، لابدّ أن يكونوا بمستوى من المعرفة والعلم يتميّزون عن المجتمعات التي أُمروا بدعوتها وقيادتها، ثمّ لابدّ أن تكون علاقتهم بالله بشكل واضح يتحسسه المجتمع لتوكيد مهمتهم، لهذا كان الأنبياء مزودين بخوارق العادة، والقرآن شاهد على ذلك، وقد ذكر ما منحه الله للأنبياء من معجزات وقدرات لإثبات نبوتهم وصدقهم، ولما كان مقام الإمامة هو خلافة النبوة: «**يا عليّ أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبي بعدي**»، وهو ولي المؤمنين: ﴿**إنّما وليّكُمُ اللهُ ورَسولهُ والذينَ آمَنوا الذينَ يُقيمونَ الصلاةَ ويُؤتونَ الزكاةَ وهُم راكِعونَ**﴾(٣).

فقد منح من الكرامة الإلهية والفضائل النفسية ماكان يتحسسه ويرفعه جميع المعاصرين له، يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: وبمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته وأحواله النافية لقوى البشر، غلا فيه من غلا، حتّى نُسب

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٨٣، ح ٣٤.

(٢) المصدر السابق: ج ٢٥، ص ٢٦٩، ح ١٢.

(٣) المائدة: ٥٥.

إلى أنّ الجوهر الإلهي حلّ في بدنه، كما قالت النصارى في عيسى عليه السلام ، وقد أخبره النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك فقال: «**يهلك فيك رجلان: محبّ غال، ومبغض قال**».

وقال له تارة أُخرى: «**والذي نفسي بيده، لولا أنّي أشقّ أن تقول طوائف من أُمّتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم، لقلت فيك مقالاً لا تمر بملئ من الناس إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة**»[1].

ج ـ الأطماع الشخصية الهابطة وابتزاز أموال الناس

كان الباعث عند البعض على إظهار الغلو، الطمع بأموال الناس وأخذها بالباطل، والإستيلاء على الحقوق الشرعية، التي يؤديها الشيعة للأئمة عليهم السلام وكان الواقفيّة أحد أصدق الأمثلة على ذلك، إذ ذهب زعماء هذه الفرقة بعد وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وزعمت أنّه ارتفع إلى السماء كما ارتفع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

وكان دافعهم السيطرة على أموال كثيرة كانت عندهم، فاختلسوها ولم يوصلوا إلى الإمام الرضا عليه السلام.

ولأجل إشباع أطماعهم قالوا: «إنَّ موسى بن جعفر عليه السلام لم يمت ولم يحبس»، و«أنّه استخلف محمّد بن بشير وجعله وصيه وهو الإمام من بعده».

وواجهوا الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بالتهم والإفتراء والنفي من النسب للإمام الكاظم عليه السلام واستحلوا دماء وأموال من قال بإمامة الإمام الرضا عليه السلام وكذلك كان محمّد بن نصير الفهري، والحسن بن محمّد ابن بابا

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي: ج ٤، ص ٥، ذيل الخطبة ٥٨.

القمّي إذ قال الإمام أبو محمّد العسكري ﵇: «**مستأكلين يأكلان بنا الناس، فتّانين مؤذين، آذاهما الله وأركسهما في الفتنة ركساً**»(١).

وقد ذكر شريك بن عبدالله النخعي الكوفي أنّ هؤلاء كانوا «يحدثون بأحاديث كلّها منكرات كذب موضوعة على الإمام جعفر الصادق ﵇، ليستأكلون الناس بذلك، ويأخذون منهم الدراهم»(٢).

وجاء عن أبي جعفر ﵇ يذكر جماعة بأسمائهم ثمّ يقول: «**استأكلوا بنا الناس فصاروا دعاة يدعون الناس إلى ما دعا إليه أبو الخطاب لعنه الله ولعنهم معه**»(٣).

د ـ الشذوذ الخلقي والتحلل من القيم والآداب الإسلامية

لما كان المجتمع الإسلامي لا يسمح لأصحاب الشذوذ والإنحرافات الأخلاقية بالتحرك وفق أهوائهم ورغباتهم ويمنعهم من تحقيق ميولهم الشاذة لمخالفتها للقيم الإنسانية النبيلة وللشرائع السماوية التي جاء بها الأنبياء، فساهمت الحصانة الأخلاقية للمجتمع في محاصرة تيار الإنحراف في نفوس أصحابه وهؤلاء، حتّى يخرجوا من دائرة الحصار العفوي، استغلوا شعار الدين لتبرير قبائحهم وجرائمهم الأخلاقية.

فبدأوا بالغلو وانتهوا بالتحلل من جميع القيم والآداب الإسلامية والهروب من جميع التكاليف الشرعية، والإباحة لجميع المنكرات.

فهذا محمّد بن نصير الفهري: «إنّه ادّعى أنّه نبيّ رسول وأنّ عليّ بن

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٣١٨، ح ٨٤.

(٢) المصدر السابق: ج ٢٥، ص ٣٠٢، ح ٦٦.

(٣) رجال الكشي: ص ٣٢٨.

محمّد العسكري أرسله، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن عليه السلام ويقول فيه بالربوبية، ويقول بإباحة المحارم ويحلّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في... ويقول: إنّ من الفاعل والمفعول به أحد الشهوات والطيبات، وإنّ الله لم يحرم شيئاً من ذلك...».

وكان ابن فرات يقوي أسبابه ويعضده وذكر (أبو زكريا يحيى بن عبد الرحمن) أنّه رأى بعض الناس محمّد بن نصير عياناً وغلاماً له على ظهره وأنّه عاتبه على ذلك فقال: إنّ هذا من اللذات وهو من التواضع لله وترك التجبّر»[١].

والواقفة من أصحاب محمّد بن بشير، زعموا أنّ الفرض عليهم من الله تعالى إقامة الصلاة والخمس وصوم شهر رمضان، وأنكروا الزكاة والحج، وسائر الفرائض، وقالوا: بإباحة المحارم والفروج والغلمان، واعتلوا في ذلك بقول الله عزّوجل: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُم ذُكراناً وإناثاً﴾[٢][٣].

قال الإمام الصادق عليه السلام عن بشار الشعيري: «**ويله، ألا قال بما قالت اليهود، ألا قال بما قالت النصارى، ألا قال بما قالت المجوس أو بما قالت الصابئة، والله ما صغّر الله تصغيراً هذاالفاجر أحد...**»[٤].

وقال عليه السلام: «**والله إنّ الغلاة شرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا**»، ثمّ قال: «**إلينا يرجع الغالي فلانقبله، وبنا يلحق المقصر فنقبله**»، فقيل له: كيف ذلك يابن رسول الله؟ قال: «**الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحج فلايقدر على ترك**

---

(١) المقالات والفرق: ص ١٠٠، رجال الكشي: ص ٣٢٣.

(٢) الشورى : ٥٠.

(٣) المقالات والفرق: ص ٩٢، فرق الشيعة: ص ٨٣.

(٤) رجال الكشي: ص ٢٥٣.

عادته وعلى الرجوع إلى طاعته»[١].

فـمراجـعةً لطـريقة تـعاملهم فـي تـفسير العـقائد والأحكـام الإسـلامية ودعـوتهم للإبـاحية المـطلقة، تكشـف عـن واقـعهم العـقائدي والأخـلاقي والسلوكي وإنغماسهم في الهوى والشهوات.

هـ ـ التأويلات الخاطئة

نتيجة لعدم إدراك واستيعاب روح القرآن والأهداف القـرآنـية، وفـقدان القدرة على تكوين صورة كاملة من الآيات القرآنية، والتـمسك بـجزء مـنها دون الآخر وغيرها من العوامل الإستعدادية والتكوينية لدى الشخصية.

كل هذه تساهم في إفراز نتائج بعيدة عن روح الإسلام مـثل الغـلو، وإذا كانت المسألة تنتهي بـقول فـردي فـضررها أقـل مـن الإدّعـاء مـن أُولئك السطحيين بأنّ آرائهم تمثل تمام الحقيقة الدينية ويقفون ويتوعدون من لم يؤمن بمقولتهم، كما ظهر ذلك بعد وفاة الرسول ﷺ فقد كذّب جماعة منهم عمر بن الخطاب إذ قال: «أنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله ﷺ توفي وأنّه والله ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران والله ليرجعنّ رسول الله ﷺ فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنّه مات»[٢].

وهذه أحد مقولات الغلو التي إندثرت بمقولة أبي بكر: «أيّها الناس من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّد قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت، ثمّ تلا هذه الآية: **﴿وما مُحمّدٌ إلاّ رسـول قَـدْ خَـلَتْ مِـنْ قَـبلِهِ الرُسُـل أفـإنْ مـاتَ أوْ قُتِلَ... ﴾**».

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٦٥، ح ٦.

(٢) تـاريخ الطـبري: ج ٢، ص ٢٠ ـ ٢١، الكـامل فـي التـاريخ: ج ٢، ص ١٨٧، البـدايـة والنـهاية: ج ٥، ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

قال عمر: «فوالله ما هو إلاّ إذ سمعتها فعُقرتُ حتّى وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي وقد علمت أنّ رسول الله ﷺ قد مات»[١].

وهذه المقولة تتفق مع مقولات الغلاة الكيسانية والواقفية وهذه المقولة وأمثالها، كانت نتيجة التأويل الخاطئ لقوله تعالى: ﴿لِيُظهِرَهُ على الدّينِ كُلّه﴾.

لأنّ عمر كان يقول: «كنت أرى أنّ رسول الله ﷺ سيدبّر أمرنا! ـ يعني يكون آخرنا ـ»[٢].

ومثل ذلك تأويل الخوارج لقوله تعالى: ﴿إنِ الحُكم إلاّ لله﴾.

كما قلنا سابقاً يمكن إضافة الفهم الخاطئ القاصر، أو المغرض (التفسير الباطني) لروايات أهل البيت عليهم السلام الموهمة للغلو ـ كالتي تبيّن كيفية ولادتهم ومعجزات عليّ عليه السلام وأبناءه التي أثبتها التاريخ ـ وعدم تقيّة حواريّ الأئمة وإظهارهم للأسرار التي أراد الأئمة إخفائها عن أعين الناس.

ثانياً ـ العوامل المنظمة

أ ـ نفوذ أصحاب الديانات من أهل الكتاب وغيرهم

حاول المتظاهرون بالإسلام من أهل الكتاب والعقائد الباطلة، جر العقائد الإسلامية إلى العقيدة التي كانوا عليها، وهؤلاء إندسوا في صفوف المسلمين وامتزجوا في مجتمعهم، وبدأوا بث عقائدهم بشكل هادئ تحت عنوان القصة، وعلم الأديان، والبحث العلمي معتمدين على تزلفهم وتملقهم وتقربهم للسلاطين.

---

(١) الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ١٨٧.

(٢) البداية والنهاية: ج ٥، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

وهم دخلوا الإسلام لا إيماناً به وإنّما ليهوّدوا أو ينصّروا أو يمجّسوا عقائده ويضللوا أتباعه.

قال أبو عباس البغوي: دخلنا على فيثون النصراني، وكان في دار الروم بالجانب الغربي، فجرى الحديث إلى أن سألته عن ابن كلّاب، فقال فيثون: رحم الله عبدالله (اسم ابن كلّاب) كان يجيئني فيجلس إلى تلك الزاوية ـ وأشار إلى ناحية البيعة ـ وقد أخبرنا الله تعالى عن أُمنية أهل الكتاب بقوله: ﴿وَدَّ كَثيرٌ مِنْ أهلِ الكِتابِ لَوْ يَرُدُونَكُم مِنْ بَعدِ إيمانِكُم كُفّاراً حَسداً مِنْ عِندِ أنفُسِهم مِنْ بَعْدِ ما تَبيَّنَ لَهُمُ الحقّ... ﴾(١).

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿ودَّتْ طائفَةٌ مِنْ أهلِ الكِتابِ لَوْ يُضلّونَكُم وما يُضلّونَ إلاّأنفُسَهُم وما يَشعُرونَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿يا أيُّها الرسولُ لا يَحزُنْك الذينَ يُسارِعونَ في الكُفرِ مِنَ الذينَ قالوا آمنّا بأفواههم ولَم تؤمِنْ قُلوبهُم ومِنَ الذينَ هادوا سَمّاعونَ للكَذِبِ سمّاعونَ لِقومٍ آخرينَ لم يأتوكَ يُحرِّفونَ الكَلِمَ مِنْ بَعدِ مَواضِعِهِ يقولونَ إنْ أوتيتم هذا فَخُذوهُ وإنْ لَم تؤتوهُ فاحْذَروا ﴾(٣).

وعنّي أخذ هذا القول، ولو عاش لنصّرنا المسلمين(٤) ـ أي لجعلناهم نصارى ـ.

وعن عبد الرحمن بن كثير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام لأصحابه: «لعن الله المغيرة بن سعيد، ولعن الله يهوديّة كان يختلف إليها يتعلم منها السحر

---

(١) البقرة : ١٠٩.

(٢) آل عمران : ٦٩.

(٣) المائدة : ٤١.

(٤) الفهرست لابن النديم: ص ٢٥٥.

والشعبذة والمخاريق(١).

ولليهود طريقة في تزييف الحقائق اتبعوها مع عيسى عليه السلام، بقولهم بإلوهيته زاعمين أنّه هو الذي أمرهم بذلك، وكانت لهم محاولة من هذا القبيل مع رسول الله ﷺ، إذ قالوا له: أتريد أن نعبدك ونتخذك إلهاً؟

فقال ﷺ: **«معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني»**(٢).

فلمّا استحكم الإسلام، وصار حقيقة لا يمكن إنكارها أو القضاء عليها غيّر اليهود والنصارى طريقة المواجهة معه بسلب المحتوى الذي يميز الإسلام عنهم فاندسوا ليسلبوا محتواه، ويملؤه بخرافاتهم وأساطيرهم وبدعهم، وإذا تحوّلت المضامين الإسلامية إلى ما أوحى إليه اليهود لبناء المجتمع الإسلامي وما ثبته المسلمون وتحقق أهدافهم الشريرة، «...وقد كان أقوى هؤلاء الكهان دهاء وأشدّهم مكراً، كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام، ولما وجدوا أنّ حيلهم قد راجت بما أظهروه من كاذب الورع والتقوى، وأنّ المسلمين قد سكنوا إليهم، واغتروا بهم، جعلوا أوّل همّهم أن يضربوا المسلمين في صميم دينهم، وذلك بأن يدسوا إلى أُصوله التي قام عليها ما يريدون من أساطير وخرافات، وأوهام وترهات، لكي تنتهي هذه الأُصول وتضعف»(٣).

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٨٩.
(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٢، ص ٤٢٧.
(٣) أضواء على السنّة المحمّدية، محمود أبو رية: ص ١٤٥.

ب ـ تسامح الحكام مع الغلاة

قوّة السطة وتوطيد الحكم هدفاً مهمّاً في حياة الحكام، ولذلك لم يتركوا وسيلة إلاّ انتفعوا منها لغرضهم، حتّى الدين لم يسلم منهم إذ اتخذه المستبدون وسيلة لتفريق الأُمّة وجعلوه آلة لأهوائهم أو تلقوا عقائده وأحكامه بالإهمال وعدم الإهتمام أو تسخير أصحاب البدع والإنحرافات العقائدية لخدمة سلطانهم كما فعل أكثرهم ذلك في تجنيد أهل الكتاب والزنادقة وقد ذكر الطبري عن أبي بكر الهذلي حين قال: «إنّي لواقف بباب أمير المؤمنين ـ أبو جعفر المنصور ـ إذ طلع رجل إلى جانبي، فقال: هذا ربّ العزة، هذا الذي يطعمنا ويسقينا، فلمّا رجع (أمير المؤمنين) ودخل عليه الناس دخلت وخلا وجهه، فقلت له: سمعت اليوم عجباً، وحدثته، فنكث في الأرض، وقال: يا هذلي، يدخلهم الله النار في طاعتنا ويعثلهم أحبّ إليَّ من أن يدخلهم الجنّة بمعصيتنا»[(١)].

فجواب المنصور يدل على أنّه يبغي الإستفادة منهم في توطيد حكمه وإن لم يوافقهم بالرأي، فهم سنداً له يواجه به الحركة الشرعية لأئمة أهل البيت عليهم السلام.

لكنّه لمّا أحس بعد ذلك بخطورتهم على سلطانه لإعلانهم عقائدهم الكافرة، وهي تؤدّي إلى إثارة المسلمين عموماً ضدّه، حبسهم واستتابهم، وبعد ذلك قتل من لم يتب.

وموقف آخر لأحد خلفاء بني العباس من محمّد بن بشير لعنه الله، الذي

---

(١) الطبري: ج ٧، ص ٥٠٧.

كان يقول في موسى بن جعفر عليه السلام بالربوبيّة ويدّعي لنفسه أنّه نبيّ «وكانت معه أشياء عجيبة من صنوف الشعبذة ما لم يروا مثلها فهلكوا بها، فكانت هذه حاله مدّة حتّى رفع خبره إلى بعض الخلفاء أحبسه هارون أو غيره ممّن كان بعده من الخلفاء، وأنّه زنديق فأخذ وأراد ضرب عنقه فقال: يا أمير المؤمنين استبقني فإنّي أتخذ لك أشياء ترغب الملوك فيها، فأطلقه.

فكان أوّل ما اتّخذ له الدوالي،... فأعجبه ذلك مع أشياء عملها يضاهي الله بها في خلقه الجنّة، فقربه وجعل له مرتبة»[1].

والمتصوفة والطريقية التي انتشرت في العهد العثماني كانت نتيجة فتح هذه الظاهرة بقوله: «حتّى صارت منها هذه الأوهام السّحرية والخزعبلات كأنّها دين معظم أهلها، الإسلام...»، وقويت سيطرة هؤلاء الجماعات، وأصابهم حظ من النفوذ والثراء أفسدوا به كثيراً في الدين، وبه جعلوا كثيراً من المدارس تكايا البطالين الذين يشهدون لهم زوراً بالكرامات المرهبة، وبه حوّلوا كثيراً من الجوامع مجامع للطبالين...[2]، وغلاة المتصوفين الذين استولوا على الدين فضيعوه، وضيّعوا أهله»[3].

وهكذا الغلو في أحد أسباب مناشئه وبأنواعه وشخصياته المتفاوتة بالموقف الإجتماعي والديني، ومن حيث الزمان والمكان المختلف، يشترك بعامل دعم السلطات والحكومات المعاصرة لهم، أو ترك المتابعة للمخالفات العقائدية إهمالاً منهم لأمر الدين.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٣٠٩.

(٢) أمّ القرى: ص ٦٥ ـ ٦٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٦١.

ج ـ القوىٰ الكافرة تؤسس الغلو

البهائية نموذجاً

لم تترك قوى الكفر الإسلام والمسلمين فكراً وأُمّة، من دون تخطيط وعمل للإحاطة بأيّ شكل للوجود الإسلامي واتبع الكفر سبلاً مختلفة لتحقيق هذا الهدف كالحرب المسلحة وغزو المسلمين والغزو الثقافي وإنشاء المذاهب التي أثارت الجدل والفرقة بين المسلمين، وتأسيس مجموعات مغالية والتي هي موضوعنا الذي نريد أن نذكره.

البهائية أوجدتها السفارة الروسيّة «بواسطة شخص اسمه (كينا زد الكوركي) كان سكرتيراً في السفارة الروسيّة في طهران فتظاهر بالإسلام، وتزوّج من امرأة مسلمة، بل وارتدى اللباس الحوزوي وسافر إلى كربلاء بحثاً عن شخصية تتناسب مع هذا الدور، فأخذ مكانه في درس السيد كاظم الرشتي وبين طلابه، وادّعى أنّ الميرزا عليّ محمّد الشيرازي خير شخص وأصلح لإدّعاء البابيّة وإظهار إرتباطه بصاحب الزمان»[١].

وكان لحماية حاكم اصفهان دوراً مهمّاً في هذه المرحلة، وهذا الشخص المدعو منوچهر خان كرجي كان أرمنياً يتظاهر بالإسلام، وهذا السفاح الصليبي والروسي الأصل كان الأداة التي تحركها السفارة الروسيّة في الحفاظ على العناصر البهائية.

فعندما حدثت اضطرابات في إيران، قام بها البهائيون، تمّ اعتقال عليّ محمّد الشيرازي «الباب» الذي أخرج الكرجي من زنزانته وأنزله بيته معتذراً بأنّه يبغي وضعه تحت المراقبة ليقطع دابر الفتنة، وهناك أفسح له في

---

(١) البابيون والبهائيون، د. همايون همّتي: ص ٢٧ ـ ٢٨.

المكان، وحثّه على مواصلة دوره، فكتب الباب كتباً ورسائل وبعث بـها إلى المدن المختلفة سرّاً»[١].

ودعمت روسيا بالسرّ والعلانية الحركة البـهائية وأشـرفت عـلى بـنائها ونموّها حتّى أوجدتها على الساحة وأصبحت قوّة مؤثّرة خصوصاً في إيران وكانت تستخدمها لتنفيذ سياستها التوسعيّة من قبيل تـحقق الحـلم (بـطرس الكبير) في الوصول للمياه الدافئة ويعترف البهائيون بذلك، وما لجوء مـيرزا حسين عليّ للسفارة الروسيّة، وحمايتها له، ومساعيها لإطلاق سراحه ونـفيه إلى العراق إلّا رعاية ودعم وتبني لهم، وكان الميرزا يستلم مرتباً شهرياً مـن الحكومة القيصرية، ويكتب الألواح والأدعية تأييداً للحكومة القيصرية.

بريطانيا والبهائية

إنّ بريطانيا كانت تتابع شؤون البهائيين بواسطة سفرائها وجواسيسها في إيران وتقدم لهم العون، وتنتظر الفـرصة المـناسبة للسـيطرة عـليهم بشكـل كامل، وتحقق لها ذلك بعد تخلي الإمبراطوريتين العـثمانية والروسـيّة عـن حمايتها لهؤلاء، فأجرت اتصالات مكثفة مع البهائيين الذين كانوا يـبحثون عن قوّة يتكئون عليها، ممّا جعلهم في فترة قصيرة يضعون أنفسهم في خدمة بريطانيا فقدموا لها خدمات كثيرة في فلسطين، مـمّا دفـع بـريطانيا إلى مـنح زعيمهم لقب (سير) كما اسـتخدمتهم فـي تـوسيع نـفوذها وإيـقاف زحـف الإسلام في القارة الأفريقية وعملت على نشر معتقداتـهم كـمذهب مسـتقل أحياناً وكإحدى الفرق الإسـلامية أحـياناً لتسـتفيد مـنهم لضـرب الحـركات التحررية.

---

(١) البابيون والبهائيون: ص ٢٩.

البهائيون وفلسطين

نصبت هذه الجماعة العداء للمسلمين وأبدت قيام دولة إسرائيل الغاصبة والبهائيين كانوا مع الإنجليز منذ احتلالهم لفلسطين، وتعاونوا ولا زالوا يتعاونون مع الصهاينة بكل جدٍّ، وهم يرون بأنّ لهم حصة في فلسطين ويخاطبون فلسطين بأنّها «الأرض المقدسة» ويتواجد فيها قبور كبارهم.

وكتبت لجنة تقصي الحقائق التابعة للأُمم المتحدة في تقرير لها عن علاقة البهائية باليهود في فلسطين بأنّها أعمق من علاقة المسلمين بفلسطين، وأنّ البهائيين يدعمون تشكيل دولة صهيونية.

وقامت البهائية بجهود مكثفة لتثبيت هذا الوجود الغاصب، وبالمقابل اعتبرت إسرائيل البهائية إحدى الأديان الرسمية، ومنحت أنصارها حرية كاملة، ووفرت لهم كافة الإمكانيات لتأسيس مركز عالمي في «عكا».

ثمّ أنّها دعمت حكومة الشاه وارتكبت جرائم بحق الشعب الإيراني المسلم، وكانت شخصياتها تسيطر على المراكز الحكومية الحساسة، وذات الأثر في القرار في الأحداث ومن هؤلاء أمير عباس هويدا رئس الوزراء وبرلمانيين وتجار ورأسماليين.

بريطانيا تصنع القاديانية

ظهرت القاديانيّة بالهند في مطلع القرن التاسع عشر على يد رجل اصطنعه الإستعمار البريطاني اسمه (غلام أحمد القادياني) ليضرب به اليقظة الإسلامية الأصيلة التي أخذت بالإنتشار في تلك الحقبة من الزمن بعد حركة

الإمام (أحمد بن عرفان الشهيد) عام (١٢٤٦ هـ)[١].

و(غلام أحمد القادياني) هندي الأصل من بلخ من قرية مزار شريف، حين تحول آباؤه قبل قرون من مدينة (سبزوار) في شمال إيران إلى قرية (قاديان) الهندية في (بنجاب) شمال الهند... التي أقام فيها ليتعلم العربية والإنجليزية ويدرس العلوم الدينية على يد العلماء هناك[٢]، استخدم عند الإنجليز على مزارع قريته براتب شهري مقداره (عشرون روبية) وفي سنة (١٨٨٠ م) أعلن في كتابه (برهان أحمدي) أنّه (المهدي) الموعود ظهوره في آخر الزمان كمصلح (يملأ الأرض عدلاً) وكذلك أعلنها في سائر كتبه، وأنّه يوحى إليه من ربّه فيما يقول ويكتب، حيث أنّه فسخ حكم الجهاد، وأوجب طاعة الإنجليز في البلاد، فأعانته هذه السلطة المحتلة من جميع الجهات، وعدّت طريقته من الطرق الرسميّة، وبعد سنة (١٨٨٩ م) ادّعى النبوّة وزعم أنّه المسيح المعهود قد حلّ فيه كما حلّ فيه النبيّ محمّد ﷺ وأقسط من اسمه لفظة (غلام) الدالة على العبودية في (اللغة الفارسية).

واكتفى باسم (أحمد) وبالرغم من تقريره لاتّباعه أحكام الإسلام، أفتى أكثر العلماء بكفره وكذبه[٣].

وكان رجل القاديانية يبثون الشكوك وينشرون الترديد في العقائد الإسلامية بين أبناء الأُمّة، ويشيعون الفرقة والإنقسام ويقفون أمام كل محاولة توحيدية، ولذلك كان الإنجليز أكبر أعوان القادياني على نشر دعوته لإحداث الإنشقاق في وحدة المسلمين بالهند، وصرفهم عن التفكير في

---

(١) المسألة القاديانية، أبو عليّ المودودي: ص ٧٦.

(٢) المعجزة الخالدة، هبة الدين الشهرستاني: ص ١١٧.

(٣) الثقافة الإسلامية في الهند، عبد الحيّ الحسيني: ص ٢٣.

مقاومة احتلالهم لبلادهم(١).

يقول السيد جمال الدين الأفغاني: «... استهوى الإنجليز طائفة ممَّن يتّسمون بسمة الإسلام ويلبسون لباس المسلمين، وفي صدورهم غل ونفاق وفي قلوبهم زيغ وزندقة، وهم معروفون في البلاد الهندية بالدهريين والطبيعيين، فاتّخذهم الإنجليز أعواناً لهم على فساد عقائد المسلمين وتوهين علائق التعصب الديني ليطفئوا بذلك نار حميتهم، ويبددوا جمعهم ويمزقوا شملهم، وساعدوا تلك الطائفة على إنشاء (مدرسة عليكره)، ونشر جريدة لبثّ هذه الأباطيل بين الهندوسيين، حتّى يعم الضعف في العقائد وتهن الصلات بين المسلمين فتستريح الإنجليز في التسلط عليهم...»(٢).

وكذلك الشيخ الندوي يؤكّد دور الإنجليز في تأسيس ودعم ونشر القاديانية، فقد ذكر في كتابه (القاديانية ثورة على النبوة المحمّدية والإسلام) لقد تحققنا علميّاً وتاريخيّاً أنّ القاديانية وليدة السياسة الإنجليزية، فقد أهمّ بريطانيا وأقلقها حركة المجاهد السيد أحمد بن عرفان الشهيد عام (١٨٤٢م) وكيف ألهب شعلة الجهاد والفداء، وبث روح النخوة الإسلامية والحماسة الدينية في صدور المسلمين، في الربع الأوّل من القرن التاسع عشر المسيحي، وكيف التفّ حوله، وحول دعاته آلاف المسلمين، عانت منهم الحكومة الإنجليزية في الهند مصاعب عظيمة، وكانوا موضع اهتمامها(٣)؛ وهذه نماذج الغلو المعاصر التي أُنشأت على أيدي الدول الإستعمارية وهي إعادة للنموذج السابق الذي ظهر واشتدّ في القرن الثاني والثالث الهجري.

---

(١) الثقافة الإسلامية في الهند، عبد الحيّ الحسيني: ص ٢٣.

(٢) العروة الوثقى، جمال الدين الأفغاني: ص ٤١٥ ـ ٤١٦.

(٣) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي، محمّد البهي: ص ٣٤.

وهذه المسألة لم تكن من إبداع الإنجليز وإنّها حدثت أوّل مرّة في التاريخ، وإنّما الغلو القديم بأشكاله المختلفة كان أحد مناشئه الحكومات الظالمة تزرعه في الأُمّة لتحكيم سلطانها، ولم يظهر ذلك واضحاً وجليّاً كما هو حال البهائية والقاديانية، لأنّ الحكومات كانت تلبس لباس الإسلام وتلتزم في المناسبات العامّة بظواهر الإسلام واستمرت في السلطة ولم تأتِ حكومة مكانها لتكشف أوراقها.

ولأنّهم من المسلمين ولم يكونوا كالإنجليز، لأنّ الأوّل لا يعتبر محتل لبلاد المسلمين وكذلك يعتبر مسلم، أمّا المحتل الإنجليزي الكافر فهناك شعور خاص اتجاهه ومقاومة إسلامية عامّة لإخراجه وتحرير بلاد الإسلام منه.

فالحاكم الإسلامي يمتلك زوايا كثيرة للإختفاء وبعكس غيره من المحتلين الكفار، فتبقى حركة الأوّل مختفية في الزوايا، وتعمل الأُمّة بكل قواها واتجاهاتها لكشف الثاني، فتساعد الجهود المتكاتفة على إظهار خطط ونشاط العدوّ في جميع الساحات التي يتحرّك فيها.

د ـ المجندون من قبل السلطات للنفوذ ضمن أصحاب الأئمة عليهم السلام

لم يكتفِ الحكام بالإغتيالات والتصفيات الجسدية للأئمة، وإنّما كانوا يحاولون اغتيال شخصياتهم العلمية والدينية والإجتماعية قبل ذلك، فإشاعة الغلو وبثّ بعض المقولات الباطلة جزء من قاموس الحكام في الإغتيال، والمفردة التي تسبق التصفية الجسدية، ولعلّ هذه المراحل مطردة لكل مواجهة مع السلطة ومنهج ثابت لجميع الحكام.

والأئمة تعرضوا للظلم والسجن والتعذيب والإقامة الجبريّة في بيوتهم أو في أماكن مخصصة.

فلا يستبعد ممَّن قام بكل هذه الجرائم أن يشيع ـ عبر قنواته الخاصة ـ من الأحاديث ما يسيء به لأهل البيت عليهم السلام ومكانتهم.

وإذا افترضنا أنّ السلاطين لا يفعلون ذلك، فلا يبقى وجه يمكن حملها عليه، خصوصاً في روايات من قبيل التي ذكرت في البحار فلا يستبعد تسخير خصوم أهل البيت عليهم السلام من يندس من أصحاب الأئمة لإظهار الغلو حتّى تكون ذريعة لهم باتّهام الفرقة الحقّة بأليه البشر، ثم القول بفساد عقيدتها وتشويه مبادئها، وتشويش الأجواء لإبعاد الناس عنهم، لتحقيق هدفهم بالتخلص من مذهب أهل البيت عليهم السلام، الذي تميز بالوحدة البنائية لأفكار وعقائد وترابط القرآن الكريم: ﴿ولوْ كانَ مِنْ عِندِ غيرِ اللهِ لَوَجَدوا فيهِ اختلافاً كثيراً﴾.

فإذا أُثيرت مسألة تأليه الإمام، أو الناس عبيد لهم وغيرها، فإنّ المجتمع الإسلامي والشيعة بصورة خاصة ستنشغل في مقاومتها وردّها، وهذا يحتاج إلى وقت وموقف لإثبات الرأي الأصيل، وكشف الإنحراف العقائدي ونفيه، وهذا الإنشغال الداخلي يهيئ فرصة في المقابل لقوى التحريك لضرب المذهب وتقوية سلطانهم ووجودهم.

قال الإمام الرضا عليه السلام: «**إنّ مخالفينا**[1] **وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام:**

أحدها: الغلو.

---

(١) وأيّ مخالف لأهل البيت عليهم السلام أشدّ من الحكومات الغاصبة للخلافة.

وثانيها: التقصير في أمرنا.

وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا.

فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا، ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا أسمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله عزّوجل: ﴿**ولا تَسبّوا الذينَ يَدعونَ مِنْ دونِ اللهِ فَيسبّوا اللهَ عدواً بَغيرِ عِلْمٍ**﴾[1]»[2].

* * *

(١) الأنعام: ١٠٨.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ٢٣٧.

الفصل السّادس

الغلو
عند غير الشيعة من المسلمين

الغلو عند غير الشيعة

لماكان الغلو مرض فكري وعقائدي وسلوكي في جانبه الشخصي، وصراع بين الإسلام والأديان والعقائد المغلوبة من جانب آخر، فلا يمكن حصره بطائفة أو دين، وإنّما يمكن أن يصيب المجتمعات وأتباع العقائد المختلفة، فكما أصاب اليهود والنصارى، أصاب المسلمين، وإذا نفذ في المجتمع الإسلامي، فيمكن أن يصيب السنّي والشيعي، وفعلاًكان للغلو وجوداً عن السنّة،كما هو الحال عند الشيعة، لكنّه لا يمثل أحدهما وهو غريب عنهما وعن الإسلام.

لكن الإعلام ركّز على الشيعة دون السنة، لإمتلاك الأخير القدرة والقوّة والسلطة والقهر، وأشاعوا بين الناس أنّ الغلو في الشيعة، وأُسدلت الستائر على الغلو السنّي، ووضعت له المبررات، وعدّ من الفضائل، وهذه من المسائل المثيرة للعجب والإستغراب.

ابن تيمية يعترف بغلو السنّة

يعتبر ابن تيمية من الشخصيات التي تكثر الطعن في مذهب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم،كأنّ مصنفاته لا يبغي هدفاً منها غير ذلك و«منهاج

السنّة»[١] أكثرها وضوحاً.

وقد هاجم جميع عقائد الشيعة وشخصياتهم وأئمتهم ﷺ، ولم يسلم منه حتى الإمام عليّ ﷺ، الذي يشهد له القرآن الكريم والسنّة النبويّة والتاريخ الإسلامي بالفضل والعلم والشجاعة...، لكنّه مع كل ذلك عندما تعرّض لمسألة الغلو اعترف بوجوده عند السنّة فقال:

فإن قيل: ما وصفت به الرافضة من الغلو والشرك والبدع، موجود كثير منه في كثير من المنتسبين إلى السنّة، فإنّ في كثير منهم غلو في مشايخهم وإشراكاً بهم، وابتداعاً لعبادات غير مشروعة، وكثير منهم يقصد قبر من يحسن الظن به، أمّا ليسأل الله تعالى به حاجة، وإمّا لظنّه أنّ الدعاء عند قبره أفضل منه في المساجد.

ومنهم من يفضّل زيارة قبور شيوخهم على الحج، ومنهم من يجد عند قبر من يعظّمه من الرقة والخشوع ما لا يجده في المساجد والبيوت، وغير ذلك ممّا يوجد في الشيعة، ويروي أحاديث مكذوبة من جنس أحاديث الرافضة، مثل قولهم:

لو أحسن أحدكم ظنّه بحجر نفعه الله به.

وقولهم: إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور.

وقولهم: قبر فلان هو الترياق المجرّب.

قيل هذا كلّه ممّا نهى الله عنه ورسوله، وكل ما نهى عنه الله ورسوله فهو مذموم نُهي عنه، سواء كان فاعله منتسباً إلى السنّة أو التشيّع[٢].

---

(١) أحد مؤلّفات ابن تيمية.

(٢) التفسير الكبير: ج ٤، ص ٢٩٣.

نماذج من الغلو

عمر بن الخطاب يعزر الأرض

قال إمام الحرمي ﷺ في كتابه «الشامل»: «أنّ الأرض زلزلت في زمن عمر ﷺ، فحمد الله، وأثنى عليه والأرض ترجف وترتجّ، ثمّ ضربها بالدرة وقال: قري ألم أعدل عليك؟ فاستقرت من وقتها.

قال: وكان عمر ﷺ، أمير المؤمنين على الحقيقة في الظاهر والباطن، وخليفة الله على أرضه، فهو يعزر الأرض ويؤدّبها بما يصدر منها، كما يعزر ساكنيها على خطيئاتهم»[(١)]، وهذا غلو لأنّ التدبير مختص بالله تعالى، إضافة إلى ذلك أنّ الزلازل تحكمها قوانين طبيعية دبّرها خالقها ولم يترك ذلك لعمر، ثمّ لو كانت قد تأدّبت بتعزير عمر فلماذا حدث الزلازل بعد عمر؟

أبو بكر يفتح له باب قبر الرسول ﷺ

قال الفخر الرازي في تفسير سورة الكهف: وقد ذكر قليلاً من كرامات الصحابة، أمّا أبو بكر ﷺ فمن كراماته: أنّه لمّا حملت جنازته إلى باب قبر الرسول ﷺ، ونودي السلام عليك يا رسول الله، هذا أبو بكر بالباب، فإذا الباب قد انفتح، وإذا بهاتف من القبر: ادخلوا الحبيب إلى الحبيب»[(٢)].

---

(١) جامع كرامات الأولياء، يوسف بن إسماعيل النبهاني: ص ١٢٦٥ ـ ١٣٥٠، ١٥٧ ـ ١٥٨، المكتبة الشعبية ـ بيروت، لبنان، ط ٢، (١٩٧٤م).

(٢) جامع كرامات الأولياء: ج ١، ص ١٢٨.

مسلمة بن مخلّد يطرد الوحوش

لمّا دخل ـ مسلمة بن مخلّد ـ أفريقيا قيل له: هذا الوادي فيه سباع وأفاعي، فقال: اخرجوا، فحملت الوحوش أسبالها والأفاعي أولادها(١).

المغالاة بالخلفاء ومعاوية

يحدثنا المقدسي عند دخوله إلى أصفهان بقوله: وفيهم بله وغلو في معاوية، ووصف لي رجل بالزهد والتعبّد، فقصدته وتركت القافلة خلفي، فبت عنده تلك الليلة، وجعلت أسأله إلى أن قلت: ما قولك في الصاحب؟ فجعل يلعنه.

قلت: ولِمَ؟

قال: إنّه أتى بمذهب لا نعرفه.

قلت: وما هو؟

قال: إنّه يقول أنّ معاوية لم يكن مرسلاً.

قلت: وما تقول أنت؟

قال: أقول كما قال الله عزّوجل: ﴿**لا نُفرِّقُ بينَ أحدٍ مِنْ رُسُلِهِ**﴾، أبو بكر كان مرسلاً، وعمر كان مرسلاً، ثمّ عدّ الأربعة، ثمّ قال ومعاوية كان مرسلاً.

قلت: لا تفعل، أمّا الأربعة فكانوا خلفاء، ومعاوية كان ملكاً، وقال النبيّ ﷺ: «**الخلافة بعدي إلى ثلاثين ثمّ تكون مُلكاً**» فجعل يُشنّع عليَّ، وأصبح يقول للناس: هذا رجل رافضي.

قال المقدسي: فلو لم أهرب وأدركت القافلة لبطشوا بي»(٢).

---

(١) جامع كرامات الأولياء: ج ١، ص ١٦٠.

(٢) أحسن التقاسيم: ج ٢، ص ٢٩٩، عن الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة: ج ١، ص ٢٦.

أبو بكر ينقذ الشمس من الكسوف

قال النبيّ ﷺ، عُرض عليّ كل شيء ليلة المعراج حتّى الشمس، فإنّي سلّمت عليها وسألتها عن كسوفها، فأنطقها الله تعالى وقالت: لقد جعلني الله تعالى على عجلة تجري حيث يريد فأنظر إلى نفسي بعين العجب فتنزل بي العجلة فأقع في البحر فأرى شخصين أحدهما يقول: أحد أحد، والآخر يقول: صدق صدق، فأتوسّل بهما إلى الله تعالى فينقذني من الكسوف، فأقول: يا ربِّ من هما؟!

فيقول: الذي يقول: أحد أحد هو حبيبي محمّد ﷺ، والذي يقول: صدق صدق، هو أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه[1].

وهذه الكرامة لا واقع لها وجعلت كرامة لعدم معرفة واضعها في كيفيّة حركة الكواكب وعلّة حدوث الكسوف، ولكنّه أراد بذلك أن يقول أنّ لأبي بكر مقام يضاهي مقام الرسول ﷺ وهيهات أن يُصدق ذلك.

أبو بكر في الحضرة الإلهيّة

بلغنا أنّ النبيّ ﷺ لما كان قاب قوسين أو أدنى أخذته وحشة فسمع في حضرة الله تعالى صوت أبي بكر رضي الله عنه فاطمأنّ قلبه واستأنس بصوت صاحبه[2] ثمّ قال العبيدي المالكي: وهذه كرامة انفرد بها وحده.

وهذه الكرامة تجعل من مقام النبيّ ﷺ متأخّراً عن مقام أبي بكر، وأنّ

---

(١) نزهة المجالس: ج ٢، ص ١٨٤، عن الغدير: ج ٧، ص ٢٨٨.

(٢) عمدة التحقيق: ص ١٥٤، عن الغدير: ج ٧، ص ٢٩٤.

أبي بكر قد عرج إلى السماء قبل الرسول ﷺ فهو متقدم عليه في المعراج، ثمّ أنّ الرسول ﷺ لم يستأنس ولم يطمئن بكل العوالم التي مرَّ بها وبجميع الملائكة والأنبياء، والكرامة الإلهيّة التي رآها إلاّ صوت أبو بكر، فإنّه مقدّم حتّى على الدعوة الإلهيّة للرسول ﷺ، التي وصل فيها قاب قوسين أو أدنى.

عمر بن الخطاب أكثر غيرة من النبيّ ﷺ

ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء، وأخرج الشيخان عن عمر قال: وافقت ربّي في ثلاث ؛ قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلّى فنزلت: ﴿واتّخِذوا مِنْ مَقامِ إبراهيمَ مُصلّى ﴾.

وقلت: يا رسول الله يدخل على نسائك البرُّ والفاجر فلو أمرتهنّ أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب.

واجتمع نساء النبيّ ﷺ في الغيرة، فقلت: عسى ربّه أن يطلّقكنّ أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ، فنزلت كذلك(١).

وتكررت غيرة عمر في رواية أخرجها الشيخان عن أبي هريرة ؓ قال: قال النبيّ ﷺ: بين أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ جانب قصر.

قلت: لمَن هذا القصر؟

قالوا: لعمر.

---

(١) تاريخ الخلفاء، للسيوطي: ص ١٢٢.

فذكرت غيرتك فولّيت مدبراً[١].

وروى البخاري في الأدب المفرد عن عائشة أُمّ المؤمنين، أنّها قالت: كنت آكل حيساً مع النبيّ ﷺ فمرّ عمر فدعاه، فأكل فأصابت يده اصبعي، فقال عمر: خس لو أطاع فيكنّ ما رأتكنّ عين[٢].

ممّا لا شكّ فيه أنّ أمثال هذه الفضائل للصحابة هي حطّ لمقام النبوّة ولشخصية الرسول ﷺ ورفع لمقام عمر، ولا شكّ في مقام نبيّنا محمّد ﷺ وفضله على الأنبياء ﷺ، وهو من المسلمات في ديننا، فأين يكون عمر وأمثاله من ذلك، ثمّ أنّ النبيّ ﷺ هو الإنسان الكامل الذي جعله الله لعباده أُسوة بقوله: ﴿**ولَكُم في رَسولِ الله أُسوَةٌ حسنَةٌ**﴾، وقسم بحياته بقوله تعالى: ﴿**لَعَمرُكَ إنَّهُم لفي سَكرَتِهم يَعْمَهونَ**﴾[٣]، وذكر الطبرسي في تفسير هذه الآية: ﴿**لَعَمرُكَ**﴾: أي وحياتك يا محمّد، ومدّة بقائك حيّاً.

وقال ابن عباس: ما خلق الله عزّوجل، ولا ذرأ، ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمّد ﷺ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد إلاّ بحياته، فقال: لَعَمرُكَ[٤]...

وأمر باتّباع أوامره وإجتناب نواهيه مطلقاً وقال: ﴿**أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرَسولَ...**﴾.

وقال: ﴿**ما آتاكُمُ الرَسولُ فَخُذوهُ وما نَهاكُم عَنهُ فانتَهوا**﴾.

فالرسول ﷺ المثل الأعلى للخلق الرفيع، وللمثل الإنسانية النبيلة، وهو مجمع الفضائل ومثال الغيرة على الإنسانية جمعاء والمسلمين خصوصاً وإذا

---

(١) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل: ص ١١، تاريخ الخلفاء، للسيوطي: ص ١١٦.

(٢) الأدب المفرد: ص ١٥٢.

(٣) الحجر : ٧٢.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ١٢٥.

كان عمر غيوراً فقد تعلّم ذلك من مصدر الغيرة والشهامة والنبل محمّد ﷺ، الذي كان يقول: «**كان إبراهيم أبي غيوراً وأنا أغير منه، وأرغم الله أنف من لا يغار من المؤمنين**»(١).

وقال ﷺ: «**إنّ الله يحبّ من عباده الغيور**»(٢).

والمسألة الأُخرى هي:

هل كانت دار النبيّ ﷺ ممر للعابرين ويدخله الذاهب والقادم؟ وهل كان يأكل مع أزواجه على قارعة الطريق؟ حتّى يأتي عمر يأكل معه وهو مستطرق؟

وهل صحيح أنّ البرّ والفاجر كان يدخل على نساء النبيّ ﷺ والنبيّ يراهن من غير حجاب أمام الأجانب ولا يثير هذا الأمر شيئاً في نفسه وعمر يوجه النبيّ ﷺ بأمرهنّ بالحجاب وينزل الوحي مؤيّداً عمراً؟

إنّ هذا الكلام لا يقوله مسلم ولا يرتضيه بحقّ نبيّه.

رأي من آراء عمر في القرآن

ذكرت كتب السير فضائل لعمر كثيرة، أحدها تُسمّى الموافقات ويدّعون أنّ عمر تكلّم بكلام فجاء القرآن موافقاً لكلامه وسنذكر نماذجاً من الصور الموافقة:

الأُولى: أخرج ابن أبي حاتم في تفسير عن أنس، قال: قال عمر: وافقت ربّي في أربع، نزلت هذه الآية: ﴿**ولَقَدْ خلقنا الإنسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طينٍ**﴾، فلمّا

(١) بحار الأنوار: ج ١٠٣، ص ٢٤٨.

(٢) كنز العمال: ح ٧٠٧.

نـزلت قـلت أنـا: فـتبارك الله أحسـن الخـالقين، فـنزلت: ﴿فَتَبارَكَ اللهُ أحسـن الخالِقين﴾.

الثانية: لمّا توفي عبدالله بن أُبيّ دعى رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام عليه فقمت حتّى وقفت في صدره، فقلت: يا رسول الله، أو على عدوّ الله ابن أُبـيّ القائل يوم كذا وكذا؟ فوالله ماكان إلاّ يسيراً حتّى نزلت: ﴿**ولا تُصلِّ على أحدٍ منهُم مات أبداً**﴾[1].

الثالثة: قصته في صيام شهر رمضان إذ قارب زوجته بـعد الإنـتباه وكـان ذلك محرّماً في أوّل الإسلام، فنزل: ﴿**أُحلَّ لَكُم لَيلَةَ الصيام**﴾، فـقلت: أخـرجـه أحمد في مسنده[2].

الرابعة: أخرج ابن عساكر عن عليّ قال: إنّ في القرآن لرأياً من رأي عمر وأخرج عن ابن عمر مرفوعاً: ما قال الناس فـي شـيء، وقـال عـمر إلاّ جـاء القرآن ينحو ما يقول عمر[3].

ملاحظات على الموافقات

أوّلاً: إنّها تتعارض مع الآيات التي جاءت توبّخ عمر، إذ كيف يكون بهذا المستوى ثمّ تنزل الآيات الإلهية بما ينطق به.

وقد تواتر عند أصحاب السير والتفسير أنّ الآيـات الخـمس الأُوَل مـن سورة الحجرات التي يقرؤها المسلمون نزلت توبّخ الشيخين أبا بكر وعمر: ﴿**يا أيُّها الذينَ آمَنوا لا تُقدِّموا بَينَ يَدي الله ورَسولهُ واتّقوا اللهَ إنَّ اللهَ سَميعٌ عليمٌ * يا أيُّها**

(١) التوبة: ٨٤، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١٢٢ ـ ١٢٤.

(٢) تاريخ الخلفاء، للسيوطي: ص ١٢٢ ـ ١٢٤.

(٣) المصدر السابق.

الذينَ آمَنوا لا تَرفَعوا أصواتَكُم فَوْقَ صَوتِ النبيّ ولا تَجهَروا لَهُ بالقولِ كَجهرِ بَعضكم لبعض أنْ تَحْبَط أعمالَكُم وأنتم لا تَشعُرونَ * إنَّ الذينَ يغضّونَ أصواتَهُم عندَ رَسول الله أولئكَ الذينَ امتَحَنَ اللهُ قُلوبهُم للتقوى لَهُم مَغفِرَةٌ وأجرٌ عَظيمٌ﴾[١].

«وقصّتها أنّ وفد بني تميم قدم على رسول الله ﷺ، ومعهم «عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري» اقترح أبو بكر على النبيّ ﷺ أن يؤمر على بني تميم القعقاع بن معبد بن زرارة، وقال عمر: بل أُأمِّر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلاّ خِلافي!

قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتّى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك الآيات[٢].

وعن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيّران أن يهلكا أبو بكر وعمر (رضي الله تعالى عنهما) رفعا أصواتهما عند النبيّ ﷺ حتّى قدم عليه ركب بني تميم...»[٣].

وفي رواية النسائي: «فتماريا حتّى ارتفعت أصواتهما»[٤].

ثانياً: لا تتناسب مع المستوى العلمي لعمر، إذ أنّ عمر يجعل كثير من الأحكام العبادية الفردية ويجهل معاني بعض المفردات العربية في القرآن الكريم.

روى مسلم عن شعبة قال: حدّثني الحكم عن ذر عن سعيد بن

(١) الحجرات: ١ ـ ٣، مسند أحمد: ج ٤، ص ٢٩٥.

(٢) سيرة ابن هشام: ج ٤، ص ٩٨٦.

(٣) صحيح البخاري: ص ٤، ح ١٨٣٣.

(٤) النسائي: ج ٨، ص ٢٢٦ ح ٥٩٣٦، وجاء ذلك في تفسير الطبري: ج ١٣، ص ١١٩، سنن الترمذي: ص ٥، ح ٢٢٦٦، والدر المنثور: ج ٧، ص ٥٤٦ ـ ٥٤٧.

عبد الرحمن عن أبيه ؛ أنّ رجلاً أتى عمر فقال: إنّي أجنبت فلم أجد ماءً.

فقال: لا تصلي.

فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين، إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماء فأمّا أنت فلم تصلِّ، وأمّا أنا فتمعكت في التراب وصلّيت، فقال النبيّ ﷺ: «**إنّما يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ثمّ تنفخ ثمّ تمسح بهما وجهك وكفّيك**».

فقال عمر: اتّق الله يا عمار، فقال: إن شئت لم أحدث به»[1].

وجاء في فتح الباري، أنّ رجلاً سأل عمر بن الخطاب عن قوله: ﴿**وفاكِهَةً وأبّا**﴾ ما الأب؟!

قال عمر: نهينا عن التعمّق والتكلّف.

وجاء برواية أُخرى أنّ عمر قرء: ﴿وفاكِهَةً وأبّا﴾، فقال: ما الأب؟!

ثمّ قال: «ما كلّفنا»، أو قال: «ما أُمرنا بهذا»[2].

ثالثاً: إنّ القرآن كلام الله المجيد لم يشرك فيه حتّى نبيّه محمّد ﷺ وأنّه معجزة الإسلام الخالدة فإذا استطاع عمر أن يأتي بما يضاهي كلام الله فإنّ أصل إعجاز القرآن سيختل لأنّ عمر استطاع أن يقول شيئاً من القرآن.

رابعاً: يتعارض مع قولهم بأنّ القرآن ليس بمخلوق، والذي ذهب ضحيّة لأجله فقهاء وقرّاء أمثال أحمد بن نصر الخزاعي الذي قتله الواثق، وآخرين ضربوا بالسياط مثل الإمام أحمد بن حنبل.

---

(١) صحيح مسلم: ح ١، باب التيمم.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ج ١٧، ص ٣١.

الموافقات لا تتفق مع القول بقدم القرآن

امتحن المسلمون بمسألة خلق القرآن وعدم خلقه، وهي فتن اختلقها المأمون العباسي، وانقسم المجتمع الإسلامي آنذاك إلى قسمين:

أحدهما: يقول بالخلق، والآخر يقول بعدم خلق القرآن.

فكان الموقف السنّي ما عدا المعتزلة، يقول بعدم خلق القرآن، فإذا كان القرآن غير مخلوق، فأين يكون موقف موافقات عمر؟ فهل يمكن أن نقول بقدم عمر وكلامه؟

وإذا كان القرآن مخلوق، فهذا خلاف لعقيدتهم بعدم خلق القرآن، فيبقى إحتمال آخر، وهو قدم القرآن واختلاق الروايات، لأنّ حدوث عمر ممّا لا شكّ فيه، وهذا بناءً على نظريتهم في القرآن الكريم.

وهذا القول ينتهي إلى أنّ الموافقات جاءت غير موافقة لآيات التحدّي لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، ولماذا انحصرت هذه الموافقات بعمر ولم تسرِ إلى غيره وإلى يوم القيامة؟ أعَيت الأدباء والبلغاء والفقهاء أن تلد النساء كعمر؟!

تقدّم عمر على النبيّ ﷺ في العلم، وأنّ عمر أقرب إلى الله من الرسول ﷺ، وأنّ عمر شريك الله في كتابه المقدّس ـ القرآن الكريم ـ وأنّه شريك الرسول ﷺ برسالته وأنّه أعرف بموارد الحكمة، والإرادة الإلهيّة تابعة لإرادة عمر وجميعها تؤدّي إلى الغلو المنهي عنه، ولا مبرر للقول بأي منها، لأنّها جميعها باطلة، تتعارض مع مسلمات الإسلام.

﴿**قُلْ أتُعلِّمونَ اللهَ بِدينكُم واللهُ يَعلَمُ ما في السماواتِ وما في الأرضِ واللهُ بِكُلِّ شيءٍ عليم**﴾[1].

---

(١) الحجرات: ١٦.

كرامة للحسن البصري

ذكر في الطبقات الكبرى أنّ الحسن البصري «كان ممَّن يصلّي الصلوات الخمس بمكّة وهو بالبصرة».

ومثل هذه الكرامة أو على سنخها كرامة لحبيب العجمي أحد الأبدال والأقطاب.

قال القشيري: قيل إنّه كان ﷺ يرى بالبصرة يوم التروية، ويوم عرفة بعرفات(١).

من الشام يوقظ ولده للصلاة في بلاد الروم

روى الطبراني بإسناد رجاله ثقات، كما قال الحافظ الهيثمي من طريق غزة بنت عاض بن أبي قرصافة، قالت: أسرت الروم ابناً لأبي قرصافة، فكان أبو قرصافة إذا حضر وقت الصلاة صعد سور مدينة عسقلان(٢) ونادى: يا فلان الصلاة، فيسمعه وهو في بلد الروم.

وفي رواية المختارة: وكان أبو قرصافة إذا أصبح في السحر بعسقلان نادى بأعلى صوته: يا قرصافة الصلاة.

فيقول قرصافة من بلاد الروم: يا أبتاه.

فيقول أصحابه: ويحك لمَن تنادي؟

فيقول: لأبي وربّ الكعبة يوقظني للصلاة(٣).

يعقوب النبيّ عليه السلام يبكي على يوسف ولا يعلم مكانه، والصحابي

---

(١) الطبقات الكبرى: ج ١، ص ٢٧٩، المكتبة الثقافية ـ بيروت.

(٢) عسقلان: مدينة تاريخية كانت تقع على ساحل البحر المتوسط شمال مدينة غزّة الحالية.

(٣) كرامات الصحابة، للكاتب الإسلامي سعيد هارون عاشور: ص ٤٢، ط ١، (١٩٩٦ م) ـ القاهرة.

أبو قرصافة ينادي ولده على بعد آلاف الفراسخ ويجيبه ولده وهو نائم فيستيقظ وينادي هو كذلك أباه.

عبد القادر الجيلاني

إنّ عبد القادر الجيلاني كان وهو طفل رضيع يمسك عن الرضاع في نهار رمضان لأنّه صائم، وصادف أن غُم الهلال على الناس في آخر الشهر، فسألوا أُمّ عبد القادر: هل رضع اليوم؟

فقالت: نعم، فعلموا أنّه العيد.

ومن كراماته أيضاً: أنّه بقي سنة يأكل ولا يشرب، وسنة يشرب ولا يأكل، وسنة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام(١).

ما هي الفضيلة بهذا الفعل على فرض صحّته، وهو ليس كذلك؟ وما هي الحمكة التي لأجلها يكون عبد القادر عمراً لا يأكل ولا يشرب ولا ينام؟ وعلى أيّ دين وشريعة؟ وبأيّ الأنبياء أو الأولياء اهتدى؟ وهل أمر الإسلام بذلك؟ أم نهى عنه؟ فإذا أمر فلماذا لم يفعل الرسول ﷺ ذلك؟ وإذا نهى عنه لماذا يتجرّأ عبد القادر على إرتكاب ما نهي عنه؟

عشرون عام يصلّي الصبح بوضوء العتمة

روى ابن عساكر عن أبي الحسين السروي الفاضل في الكلام، يقول: كان الشيخ أبو الحسن يعني الأشعري، قريباً من عشرين سنة يصلّي صلاة الصبح بوضوء العتمةوكان لا يحكي عن اجتهاده شيئاً إلى أحد(٢).

---

(١) لواقح الأنوار من طبقات الأخيار: ص ١٢٦.

(٢) التبيين: ص ١٤١، تاريخ بغداد: ج ١١، ص ٣٤٧.

وهذا يعني أنّه عمل على خلاف الطبيعة التي قال الله تعالى عنها: ﴿هوَ الذي جَعَلَ لَكُمُ الليلَ لِتَسكُنوا فيهِ والنهارَ مُبصِراً﴾[١].

ثمّ هذه المسألة لم تكن فضيلة ولم يندب الشرع لها، ولم يفعل ذلك الرسول ﷺ والصحابة، ثمّ أنّ المستحب هو إعادة الوضوء وتكراره وعبّرت عنه الرواية بأنّه نور على نور.

ثمّ هل يمكن أن تتفق لإنسان هذه المدّة الطويلة أن لا يحدث ولا يصدر منه ما يبطل وضوءه؟ أو لم يكن يوماً مريضاً أو على سفر؟

استمهال من الموت[٢]

دخل أحمد بن يحيى الشاوي على القاضي عثمان بن محمّد الناشري وقد أرجف بموته، ثمّ خرج وعاد إليه وقال لأهله: قد استمهلت له ثلاث سنين، فأقام القاضي بعدها ثلاث سنين لا تزيد ولا تنقص[٣].

الله جلّ وعلا يزور ابن حنبل في قبره

روى ابن الجوزي في مناقب أحمد قال: حدّثني أبو بكر بن مكارم ابن أبي يعلى الحربي ـ وكان شيخاً صالحاً ـ قال: كان قد جاء في بعض السنين مطر كثيراً جدّاً قبل دخول رمضان بأيّام فنمت ليلة في رمضان، فرأيت في منامي كأنّي جئت على عادتي إلى قبر الإمام أحمد بن حنبل أزوره فرأيت قبره قد التصق بالأرض مقدار ساف ـ أي صف من الطين أو اللبن ـ أو

---

(١) يونس: ٦٧.

(٢) أين هذه من الآية ﴿لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾؟ الأعراف: ٣٤.

(٣) شذرات الذهب: ج ٧، ص ٢٤٠، عن الغدير: ج ١١، ص ١٨٤ ـ ١٨٥.

سافين، فقلت: إنّما تمّم هذا على قبر الإمام أحمد من كثرة الغيث فسمعته من القبر وهو يقول: لا بل هذا من هيبة الحقّ عزّوجل قد زارني فسألته عن سرّ زيارته إيّاي في كل عام فقال عزّوجل: يا أحمد لأنّك نصرت كلامي فهو ينشر ويتلى في المحاريب، فأقبلت على لحده أُقبّله، ثمّ قلت: يا سيدي ما السرّ في أنّه لا يُقبّل قبر إلاّ قبرك؟

فقال لي: يا بُنيّ ليس هذا كرامة لي ولكن هذا كرامة لرسول الله ﷺ لأنّ معي شعرات من شعره ﷺ ألا ومَن يحبّني يزورني في شهر رمضان، قال ذلك مرّتين(١).

الخضر عليه السلام يتعلّم الأحكام من أبي حنيفة

ومن فضائل النعمان أنّ «الله خصّ أبا حنيفة بالشريعة والكرامة، ومن كرامته أنّ الخضر عليه السلام كان يجيء إليه كل يوم وقت الصبح، ويتعلّم منه أحكام الشريعة إلى خمس سنين، فلمّا توفي أبو حنيفة، دعا الخضر عليه السلام ربّه فقال: يا ربّ إن كان لي عندك منزلة فأذن لأبي حنيفة حتّى يعلّمني من القبر على عادته، حتّى أعلّم الناس شريعة محمّد ﷺ على الكمال ليحصل لي الطريق، فأجابه ربّه إلى ذلك، وتمّت للخضر عليه السلام دراسته على أبي حنيفة وهو في قبره في مدّة خمسة وعشرين سنة»(٢).

هذا القول مصداق القول: «حدِّث العاقل بما لا يُعقل فإن صدَّق فلا عقل له».

---

(١) مناقب أحمد: ص ٤٥٤.

(٢) الياقوت في الوعظ، لأبي فرج عليّ بن الجوزي: ص ٤٨.

يأخذ من الحضرة الإلهيّة بلا واسطة

ذكر في الطبقات الكبرى أنّ أحمد بن هلال الحسباني نزيل حلب أحد مشاهير العصر وخلصاء الدهر غوث عصره، من كراماته،كان يدّعي أنّه يطلع على الكائنات، وأنّه يأخذ من الحضرة بلا واسطة وأنّه نقطة الدائرة، وأنّه يجتمع بجميع الأنبياء في اليقظة، فقام عليه جماعة كثيرة من الفقهاء والمحدثين على عادتهم مع هذه الطائفة فتعصّب له أكابر الدولة، وكثُرت أتباعه جدّاً ورحل إليه الناس من الأقطار، توفي عام (٨٢٣هـ).

فظهر أنّه أعلى منزلة من الرسول ﷺ لأنّه يأخذ الوحي عن طريق جبرئيل عليه السلام ويجوزون تذكير عمر له ﷺ، وأنّه لا خاتميّة للنبوّة ولرسالة الرسول ﷺ(١).

يزعق فتتغيّر هيأته

جمال الدين الساوي قدوة الطائفة المعروفة بالقلندرية، من كراماته: ما قال ابن بطوطة في رحلته: من كرامات الشيخ جمال الدين، يذكر أنّه لمّا قصد مدينة دمياط لزم مقبرتها وكان بها قاض يعرف بابن العميد، فخرج يوماً إلى جنازة بعض الأعيان فرأى الشيخ جمال الدين بالمقبرة، فقال له: أنت الشيخ المُبتدع؟ فقال له: أنت القاضي الجاهل، تمر بدوابّك بين القبور وتعلم أنّ حرمة الإنسان ميتاً كحرمته حيّاً.

فقال له القاضي: وأعظم من ذلك حلقك للحيتك، فقال له: إيّاي تعني

---

(١) الطبقات الكبرى: ج ١: ص ٢٦٥، المكتبة الثقافية ـ بيروت.

وزعق الشيخ، ثمّ رفع رأسه فإذا هو ذو لحية سوداء عظيمة، فعجب القاضي ومن معه، ونزل إليه عن بغلته ثمّ زعق ثانية، فإذا هو ذو لحية بيضاء حسنة، ثمّ زعق ثالثة ورفع رأسه، فإذا هو بلا لحية كهيئته الأُولى، فقبّل القاضي يده وتتلمذ له وبنى له زاوية حسنة وصحبه أيّام ثمّ مات الشيخ فدفن بزاويته»(١).

ما هذه إلاّ أباطيل وسحر من سحر الفراعنة.

وما ذُكر نماذج من الغلو ويمكن إضافة مسائل وأقوال كثيرة لكن نكتفي بهذا المقدار البسيط ويمكن لمَن أراد التوسع مراجعة الموسوعات الكثيرة في المناقب والكرامات والتي انتخبنا منها هذه المجموعة، ومثل هذه الأحاديث لم يتخفّى منها إخواننا أو يعتذروا، وإنّما جعلوها جزء من المواد الرئيسية في الوعظ وجزء من الإيمان، والكرامة لأُولئك الرجال، لذلك كانت لأئمة المذاهب الأربعة مناقب وكرامات وللصحابة كرامات وقصص ومعاجز لا تحدث إلاّ لنبيّ يتوقف إيمان قومه وتصديقه عليها، وهكذا القضاة والولاة والمحدثين والمؤمنين من عامّة الناس.

وإذا توجّهنا نحو أصحاب الطريقة ومشايخهم من الصوفيّة وأمثالهم فإنّنا نرى في تراثهم ونسمع من حديثهم من القصص الخياليّة التي لا يقبلها عاقل ولا تخضع لميزان، وهي لا تقوّي دليلاً دينيّاً ولا تضعف لنا عدوّاً.

ومع كل هذا الواقع الفكري والعقائدي المتدنّي عند البعض، فإنّهم ينظرون إليها باعتبارها فضائل ولم يحدّثوا أنفسهم يوماً بالكلام حولها لكنّهم يتحوّلون إلى الشدّة والقاطعية والغيرة االعالية على الإسلام عندما

---

(١) الطبقات الكبرى: ج ١، ص ٢٧٧.

يرون الشيعة أئمة وجمهوراً يكفّرون الغلاة المندسّين بينهم والذين يريدون محاربة الإسلام من هذا الموضع، فينسبون ما قاله الغلاة إلى الشيعة ثمّ تبدأ الأحكام على الشيعة بما تشتهي أنفسهم، فهم يؤسسون المسألة ثمّ يحكمون على المسألة بناءً على ما ألصقوه من تُهم بحقّهم.

فعندما يعرّفون النظرية الشيعية يعتمدون على ما نسبه بعض السلف، أو المعاصرين من افتراءات وهي جميعها آراء الغلاة المنحرفين، أو آراء مكذوبة على الشيعة، أو أنّها آراء أصيلة جاء بها الإسلام ويرفضها البعض لأنّها لا تنسجم مع آراء المذهب الذي ينتمي إليه الكاتب.

الموقف الإجمالي من الغلو

الأوّل ـ الشيعة قالوا:

«الغلاة كفّار بالله جلّ اسمه، وأنّهم شرّ من اليهود والنصارى والمجوس».

الثاني ـ السنّة، اتّخذوا موقفين:

أ ـ الغلو الذي ظهر في كتبهم والذي يتحدّث به أتباعهم، اعتبروه كرامة وفضيلة كما يحدث للأنبياء يحدث لأولياء الله كرامات.

ب ـ الغلو الذي أظهره المندسّون في مذهب أهل البيت عليهم السلام:

١ ـ نسبة ما أظهره المنحرفون إلى الشيعة.

٢ ـ اتهام الشيعة بالغلو في كلّ المسائل الدينية التي نسبت إليهم.

فعلى طريقتهم في التعامل مع الغلو يكون تقسيمهم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الغلو الجائز، وهو في معنى آخر كرامة وفضيلة وهي تشمل كل من إنتسب إلى المدرسة السنّية وبأي مستوى أو مسؤولية كان.

٢ ـ الغلو الممنوع، وهو الكفر والانحراف عن جادة الإسلام، ونسبة الأولياء إلى مراتب أعلى من شأنهم كالنبوّة والربوبية.

٣ ـ الغلو التبرّعي، وهو ما تبرّع المتطرّفون به إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام، بنسبتهم إلى الفئة الثانية.

غلاة الصوفيّة

الصوفية نشأت وترعرعت وتوسّعت داخل المدرسة السنّية، وظهرت شخصياتها من بين أتباع المذاهب الأربعة، ودعمتها الحكومات السنّية في بداية ظهورها وجميع مراحل نموّها وبُنيت لها التكايا والزوايا، ووجدت لها أرضية داخل المجتمع السنّي، وإلى يومنا هذا يعيش التصوف في الوسط الاجتماعي الإسلامي السنّي، ويحتفظ بمكانة اجتماعية جيّدة، وله مشايخ وتكايا خاصة به، وتُقام مراسم الذكر التي يتميّزون بها عن بقيّة الأُمّة.

وهذا الإتّجاه ـ التصوّف ـ لا يمكن نسبته إلى الشيعة، ولا عزلهم من السنّة، وهم ينتسبون إلى السنّة بمذاهبها المختلفة، ويتعبّدون بفقهها ظاهراً، لكنّهم مع إنتسابهم يلتزم بعضهم عقائد فيها كثير من الغلو، والأفكار المخالفة لمسلمات العقيدة الإسلامية، ويحقّ لأبناء السنّة القول: إنّ غلو التصوّف ليس من الإسلام، وفعلاً ظهرت مخالفات شديدة من بعض العلماء ضدّ غلاة التصوّف.

لكن المسألة الأساسية التي ستبقى ثابتة هي: أنّ الغلو الذي استنكره بعض علماء السنّة على الصوفيّة، واعتقاداتهم بمشايخهم، وطرقهم المبتدعة، يُثبت وجوده ضمن الدائرة السنّية.

فأصل المسألة لا يمكن إنكارها، وإنّما يمكن التبرء منها، لأنّ إنكارها مخالفة للواقع الخارجي الذي يعيشه ويشهده المسلمون وتشهده الكتب ذات الإهتمام بكرامات ومناقب ودرجات المشايخ والأقطاب والأولياء.

أمّا التبرء منهم فهو أمر يتطابق مع الرؤية الإسلامية الأصيلة أوّلاً وهو وظيفة العلماء في التصدي لمسائل التحريف والإنحراف ثانياً.

والأمر المهم هنا، أنّ وجود مجموعة فاعلة داخل مذهب معين لا يعني أنّ المذهب تابع لأُولئك النفر، وإنّه يتبنّى أفكارهم وينظر للمسائل الدينية من خلالهم، ولا يمثّل أُولئك الغلاة ذلك المذهب في سلوكهم وعقائدهم.

يمكن أن يكون شخصاً يحسب على أحد المذاهب الإسلامية لكنّه لا يلتزم ببعض عقائدهم وأخلاقهم وسلوكهم.

فوجود شخصيّات مغالية داخل المذاهب الإسلامية حقيقة لا تُنكر، ووجودها لا يُحدَّد في فترة زمنية أو بقعة جغرافية معينة وإنّما يمكن أن تكون في المستقبل كما وُجدت في الماضي، فإذا نظرنا إلى المذاهب الإسلامية من خلال الغلاة فلم يسلم مذهب من الغلو، وجميع المذاهب بذلك سواء، وتصبح التهمة التي توجّه إلى مذهب خاص لا قيمة لها، وإذا قالوا: إنّ الغلو لا يحسب على مذهب معيّن، وإنّه خارج من الإسلام فضلاً عن المذاهب، فيكون قولهم مقبولاً أو مردوداً بتمامه، ولا يستساغ قبوله من أحدهم وردّه من آخر، لأنّ المسألة مشتركة في جميع جوانبها فيلزم الحكم عليها بحكم واحد ما دام الأمر بينهما متطابق العناصر ولأنّ: «حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد»، وإلاّ ما المرجع لتبرير الغلو الموجود عند المذهب الفلاني دون الآخر، وهما مشتركان في مسألة واحدة.

إنّ عدم الخضوع إلى الرؤية الموضوعية للمسألة، يجر الأمر حتّى ينتهي إلى اتّهام الإسلام بالغلو، لأنّ النظر إلى المذاهب من خلال الغلاة يعكس لنا الغلو عند الجميع ومجموع الصور التي يعكسها كل مذهب عن غيره تؤدّي إلى صورة جامعة عن الغلو في المذاهب التي باجتماعها تتكوّن الأُمة الإسلامية، والنظرية الإسلامية ذات اجتهادات مختلفة، فيكون للغلو حضوراً عند الجميع وعندئذ ستُعرّف الإسلام لغيرنا، إنّه مجموعة من عقائد الغلو، وجميع مذاهبه واتجاهاته تشترك بذلك، ولها نصيب منه، وهنا تحصل صورة مشوّهة عن الإسلام، يمكن أن يكون لها دور في تنفير غير المسلمين من قبوله، ثمّ تعكس نظرة سلبيّة عن المسلمين، وعقائدهم، وطريقة تقبّلهم للأفكار الباطلة.

أمّا القول بأنّ الغلو مرض فكري وعقائدي يصيب الأفراد والجماعات، ولا يختص بطائفة أو أُمّة معيّنة، ولا يمثّل دين سماوي، ومذهب إسلامي، وهو مرفوض ومحكوم عليه بالخروج من الدين وبالكفر والشرك أينما وُجد، وأي مجموعة أو فرد ظهرت عقائد الغلاة على لسانه أو سلوكه فهو لا يمثّل إلاّ نفسه.

في هذه الحالة يمكن القول بنقاء الإسلام وسلامته من الغلو وإرجاع المسألة إلى أولئك الغلاة لا إلى الإسلام ومذاهبه الفقهية.

تأسيساً على ما تقدّم:

أوّلاً: لا تمثّل الآراء الغالية إلاّ حالة انحراف فكري وعقائدي وسلوكي تصيب بعض الأفراد لعوامل مختلفة.

ثانياً: أقوال وآراء أئمة المذاهب والفقهاء هي الممثل لعقيدة كل مذهب

يُنسَب إليهم.

ثالثاً: لا قيمة للأحكام الإرتجالية والسياسية والتي تفتقد البيّنة ضدّ أي مذهب إسلامي.

رابعاً: ما نصبه المتعصّبون لمذهب أهل البيت عليهم السلام لا يمثّل إلاّ موقفاً سياسيّاً متطرفاً.

خامساً: الغلو الذي ظهر بين أبناء السنّة والشيعة لا يمثّل تلك المذاهب، وإنّما هو خارج عنها وعن الإسلام.

* * *

الفصل السّابع

توقيت نشاط الغلاة

توقيت نشاط الغلاة

حركة الغلو لم تكن محصورة في دائرة عقيدة أو فكرة أو أُمّة معيّنة، ولم تكن نتيجة باعث معين دائماً، كالإفراط في الحبّ والموالات، أو الإنبهار بما يقدمه أو يظهر على أيدي الأولياء من كرامات، وإنّما هناك عوامل أُخرى، يمكن ملاحظة بعضها من خلال التوقيتات لتصعيد فعّاليات حركة الغلو، وما تبديه من نشاط متميز في بعض الظروف الخاصّة، وما تقوم به من تعبئة لأنصارها وأتباعها، لتكثيف عملها التبليغي بهذا الإتجاه.

وهذه المسألة مع ملاحظة طبيعة وكيفية وزمان ومكان إظهار عقائدهم، والدعوة لها، لا يمكن أن تكون حركة إتّفاقية تخلو من التخطيط، لأنّ الفعّاليات العفوية، لا تأتي دائماً على نسق واحد، وإنسجام تام، على طول المسيرة، وتحافظ على الإتجاه الموحّد في حركتها.

فمن البساطة تجاوز هكذا مسائل مؤثرة دون البحث والتدقيق في دوافعها وأهدافها، وبالأخص أصحاب أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، الذين أصبحت مقترنة باسمهم، نتيجة الدعم الإعلامي، والتوجيه الحكومي، الذي سعى وبذل كل جهده في سبيل توجيهها والإستفادة منها كسلاح، ضدّ أقوى جهة تعتقد بعدم شرعية الظالمين، وإنّ الخلافة حقّ إلهي، يجعله الله حيث

يشاء من أوليائه.

فنشاطات حركة الإنحراف داخل مذهب أهل البيت عليهم السلام، تقترن دائماً بظروف سياسية واجتماعية وفكرية خاصّة، وتأخذ تركيبتها وتشكيلتها المنظمة من نفس الظروف.

ثمّ تقوم الجهة المركزية بإثارة أفكارها، وبثّ أنصارها، في الأماكن التي يتمركز بها أتباع أهل البيت عليهم السلام، وعلى الأُسس الفكرية والعقائدية الذي يقوم عليها المذهب الإمامي، وعلى شخصيات الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وعند التدقيق والمتابعة لهذه الحركة، وطريقة تعاملها مع الظروف والإستفادة منها، يتّضح أنّها لم تكن نشاطات عفوية، وإنّما حركة منظّمة، لها منهج وأهداف، تتحرك باتجاهها.

ويمكن رصد نشاطاتهم في المواقع التالية:

أوّلاً ـ عند حكومة الأئمة عليهم السلام

وصول أحد الأئمة من أهل البيت عليهم السلام إلى الحكومة، وقوّة احتمال تثير حفيظة الجميع وتكون علّة لاتّحاد أصحاب الإتجاهات والمصالح والمطامع بشكل مثير للسؤال والدهشة فحكومة الإمام عليّ عليه السلام أثارت عليه جميع المنافقين وأصحاب الأطماع والطلقاء، ولم يهدأ لهم بال حتّى قُتل على يد أشقى الآخرين، ولم يكتفوا بهذه المسألة، بل أثاروا مسألة الغلو للقضاء على أفكار الإمام عليه السلام، بخلط أقوال الغلو مع أقواله، حتّى يحترق الأخضر مع اليابس، ويضيّعوا الإمام عليّ عليه السلام فكراً، كما غيّبوه جسداً.

فبوصول الأئمة عليهم السلام إلى السلطة واستلامهم لزمام الأُمور قد حقّق لهم

إثارة مسألة الغلو في حكومتي أمير المؤمنين عليه السلام، وزمن الإمام الرضا عليه السلام في فترة ولاية العهد، إذ اشتدّت بشكل قوي، ولذلك كثرت الأحاديث، والردود على الغلاة على لسان الإمام الرضا عليه السلام وحتّى المأمون قال للإمام الرضا عليه السلام يوماً: «بلغني أنّ قوماً يغلون فيكم ويتجاوزون الحدّ»[١].

وكلام المأمون يأتي في نفس نسق المؤامرة ضدّ أهل البيت عليهم السلام، وعمليّة التشويه والتحجيم لدورهم المهم إذ أنّه ـ المأمون ـ لم يبلغه شيئاً عن الإمام الرضا عليه السلام وقول الناس فيه، إلاّ من الجهات التي وضعها لبث الفرقة بين أصحاب الإمام الرضا عليه السلام، وإلاّ فإنّ الشيعة عدا الواقفة لم تختلف على إمامة الإمام الرضا عليه السلام ولم يظهروا شيئاً خلاف الإعتقاد الصحيح.

والمأمون عندما فشل في فرضه ولاية العهد على الإمام الرضا عليه السلام إتّجه إلى محاولة أُخرى وهي عزل الإمام عليه السلام عن الإرتباط بالناس وفك الناس من التعاطف مع الإمام عليه السلام، وقد شخّص الإمام الرضا عليه السلام أنّ هذه الأقوال، لا يُراد منها إلاّ ولاية أهل البيت عليهم السلام وإنكار حقّهم الذي أوجبه الله لهم، ومقامهم الذي جعلهم فيه.

ولذلك نرى الإمام الرضا عليه السلام عندما أجاب عن مسائل حول الغلاة إلتفت إلى السائل قائلاً: «يا عبد السلام، أمنكر أنت لما أوجب الله عزّوجل لنا من الولاية كما ينكره غيرك»؟

قال: معاذ الله، بل أنا مقرّ بولايتكم[٢].

فلمّا كان القول عن الغلو نلاحظ الإمام عليه السلام وقد سأل عن الولاية، وما ذلك

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٧١، ح ١٧.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ص ٣١١.

إلّا لأنّ الإمام عليه‌السلام كان يعلم أنّ الهدف من هذا القول هو ولاية الأئمة عليهم‌السلام إذ أنّ ادّعاء التفضيل بهذه الصورة المتعارضة مع بديهيات الإسلام ما هي إلاّ صورة حبّ خادع يُراد منه التعرض لمقام أهل البيت عليهم‌السلام والتفرقة بين أتباعهم ولكن لم يذكر لنا التاريخ أنّهم كان لهم تأثير على المرتبطين بأهل البيت عليهم‌السلام.

ثانياً ـ نشاط وسعة المذهب العلمي والجماهيري

تهيأت الفرصة للإمامين الصادقين عليهما‌السلام تزعمّا فيها الحركة العلميّة وانتمى لهذه الحركة والمسيرة العلميّة عظماء الأُمّة ورؤساء المذاهب حتّى كانت بيوت الأئمة جامعة علميّة يشدّ لها الرحال من جميع الأمصار الإسلامية وساهمت هذه المسألة إضافة إلى نشر العلم بجميع فروعه، إلى كثرة أتباع أهل البيت عليهم‌السلام على المستوى الجماهيري وإتّساع رقعة تواجدهم الجغرافي وكان وكلاؤهم موزّعين على أكثر الأقطار الإسلامية، فشاع صيتهم وعرفت الأُمّة لهم حقّاً حتّى صاروا حديث العلماء والعامّة والخاصّة، ففي هذه الفترة اشتدّت حركة الغلو وصعّدت من فعالياتها وظهرت مجموعة قال عنهم الإمام الصادق عليه‌السلام في قوله عزّوجل: ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُم على مَنْ تَنَزَّلُ الشَياطِين* تَنَزَّلُ على كُلِّ أفَّاكٍ أثيم**﴾(١)، قال: هم سبعة، المغيرة وبيان وصائد وحمزة بن عمارة البربري والحارث الشامي وعبدالله بن الحارث وأبو الخطّاب»(٢).

وقال أبو عبدالله عليه‌السلام يوماً لأصحابه: «لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن الله يهودية كان يختلف إليها يتعلّم منها السحر والشعبذة والمخاريق، إلى أن

(١) الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٧٠، ح ١٥.

قال عليه السلام: «أبيت على فراشي خائفاً وجلاً مرعوباً، يأمنون[١] وأفزع، ينامون على فرشهم وأنا خائف وجل، أتقلقل بين الجبال والبراري، أبرأ إلى الله ممّا قال فيَّ الأجدع البرّاد عبد بني أسد أبو الخطّاب لعنه الله»[٢].

كلام الإمام عليه السلام مثقل بالهموم ومحمّل بآلام من ادّعاءات ودعوات هذه الفئة الضالة التي أصبحت أداة اليهود والظالمين من أعداء أهل البيت عليهم السلام والإسلام، لذلك كان الإمام قلقاً على الأُمّة وما يمكن أن تؤدّي إليه هذه الدعوة ويؤلمه أُولئك الذين استخدموا أداة لأغراضهم.

وفي موقف آخر يحدث عندما يستدعي المنصور العباسي الإمام الصادق عليه السلام وهو في الكوفة فعندما أراد الخروج من داره يجد مجموعة تطوف حول البيت وهي تقول لبّيك جعفر بن محمّد لبّيك.

وهذا الأمر يحدث بشكل علني ومنظّم مع وجود دولة قائمة ومسيطرة لا يمكن إغفاله والنظر إليه بسذاجة لأنّ كلام الإمام عليه السلام كان ينظر إلى عمق الدافع الذي تحرّكوا فيه.

ثالثاً ـ الصراع السياسي، الصراع على السلطة

لقد نشط الغلاة في الفترة التي تهيّأت فيها فرصة لنشر علوم أهل البيت عليهم السلام، وفي الفترة التي نشط فيها دعاة بني العباس في البلاد الإسلامية وحركتهم في الدعوة للرضا من آل محمّد عليهم السلام، وفي تلك الفترة كثر نشاط بني أُميّة في ملاحقة بني العباس ومدرسة أهل البيت عليهم السلام .

---

(١) أي الظلمة والناس.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٨٩، ح ٤٦.

فبنوا أُميّة العدوّ التقليدي لخط أهل البيت عليهم السلام وبنو العباس يتخوّفون من حركتهم التي يمكن لها أن تؤدّي إلى تفرّق الجماهير عنهم والإلتحاق بأهل البيت عليهم السلام.

فهذه الفترة تُعتبر من أكثر الأوقات نشاطاً للغلاة وأكثرها خطورةً على مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وهذه الفترة إضافة إلى النشاط السياسي داخل المجتمع الإسلامي كان للنشاط العلمي وكثرة الفقهاء حضوراً في كل الأمصار وفرصة لطرح الآراء المختلفة بين الفقهاء ونشوء المدارس الفقهية التي أصبحت فيما بعد هي المدارس الثابتة في العالم الإسلامي.

وقد حاول العباسيون التخلّص من هذه الظاهرة بطرق متعددة بإحضار الفقهاء داخل البلاط وقد عرض ذلك على أبي حنيفة وجلد وقيل أنّه مات من أثر ذلك، فرفض أن يكون جزءاً من أدوات السلطان، والبعض قَبِل ذلك، والبعض الآخر تعرّض إلى التصفية الجسدية والإغتيال بالسمّ كما هو الحال مع الإمام الصادق عليه السلام ، لأنّهم يعرفون مسبقاً موقفه وموقعه وقد حاولوا اغتيال شخصيته وآراءه بإظهار بعض الأشخاص المغالين بعد الإندساس بين الصحابة.

رابعاً ـ التصفيات السياسية

الحكومات إذا أرادت أن تفعل شيئاً فإنّها تبحث عن المبررات لفعلها أوّلاً، ثمّ تقوم بتنفيذ ما تريده تحت تلك الذريعة وكانت هذه الطريقة أحد وسائل الخلفاء العباسيين في القضاء على الشيعة ومحاربتهم، وقد اتخذوا من

تهمة الزندقة والغلو وسيلة للقضاء على خصومهم السياسيين ومن لم يسير في ركبهم.

فكانت السلطة بحاجة الى إثارة أفكار الغلاة في وقتٍ، لتبرير عمليات التصفية السياسية وكانت السلطة آنذاك تعمد إلى تصفية خصومها باتّهامهم بالزندقة، أو غيرها «وقد قامت الدولة في أيّام المهدي العباسي بمطاردة من يتّهم بالزندقة والقضاء عليه، فقتل بتلك التهمة خلق كثير، ولم يكن كل هؤلاء الذين يتهمون بالزندقة زنادقة حقّاً، وإنّما كان منهم من يتهم بالزندقة لأسباب سياسية فقد اتخذ الخلفاء من هذا الإتهام وسيلة للقضاء على خصومهم ممَّن لم يساير ركبهم، أو يتحسّسون في عدم الميل إليهم، كما كانوا يتهمون بذلك بعض الهاشميين الذين يريدون القضاء عليهم.

فقد اتّهم أحد أولاد داود بن عليّ العباسي ثمّ يعقوب بن الفضل، وأُتي بهما إلى الخليفة المهدي.

وعلى هذا النحو، فقد فتح باب التشفّي والإنتقام بتهمة الزندقة، ليكون ذلك مبرراً لقتلهم، ولم يقتصر الأمر على الخُلفاء في اتهام الخصوم بالزندقة، بل كان هناك من الوزراء من يتّخذون ـ الإتهام الباطل ـ بالزندقة سبيلاً للكيد والوقيعة بنظرائهم، أو خصومهم الذين يحقدون عليهم»[1].

وأكّد ذلك السيوطي بقوله: «وفيها وفيما بعد ـ أي سنة (١٦٦ هـ) ـ جدَّ المهدي في تتبع الزنادقة وإبادتهم، والبحث عنهم في الآفاق والقتل على التهمة.

---

(١) الطبري: ج ٢، ص ٤٩٠، والجهشياري: ص ٨٩ ـ ٩٠.

خامساً ـ استثمار الغيبة لاجتثاث المذهب

عملية استئصال لمذهب أهل البيت ﴿ع﴾، استراتيجية جميع الحكومات التي ادّعت خلافة رسول الله ﴿ص﴾، وإمرة المؤمنين، وكل منهم عمل ما يمكن له فعله، وما تسمح به ظروفه، فمنهم من أقصاهم من مواقعهم الشرعية والطبيعية، وآخر فرض عليهم شبه الإقامة الجبرية غير المعلنة، وآخر قتلهم بالسمّ، وآخر بالسيف وهكذا، حتّى جاءت فترة الغيبة الصغرى للإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عج)، فتصوّروا أنّها الفرصة التي تعيش فيها الشيعة حالة جديدة لم تألفها من قبل، ويمكن استثمارها لخلق أزمة معقّدة تؤدّي إلى ضياع الشيعة، واستئصالهم، وبهذا يتحقّق هدف الأجيال الغاصبة للخلافة الشرعية فحاولوا تعيين إمام بعد الإمام الحسن العسكري ﴿ع﴾ وفعلاً تقدّم لذلك جعفر الكذاب ليكون أداة العباسيين لتنفيذ مخططهم في القضاء على الإمامة، فكانت الخلافة العباسية تنطلق في تلك الظروف للتضييق والتصفية لأهل البيت وشيعتهم، وكان الغلاة يتحرّكون على الجبهة الثانية لإثارة أفكارهم وسط هذه الأجواء والظروف الحساسة والمصيرية في حياة المذهب.

وقد واجه نوّاب الإمام (عج) والفقهاء المعاصرين لهم تلك الحركة بشكل حازم وعلمي[١].

فحركة الغلو، معاكسة لمسيرة الأئمة، ومعاديّة لخط أهل البيت ﴿ع﴾ والإسلام، وهي تستهدف المبادئ الأساسية للإسلام، والخصائص الرئيسية

---

(١) لقد جاء حديث طويل في التوقيع الشريف للإمام الحجّة (عج) في بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٦٦.

لمذهب أهل البيت عليهم السلام وهم يسيرون بهذا الإتجاه، وعلى خط واحد طيلة مسيرتهم الانحرافية، وضررهم على الإسلام والمذهب، لم يكن أقل من التجاوزات والمضايقات والتصفيات التي تعرّض لها علماء الإسلام والمخلصين من أبناء الأُمّة.

اختفاء الغلو المنظم

كان الغلاة يعملون بين صفوف الأُمّة لبث آراء الكفر والضلالة والانحراف، بدافع البغض والعداء للإسلام، وأهل البيت عليهم السلام ودعوتهم الإصلاحية، لإدراكهم الأثر الذي توجده في نفوس ووعي وعواطف المسلمين، لذلك كانت لهم مقابل الحركة الإصلاحية مخططاً ومنهج معيّن لمحاربة حركة الإمامة، وكانت حركتهم تتلقّى الدعم والتأييد والحماية من الذين يشتركون معهم بالأهداف والمشاعر.

لكن هذه الحركة اختفت عن العمل التبليغي والثقافي بشكلها المنظّم بعد عصر الغيبة الصغرى وخصوصاً في المذهب الإمامي، ولم تبق إلاّ البحوث العلميّة في معنى وحدود وتعاريف الغلو والفرق الضالة التي قالت بالغلو، هذا على المستوى الداخلي لمذهب أهل البيت عليهم السلام والشيء المثير، هو السكوت المفاجئ من بعد تلك الضجّة يبعث على التساؤل.

لماذا انتهت الحركات المنظمة للغلاة، مع عصر الغيبة الصغرى؟ ولماذا لم تستمر حركة الغلو المنظمة، إلى العصور المتأخرة؟

لعل هلع الحكومات وخوفها من الحركة الأصيلة للإسلام المتمثّل بأئمة أهل البيت عليهم السلام قد اختفى وشعر الحكام بنوع من الراحة، فاختفت مع خوفهم الحركات والمنظمات المغالية.

حركة الغلو بعد عصر الغيبة

فإنّ الغلاة لا يمتلكون إلّا الإسطوانة القديمة ليكرروها ويثروا ما بها من أكاذيب وافتراءات «فهم ينشرون تلك الإفتراءات البالية ويلبسونها ثوباً جديداً، تضليلاً للناس وحبّاً في إثارة الشغب، فكلّما أراد المصلحون حلّ مشكلة الفرقة والدعوة إلى التقارب، ذهب الكثيرون ـ ممَّن لا يروق لهم الصفاء والتقارب ـ إلى زيادة التعقيد، واتساع شقّة الخلاف، في نشر دفائن السلف، وعرض الأفكار البالية، وهو أُسلوب يتّخذونه لشلّ كل محاولة ساعية نحو الإصلاح، بحيث يجعلون من المستحيل على القوى المتخاصمة أن تتفق أو تتعاون.

إنّهم يريدون أن نبقى متخاصمين إلى أن يحطّم أحدنا الآخر، وهذا هو ما يصبوا إليه أعداء الإسلام ويسعون بكلّ جهدهم لتحقيقه»[١].

نشاط الغلو عند السنّة

كما أنّ المندسّين في مذهب أهل البيت عليهم السلام لهم توقيت لإثارة مسألة الغلو في مواجهة حركة أهل البيت عليهم السلام.

كذلك في المدرسة السنّية توجد فترات زمنية يزداد فيها نشاط وفعّاليات المغالين فيها ويمكن رصدها من خلال الأحداث والمواقف بالنقاط التالية:

---

(١) الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة: ج ٢، ص ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

أوّلاً ـ في طاعة السلاطين

السلطان يحمل قدسية ومقام لا يدانيه أحد في المجتمع، وهذا المقام لا نقصد به السلطة والقهر، وإنّما الدرجة الدينية الرفيعة، ولا بأس بالأمر لو كانت المسألة خاصّة بالمؤمنين والعدول من السلاطين ولكن جريانها إلى الفاسق والقاتل وتسخير الدين لخدمة السلطة، وإعطاء السلطان قداسة لا يستحقها، بل يستحق إقامة الحد عليها وعزله أو عدم تصديقه، أمّا إعطائه مقاماً دينياً وجعله إماماً واجب الطاعة وطاعته تمثّل طاعة لله تعالى فإنّها من المغالاة وتجاوز الحد ورفع السلطان فوق مستواه، وهذه الطريقة من التعامل سلكها الإخوة مع خلفاء بني أُميّة وبني العباس مع معرفتهم لحياتهم الخاصّة القائمة على الجور والظلم والفسق والفجور ومع كل هذا كانوا أئمة وخلفاء لرسول الله ﷺ في نظر السنّة وجعلوا لهم كرامات ومعاجز وأخضعوا الفتاوى الدينية لخدمتهم ولصيانة سلطانهم، فجاءت الفتاوى تقول وقتلوا لأجل السلطان خيرة الصحابة أمثال عمار بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر والإمام عليّ عليه السلام الذي بُني الإسلام بسيفه وجهاده، وقالوا:

١ ـ إذا جار وفسق ـ الإمام ـ لا ينعزل[١].

٢ ـ القول بانعزال الأئمة بالفسق، إيقاع الفساد في العالم.

٣ ـ إذا فسق الإمام يجب الدعاء له بالتوبة ولا يجوز الخروج عليه، لأنّ الخروج إثارة للفتن وللفساد في العالم.

٤ ـ فسقه وظلمه يغصب الأموال، وضرب الأبشار، وتناول النفوس

---

(١) أُصول الدين، للإمام البزودي: ص ١٩٠ ـ ١٩٢.

المحرّمة، وتضييع الحقوق وتعطيل الحدود... لا ينخلع بهذه الأُمور، ولا يجب الخروج عليه(١)...

فهذا المستوى رفع السلطان إلى: ﴿لا يُسئل عمّا يَفعَلُ وهُم يُسئَلونَ﴾(٢).

ثانياً ـ عند التوجّه إلى الجانب المعنوي

وهذا الأمر واضحاً عند الصوفية ومشايخ الطرق... وما يذكروه من كرامات لأصحابهم، حيث يرفعون مقام مشايخهم فوق مستوى الأنبياء وينسبون فعل الغرائب والعجائب الخارجة عن قدرة الإنسان.

فمثلاً: «أبو حسين الصوفي المتوفى سنة (٨٩١ هـ) كان كثير التطوّر يدخل عليه إنسان فيجده سبعاً، ثمّ يدخل عليه آخر فيجده جندياً، ثمّ يدخل عليه آخر فيجده فلّاحاً أو فيلاً وهكذا، وقال آخرون كان التطوّر دأبه ليلاً ونهاراً حتّى في صور السباع والبهائم.

دخل عليه أعداؤه ليقتلوه فقتلوه، فقطعوه بالسيوف ليلاً ورموه على كوم بعيد فأصبحوا فوجدوه قائماً يصلّي بزاويته، ومكث بخلوة في غيط خارج باب البحر أربعين سنة لا يأكل ولا يشرب»(٣).

وأمثال هذه الكرامات كثير جدّاً، ولم تقتصر على الصوفية وإنّما هناك كرامات للصحابة ولأئمة المذاهب والقضاة، وعامة الناس صنّفت فيها كتب خاصّة وبعضها فصول ضمن مؤلف، ومن أراد الزيادة يمكن مراجعة لواقح الأنوار من طبقات الأخيار للشعراني وجامع الكرامات ونزهة المجالس للصفوري وشذرات الذهب ومرآة الجنان لليافعي...

---

(١) التمهيد، أبو بكر محمّد بن الطيّب الباقلاني: ص ١٨٦.

(٢) الأنبياء: ٢٣.

(٣) شذرات الذهب: ج ٧، ص ٢٥٠. عن الغدير: ج ١١، ص ١٨٨.

ثالثاً ـ عند ظهور كرامات أو فضائل أهل البيت عليهم السلام

عند ظهور فضائل وكرامات أهل البيت عليهم السلام يظهر معها المقام الرفيع لهم عند الله تعالى، والمستوى العالي من الكمال والملكات الأخلاقية والنفسية وقد شهدت الأُمّة ذلك منهم «سلام الله عليهم أجمعين» وأدّت مشاهداتهم إلى الشهادة لهم والتأثّر على المستوى العقلي والعاطفي والسلوكي، وهذا ما لا يريده البعض، لأنّه تعريض بالقائمين على السلطة الغاصبين للخلافة الشرعية، ولذلك كانت المواجهة لمقام أهل البيت عليهم السلام باختلاق كرامات وفضائل تتشابه مع فضائلهم حتّى يحققوا الحدّ الأدنى من المواجهة باشتراك غيرهم معهم في هذا المستوى.

ولكنّها جاءت بشكل لا يقبله العقل والشرع واضح الكذب والبطلان لأنّها من نسيج خيال الوضّاعين.

وأوّل من بدأ هذه العملية معاوية بن أبي سفيان، ورتّبها على شكل مراحل:

المرحلة الأُولى: المنع من التحدّث بفضائل أهل البيت عليهم السلام، ثمّ الأمر بلعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على المنابر،وتعتبر هذه المرحلة تمهيدية لما يأتي بعدها.

والغاية منها محاصرة الفضائل في حافظة الذين سمعوها وحفظوها وعدم السماح لهم بتوسيع دائرتها، وهؤلاء لهم فترة معينة ووسائل مشخّصة يمكن للدولة تصفيتهم بعدها، ثمّ تربية المجتمع على عداء أهل البيت عليهم السلام ليكونوا نواصب، وقد التزم معاوية سياسة العداء والنصب لأهل البيت عليهم السلام بشكل

رسمي وألزم المجتمع بالإنطلاق بهذا الإتجاه.

المرحلة الثانية: ملأ الأذهان بالفضائل المختلفة لعثمان بن عفان إلى الحدّ الذي قال فيه معاوية: «إنّ الحديث في عثمان قدكثر وفشا في كلّ مصر وفي كلّ وجه وناحية» ولذلك أمر بإكثار الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء، وهذه الفضائل حدّدها وعيّن نوعيتها بشكل تؤدّي إلى المكاسب السياسية وتساهم في تثبيت وتقوية سلطانه.

ولهذا قال: «ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلّا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإنّ هذا أحبّ إليَّ وأقرُّ لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضائله»(١).

فكانت كرامات وفضائل الصحابة من نسيج عصر الفتنة التي خلقها معاوية وحزبه، ومن ثمار الصراع السياسي الذي تزعّمه ابن أبي سفيان.

وقد وصف نفطويه الروايات في تلك الفترة الزمنية بقوله: «إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة اختلقت في أيّام بني أُميّة تقرّباً إليهم بما يظنون أنّهم يرغمون به أُنوف بني هاشم»(٢).

فالمدرسة الأُمويّة فتحت جميع أبواب الوضع للأحاديث والتي تحمل الغلو بالصحابة لأمرها بالوضع ولتزلف الضعفاء إليها بما يعلم من ميلها ورغبتها وهواها.

فإكثار الفضائل والكرامات للصحابة كانت تهدف الحكومة الأمويّة منها الوقوف أمام المدّ العلوي والفضائل العلويّة لأنّها المنافس الذي يحل

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ١١، ص ٤٥.

(٢) المصدر السابق: ج ١١، ص ٤٦.

الشرعية والدليل والمؤهّلات، والقرآن الكريم يقرأُه المسلمون وهو يشهد ويعلن فضائل عليّ عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام.

اتفاق بالأهداف

رأينا ممّا تقدّم أنّ بعض مواقف الغلو تتفق مع اختلاف إنتسابها وادّعائها، ومورد الإتفاق الذي رأيناه هو محاصرة مذهب أهل البيت عليهم السلام ومحاولة خلط الفضائل ليتساوى الجميع وتضيع الحقيقة.

ثمّ إنّ هناك موقف آخر لبعض أهل السنّة ؛ فمنهم البغدادي وأحمد أمين وابن تيمية والمدرسة الوهابيّة وتبعاً لهم وكتبهم تشهد بذلك، إذ تركوا المغالين والردّ عليهم ووجّهوا كل حرابهم نحو مذهب أهل البيت عليهم السلام وبدأوا يستثمرون هذه الفرصة لنسبة الشيعة إلى الغلو تارة وإلى اليهود والمجوس أُخرى.

والحركة بهذا الشكل وبهذا الإتجاه تتفق مع هدف الغلو الذي قصد الإمامة والأحكام الإسلامية.

ولهذا لا يمكن النظر إليها ببساطة وسطحيّة واعتبارها حركة عفويّة اتّفقت على هدف واحد في عصور مختلفة.

وإنّما يمكن القول بأنّها حركة مدسوسة وظيفتها تشويه المعالم الرئيسية لمذهب أهل البيت عليهم السلام وإبدال الطبيعة الجذّابة التي وجدت في الأفكار والعقائد الشيعية، بطبيعة منفّرة مخالفة إلى بديهيات العقل ومسلمات الإسلام.

* * *

الفصل الثّامن

المنهج القرآني في مواجهة الغلو

القرآن الكريم يقطع طريق الغلو

من المسائل التي واجهة دعوة الأنبياء عليهم السلام على طول التـاريخ الرسـالي، هذا السؤال: كيف يمكن الإرتباط بعالم الغيب؟ وكيف يمكن لإنسان ولد من أبوين وينتسب لقومهم ويخرج من بينهم، يرتبط بعالم الغيب، ويأتي برسالة يأمرهم فيها بطاعة وعبادة الله الواحد الأحد وينهاهم ممّا هم عليه من العقائد الضالة؟

ونتيجة لإفراطهم بالجانب الحسّي طلب بعضهم مـن الأنـبياء أن يـجعلوا لهم إله محسوس كما طلب قوم موسى عليه السلام: ﴿... **قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لَهُم آلِهَةٌ قالَ إنَّكُم قَومٌ تَجهَلونَ** ﴾[١].

هذا الإستبعاد والأسئلة التي في حدوده تعرّض لهـا جـميع الأنـبياء عليهم السلام وعالج الأنبياء هذه المسألة بالأدلّة والبراهين والمعجزات التي ظـهرت عـلى أيديهم تأييداً وتصديقاً لهـم مـن المـولىٰ جـلّ وعـلا، عـلى ادّعـائهم النـبوّة والرسالة، لكن ظهرت مسألة ثانية عند الذين آمنوا بالأنبياء وهي الغلو ورفع الأنبياء إلى أعلى ممّا هم عليه، وإلى مـا لا يـقولوه فـي أنـفسهم، فـقالوا عـن

---

(١) الأعراف : ١٣٨.

بعضهم بأنّه ابن الله: ﴿وقالوا اتّخذَ الرحمنُ وَلَداً ﴾[١]، وآخر يسأله الرسول عن سبب الإقدام على الأفعال التي تتنافى مع الدين والتوحيد وعن سبب انحرافه العقائدي بقوله: ﴿قال فما خَطبُكَ يا سامريُّ * قال بَصُرت بِما لَم يبصروا به فقبضتُ قَبضةً مِنْ أثَرِ الرسولِ فَنبذتُها وكَذلِكَ سَوَّلَتْ لي نفسي ﴾[٢].

واليهود قالوا بنبوّة عزير عليه السلام لله تعالى: ﴿قالَتِ اليَهودعزيرٌ ابنُ الله ﴾[٣]، فلمّا جاءت رسالة الإسلام، وهي خاتمة الرسالات، عمدت إلى سدّ جميع الأبواب والنوافذ التي يمكن أن يخطأ في فهمها، والتي يمكن أن يساء استخدامها من أعداء الدين وناقصي الفهم.

ولذلك كانت طريقة الخطاب الإلهي للأنبياء تؤكّد عبوديتهم وحاجتهم وفقرهم إلى الله، واعتبارهم عباد له لا يملكون لأنفسهم نفعاً ويحذّرهم وينذرهم ويتوعّدهم إن لم يكونوا طائعين ودقيقي التنفيذ لأوامره.

ففي الخطاب القرآني لم يجد القارئ للقرآن الكريم ما يرفع من مقام الأنبياء عليهم السلام فوق العبوديّة، وهي موضع افتخار لهم، وهم أعبد الناس لله تعالى.

فهذا عيسى عليه السلام في أوّل نطقه له: ﴿قالَ إنّي عَبدُ اللهِ آتاني الكِتاب وجَعَلَني نَبيّاً* ... والسلامُ عليَّ يَومَ وُلِدتُ ويَومَ أمُوت ويَومَ أُبْعَثُ حَيّاً ﴾[٤].

حدّد عليه السلام هويته الإنسانية التي لا يختلف فيها مع غيره من الناس إلاّ بالنبوّة ولوازمها، وإلاّ فعيسى عليه السلام:

---

(١) مريم : ٨٨.

(٢) طه : ٩٥ ـ ٩٦.

(٣) التوبة : ٣٠.

(٤) مريم: ٣٠ و٣٣.

١ ـ عبدالله.

٢ ـ ولد من امرأة وهو ينسب لها «عيسى بن مريم».

٣ ـ ذكر أنّه حادث.

٤ ـ إنّه لا يكون استثناء من البشر في قانون الموت فهو يموت كغيره من حضور أجله.

٥ ـ ويبعث مع الناس يوم القيامة.

٦ ـ إنّه لا يمتلك أي صفة ربوبيّة.

وأمّا قولهم: ﴿وقالوا اتّخذَ الرحمنُ وَلَداً﴾ فقد استنكرها القرآن بشدّة وعبّر عن هذه النسبة بأنّها لا تتحملها السماوات والأرض، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئتُم شَيئاً إدّاً * تَكادُ السماواتُ يَتفطّرنَ مِنْهُ وتنشقّ الأرضُ وتَخِرُّ الجبال هَدّاً* أنْ دَعَوا للرحمنِ وَلداً * وما يَنبغي للرحمنِ أنْ يتّخِذَ وَلَداً * إنْ كلّ مَن في السماواتِ والإرضِ إلاّ آتي الرحمنِ عبداً﴾(١).

إضافة إلى ذلك حذّر من الغلو فقال: ﴿يا أهلِ الكِتابِ لا تَغلوا في دينِكُم ولا تقولوا على اللهِ إلاّ الحقّ﴾(٢).

وقد أمر الله نبيّه على التأكيد على عنصر البشرية ولوازمها فقال: ﴿قُلْ إنَّما أنا بَشَرٌ مِثلُكُم يوحى إليَّ أنّما إلهُكُم إلَهٌ واحدٌ فَمَنْ كانَ يَرجوا لِقاءَ ربِّهِ فَليَعْمَل عَمَلاً صالِحاً ولا يُشرِكْ بِعبادَةِ رَبِّهِ أحداً﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سُبحانَ ربّي هَلْ كنت إلاّ بَشَراً رَسولاً﴾(٤).

وأكّد الله بشريّة الأنبياء جميعاً إذ خاطب خاتمهم محمّد ﷺ بقوله: ﴿وما

---

(١) مريم: ٨٧ ـ ٩٣.

(٢) النساء: ١٧١.

(٣) الكهف: ١١٠.

(٤) الإسراء: ٩٣.

أرْسلنا قبلَكَ إلاّ رِجالاً نوحي إليهم ﴾[١].

وهؤلاء الرجال لم يكن لهم الترّف خارج إرادة الله ومشيئته، وهم في كلّ الأحوال منقادين للإرادة والمشيئة الإلهيّة ومحكومين بها وإليها ولذلك قال تعالى: ﴿ولا تَقولَنَّ لِشيءٍ إني فاعلٌ ذلِكَ غَداً * إلاّ أنْ يَشاء الله ﴾[٢].

أمّا الخلود الذي نسبه البعض إلى الأنبياء فقد نفاه الله تعالى ولم يستثنِ أيّاً منهم وأيّاً من مخلوقاته، وأنّ الله قهر عباده بالموت، ولم يستثنِ الأنبياء من ذلك: ﴿وما جَعلنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبلِكَ الخُلد أفإنْ مِتَّ فَهُمُ الخالِدونَ * كُلُّ نَفسٍ ذائقَةُ المَوتِ ونَبلوكُم بالشّرِ والخيرِ فِتنة وإلينا تُرجَعونَ ﴾[٣].

وقوله تعالى: ﴿وما مُحمَّدٌ إلاّ رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبلِهِ الرُسُل أفإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انقَلَبتُم على أعقابِكُم... ﴾[٤].

وقد حذّر تعالى وتوعّد من يدّعي أنّه إله بقوله: ﴿ومَنْ يَقل مِنهم إنّي إله مِنْ دُونِهِ فذلِكَ نَجزيه جهنَّمَ وكَذلِكَ نَجزي الظالِمينَ ﴾[٥].

ونختم هذا الاستعراض للآيات القرآنية بقوله تعالى، الذي يحدّد فيه هوية الأنبياء ومقامهم وقربهم منه تعالى، باعتبارهم عباده المصطفين المخلصين ورسله إلى خلقه: ﴿بَلْ عبادٌ مُكرَمون * لا يَسبِقونَهُ بالقولِ وهُم بأمره يعمَلون * يَعلَمُ ما بَينَ أيديهم وما خَلْفَهُم ولا يَشْفَعونَ إلاّ لِمَنِ ارتَضى وهُم مِنْ خَشيَتِهِ مُشفِقونَ ﴾[٦].

---

(١) الأنبياء : ٧.

(٢) الكهف : ٢٣ ـ ٢٤.

(٣) الأنبياء : ٣٤ ـ ٣٥.

(٤) آل عمران : ١٤٤.

(٥) الأنبياء : ٢٩.

(٦) الأنبياء : ٢٦ ـ ٢٨.

الغلو في القرآن

لو تتبعنا آيات القرآ الكريم لرأينا الغلو قد ذكر في معاني متعدّدة وجاء في موارد متفاوتة، من حيث التعبير لا من حيث المحتوى والمضمون لأنّ بعض المفردات تختزن في محتواها معنى الغلو ومقولة الغلو وإن لم تذكر المفردة بالنصّ.

فقد جاء لفظة الغلو في موضعين:

الأوّل: ﴿**يا أهلَ الكِتابِ لا تَغلوا في دينكُم ولا تَقولوا على الله إلاّ الحقّ**﴾[١].

الثاني: ﴿**قُلْ يا أهلَ الكِتابِ لا تغلوا في دينكُم غير الحقِّ**﴾[٢].

نلاحظ نوع الخطاب في الأوّل:كان الخطاب الإلهي مباشر لأهل الكتاب ينهاهم عن الغلو.

والثاني: يأمر الرسول ﷺ أن يبلغ البيان الإلهي والتحذير من الغلو، وذكر الغلو من غير الإستفادة من لفظة «الغلو» في مواضع كثيرة وبصور متعدّدة حاكية عن أقوال وأفعال صدرت من البعض وهي صورة عملية وواقع خارجي لعقيدة الغلو، وذكرها القرآن وهو مستنكر ومستقبح لها، ونهى المجتمع عن اتّباع هذه السبل لأنّها من تسويلات الشيطان والنفس الأمّارة والقصور العقلي.

وكان السامري مثلاً لذلك، قال تعالى: ﴿**قال فما خطبُكَ يا سامريّ * قالَ بَصُرت بِما لَم يَبصروا بِهِ فَقَبضتُ قَبضةً مِنْ أثَرِ الرسول فنبذتُها وكذلِكَ سوَّلَتْ لي نَفسي**﴾[٣].

---

(١) النساء : ١٧١.

(٢) المائدة : ٧٧.

(٣) طه : ٩٥ ـ ٩٦.

وجوه الغلو في القرآن

تعدّدت الوجوه والألفاظ التي تعرّضت للغلو وبيانه، وهذا التعدّد نتيجة للحيثية التي ينظر من خلالها للأمور، ويمكن ذكر الوجوه التي ذكرها القرآن بالنقاط التالية:

أوّلاً: الغلو باسمه الصريح وبلفظته وقد تقدّمت آيتان في هذه المسألة.

ثانياً: سؤال واستنكار! لفعل وتفسير خاطئ لمقام النبوّة والنبي، وقد تقدّم ذكر السامري في سورة طه آية (٩٦).

ثالثاً: قول اليهود في عزير: ﴿**عُزَيرٌ ابنُ اللهِ**﴾[١].

رابعاً: قول النصارى: ﴿**اتّخَذَ الرحمنُ وَلَداً**﴾[٢].

خامساً: سؤال من المولى إلى رسوله: ﴿**وإذْ قالَ اللهُ يا عيسى ابن مَريمَ ءأنْتَ قُلت للنّاسِ اتّخذوني وأُمّي إلهَينِ مِنْ دونِ اللهِ قالَ سُبحانَكَ ما يَكون لي أنْ أقول ما لَيسَ لي بِحقّ إنْ كُنت قُلْتُهُ فقدْ عَلِمْتَه تَعلَمُ ما في نفسي ولا أعلَمُ ما في نَفسِكَ إنّكَ علاّمُ الغُيوبِ**﴾[٣].

سادساً: نقل أقوال الجبابرة الذين ادّعوا الألوهيّة وموقف الأنبياء منهم، كما جاء في حوار إبراهيم ﷺ والنمرود: ﴿**إذْ قالَ إبراهيم ربّي الذي يُحيي ويُميتُ قالَ أنا أُحيي وأُميتُ**﴾[٤].

وادّعاء فرعون الربوبيّة بقوله: ﴿**يا أيُّها الملأُ ما عَلِمتُ لَكُم مِنْ إلهٌ غَيري**﴾[٥]،

---

(١) التوبة : ٣٠.

(٢) مريم : ٨٨.

(٣) المائدة : ١١٦.

(٤) البقرة : ٢٥٨.

(٥) القصص : ٣٨.

وقوله لموسى ﷺ: ﴿قال لئنْ اتّخذتَ إلهاً غيري لأجعلَنّكَ مِنَ المَسجونينَ ﴾(١).

سابعاً: ذكر الأوثان وما يتّخذه الناس من آلهة كاذبة وبيان ضعفها، وهذه الظاهرة رافقت الإنسان طويلاً وكانت ولا زالت قرينة الجهل والخرافة، وكانت مدعوة برعاية أصحاب الأطماع والأهواء من الكهنة والسياسيين، ولذلك كان لها وجود في أغلب الحضارة القديمة التي اكتشفتها الحفريات الحديثة والأساطير القديمة البابلية والفارسية والرومانية والهندية والصينية كلّها تؤكّد تعدد الآلهة وكثرتها.

وقد ذكر الله تعالى تلك الآلهة بقوله: ﴿واتّخَذوا مِنْ دونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكونوا لَهم عِزّاً* كلاّ سيَكفرونَ بِعبادتهم ويَكونون عليهِم ضِدّاً ﴾(٢).

ثامناً: بيان الموقع الحقيقي للنبيّ ﷺ وسلب القدرات الذاتية ونسبتها إلى الله تعالى وأمر الأنبياء بإبلاغ ذلك إلى الناس: ﴿قُلْ لا أقولُ لَكُم عِندي خزائن الله ولا أعلَمُ الغَيبَ ولا أقول لكم إنّي مَلَكٌ إنْ أتّبِعُ إلاّ ما يُوحىٰ إليَّ قُلْ هَلْ يَستَوى الأعمى والبَصير أفَلا تتفكّرونَ ﴾(٣).

تاسعاً: إنَّ الأصل في العبادة لله تعالى فقط، ولا يأمر بعبادة غيره ولم يكن لنبيّ أو غير نبي أنّ يأمر الناس بعبادته من دون الله: ﴿ماكانَ لِبَشَرٍ أنْ يؤتيهِ الله الكِتابَ والحُكمَ والنُبوّةَ ثُمَّ يَقول للنّاس كونوا عباداً لي مِنْ دونِ الله ولكِنْ كونوا رَبّانيينَ بِما كُنتُم تُعلِّمونَ الكِتابَ وبِما كُنتُم تَدرُسونَ * ولا يأمُركُم أنْ تتخِذوا الملائكةَ والنبيينَ أرباباً أيأمركُم بالكُفرِ بَعدَ إذْ أنتم مُسلِمونَ ﴾(٤).

---

(١) الشعراء : ٢٩.

(٢) مريم : ٨١ ـ ٨٢.

(٣) الأنعام : ٥٠.

(٤) آل عمران : ٧٩ ـ ٨٠.

عاشراً: الذين جعلوا بين الله وبين الجن نسباً: ﴿وجَعَلوا بينَه وبَينَ الجِنَّةِ نَسَباً ولَقَدْ عَلِمَت الجِنّة إنَّهم لَمُحضَرونَ * سُبحانَ اللهِ عمّا يَصِفونَ ﴾[1].

إحدى عشر: منع ادّعاء الأُلوهيّة لأيّ عبد وأي مخلوق كما في قوله تعالى: ﴿ومَنْ يَقُل منهُم إنّي إلهٌ مِنْ دونِهِ فذلِكَ نَجزيهِ جهنَّمَ كذلِكَ نَجزي الظالِمينَ ﴾[2].

من خلال الإستعراض المختصر لموارد الغلو عقيدةً وسلوكاً تبيّن لنا أنّ القرآن الكريم أعطى لهذه المسألة أهمية فائقة تتناسب ومقدار خطورتها وقدرتها على التخريب العقائدي والإجتماعي.

لذلك سلّط القرآن الكريم الأضواء الكاشفة على كل الزوايا التي يمكن أن يختبئ فيها الغلو وتختفي فيها الأفكار الضالة، فلم يترك مسألة ووسيلة يمكن أن تؤثّر في القضاء على الغلو إلّا استخدمها، وبذل وسخّر كل الطرق لنشر الوعي التوحيدي وتجذيره في العقول والنفوس.

والوجوه التي ذكرها القرآن الكريم جميعها أقوال وصور من الغلو المنتج للشرك والكفر والذي يخرج الإنسان المسلم من الإيمان إلى الكفر ومن التوحيد إلى الشرك.

وإذا لاحظنا الصور الإحدى عشرة المتقدمة الذكر وقمنا بفهرستها وتوزيعها إلى أقسام نرى أنّها جميعاً تتركّز على نقطة واحدة وتؤكّد أمراً واحداً وهو التوحيد في معانيه المختلفة، فإذا ذكر أهل الكتاب فهي تركّز على اعتقادهم الذي يتعارض مع التوحيد، وكذلك الأمر مع السامري، وهكذا خطاب المولى مع الأنبياء عليهم السلام كان يركّز على عبوديتهم وربوبيته وحاجتهم

---

(١) الصافات: ١٥٨ ـ ١٥٩.

(٢) الأنبياء: ٢٩.

وغناه عنهم وجميع هذه المعاني تساهم في تجذير التوحيد في النفوس وبيان قدرة الباري عزّ وجلّ، وإلغاء الغلو الذي هو يتعارض مع التوحيد جملة وتفصيلاً، فالتوحيد المبدأ المركزي في العقيدة الإسلامية، والغلو يستهدف التوحيد لأنّه الأساس الذي يقوم عليه الإسلام.

المنهج القرآني في مواجهة الغلو

تقدّم القول بأنّ القرآن الكريم لم يترك للغلو طريقاً إلاّ قطعة، ولا شبهة إلاّ أجاب عليها، حتّى لا تلتبس الأُمور على العقول الضعيفة، ولا يؤثّر عليها أصحاب الانحرافات العقلية، والأمراض الفكرية، وأصحاب الطوامع الدنيوية، ولهذا جاءت الآيات القرآنية مؤكّدة إهتمام القرآن الكريم بعقل الإنسان واستقامته وسلامته والتزامه الحقّ، ويمكن ملاحظة هذا بالرجوع إلى القرآن وقراءة الموقف القرآني، ومن خلاله يمكن الحصول على منهج قرآني دقيق لمواجهة الغلو، ويتحقق هذا الأمر بقراءة الآيات بشكل موضوعي ومتكامل وبرؤية عقائدية قرآنية، لا تغفل عن مرض إنساني رافق العقل الإنساني تاريخاً طويلاً، يمكن أن يتأثّر ويظهر له وجود مع الإنسان المعاصر للإسلام.

والمنهج القرآني يركّز على ثلاثة محاور سنتعرض لها بالشواهد القرآنية:

الأوّل ـ تأكيد مبدأ التوحيد

التوحيد الأصل المركزي في الأديان السماوية، ولا تخلو رسالة منه، والتوحيد يختزن في محتواه النظري والإلتزام العملي به ما لا يترك مجالاً

يمكن للغلو النفوذ منه.

والتوحيد مقابل الشرك، والغلو يمثّل أسوء صور الشرك، لأنّه يتخذ من الدين مبرراً له على خلاف أنواع الشرك الأُخرى التي تتعارض مع الأديان والتي تلتقي معها، وتقوم على آراء خاصّة بها، فالأوّل يرتدي لباس الدين ويحاول تفريغ الدين من محتواه والثاني انحراف فكري واضح المعالم.

فمعرفة التوحيد الخالص وفق الرؤية القرآنية ومنهجها الإستدلالي والبياني كافٍ لعلاج مسائل الانحراف العقائدي والسلوكي المتمثّل بالغلو.

لأنّ التوحيد أصل تتحرّك جميع الأُصول والفروع على مقياسه وميزانه، وتتطابق وتنسجم مع مفهومه، وبدون ذلك: أي في حالة عدم إنطباقها مع حدوده تفقد قيمتها العقائدية ولذلك يعتبر التوحيد المحور المركزي الذي يقوم عليه بناء الدين بكل وجوده، ولهذا تتحرك الآيات القرآنية لتجذير وتعميق معناه في النفوس والتركيز على إنعكاسه على السلوك.

وقد أكّد القرآن الكريم على التوحيد الذي يتمثّل بجملة: «لا إله إلاّ الله» بأنّه أحد العناصر المشتركة للوحي بين جميع الرسالات السماوية: ﴿**وما أرسَلنا مِنْ قَبلِكَ مِنْ رَسولٍ إلاّ نُوحي إليهِ أنَّهُ لا إلهَ إلاّ أنا فاعبُدون** ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿**وإلهُكُم إلهٌ واحِدٌ لا إلِهَ إلاّ هوَ الرحمنُ الرحيم** ﴾[٢].

بعد ما بيّن الله تعالى أصل الأُصول والمرجع لها، ذكر مجموعة من الأدلّة والبراهين على التوحيد كما في قوله تعالى: ﴿**ما اتّخذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وما كانَ مَعَهُ مِنْ إله إذاً لَذَهَبَ كُلّ إلهٍ بِما خَلَق ولَعلا بَعضهم على بَعضٍ سُبحانَ اللهِ عمّا يَصِفونَ** ﴾[٣].

---

(١) الأنبياء : ٢٥.

(٢) البقرة : ١٦٣.

(٣) المؤمنون: ٩١.

تحمل الآية استدلال على التوحيد وعلى نفي تعدد الآلهة، لأنّ تعددها يؤدّي إلى استقلال كل إله بما خلق، وسعى كل إله إلى توسيع سلطانه واختلافه بأوامره ونظامه وعالمه، ولأراد كل إله أن يفرض إرادته على غيره وينتهي الأمر إلى اختلاف وعدم انسجام وتناسب الموجودت في إرتباطها وحركتها، ولو كانت الموجوادت مخلوقة لآلهة متعددة لتعدد هدف الخلقة ولاختلفت فيما بينها لحركتها باتّجاه أهداف متعددة.

وذكر تعالى استدلال وبرهان آخر على التوحيد بقوله: ﴿لوْ كانَ فيهما آلِهَةٌ إلاّ اللهُ لَفَسَدَتا فَسُبحانَ ربُّ العرشِ عمّا يَصِفونَ ﴾(١).

لو كان الحاكم للوجود آلهة متعددة لخضع الكون إلى إرادات متعددة والتعدد يقتضي الاختلاف والتمايز وهو يؤدّي إلى فساد الكون.

وذكر ضعف الذين يُعبَدون من دون الله بقوله: ﴿واتّخذوا مِنْ دونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكونوا لَهم عِزّاً * كلّا سَيَكفُرونَ بِعبادتهم ويَكونونَ عليهم ضِدّاً ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿إنَّ الذينَ تدعونَ مِنْ دونِ اللهِ لَنْ يَخلُقُوا ذُباباً ولَوِ اجْتَمَعوا لَهُ وإنْ يَسْلُبْهُمُ الذُبابَ شيئاً لا يَستنقِذوهُ مِنهُ ضَعُفَ الطالِبُ والمَطلوب ﴾(٣).

وحذّر الله تعالى من الشرك بكلّ أنواعه، ولكل عباده حتّى على مستوى الأنبياء إذ قال تعالى: ﴿ولَقَدْ أُوحيَ إليكَ وإلى الذينَ مِنْ قَبلِكَ لَئِنْ أشرَكتَ لَيَحبَطَنَّ عَمَلكَ ولتكونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ * بَلِ اللهَ فاعْبُد وكُنْ مِنَ الشاكِرينَ ﴾(٤).

وحذّر الله تعالى من المصير الذي يؤدّي إليه الشرك: ﴿ألقيا في جَهنَّمَ كُلَّ

---

(١) الأنبياء : ٢٢.

(٢) مريم : ٨١ ـ ٨٢.

(٣) الحج : ٧٣.

(٤) الزمر : ٦٥ ـ ٦٦.

كفّارٍ عَنيد * منّاعٍ للخيرِ مُعتَدٍ مُريب * الذي جَعَلَ مَعَ اللهِ إلهاً آخر فألقياهُ في العذابِ الشديد ﴾(١).

وذكر الله تعالى نماذج تاريخية من شعوب وأُمم التزمت الشرك ولم تستجب لدعوة الأنبياء عليهم السلام فكان مصيرها العذاب والهلاك، فالشرك يؤدّي إلى العذاب والهلاك الدنيوي والعذاب والخلود في النار في الآخرة.

﴿كذَّبَتْ قَبلهُم قَومُ نوحٍ وأصحابَ الرَّسِ وثَمود * وعادٌ وفرعون وإخوانُ لوط * وأصحابُ الأيكَةِ وقومُ تُبَّع كُلٌّ كَذَّبَ الرُسُل فَحقَّ وعيد ﴾(٢).

فالآيات تتّحد باتّجاه واحد وهو التوحيد وتتخذ سبل متعددة لإثباته وللدفاع عنه وذكرت الشرك بأنّه لم يقم على برهان كما في قوله تعالى: **﴿ومَنْ يَدعوا مَعَ اللهِ إلهاً آخرَ لا بُرهانَ لَهُ بِهِ... ﴾**(٣).

ويمكن الإشارة إلى الطريقة القرآنية في هذا المجال:

أ ـ الإستدلال العقلي: ﴿قُلْ لَوْ كانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كما يقولونَ إذاً لابتَغَوا إلى ذي العرشِ سَبيلاً ﴾(٤).

ب ـ الإستدلال الوجداني: ﴿ولَئنْ سألتَهُم مَنْ خَلَقَ السماواتِ والأرض لَيَقولنَّ الله ﴾(٥).

ج ـ الإستدلال الحسي: إنسجام الخلق وتمام الصنع: **﴿لَوْ كانَ فيهِما آلِهَةٌ إلاّ الله لَفَسَدَتا ﴾**(٦).

---

(١) ق: ٢٤ ـ ٢٦.

(٢) ق: ١٢ ـ ١٤.

(٣) المؤمنون: ١١٧.

(٤) الإسراء: ٤٢.

(٥) لقمان: ٢٥.

(٦) الأنبياء: ٢٢.

د ـ العبرة التاريخية: .التحذير من المصير الذي وصلت إليه الأُمم الغابرة نتيجة كفرها، قال تعالى: ﴿**ألَمْ يأتِكُم نَبؤا الذينَ مِنْ قَبلكُم قوم نوح وعاد وثمود والذينَ مِنْ بَعدهم لا يَعلمهم إلاّ الله جاءتهُم رُسُلُهم بالبيّناتِ فردّوا أيديهم في أفواهِهِم وقالوا إنّا كفَرنا بما أُرسِلتُم بِهِ وإنّا لَفي شَكٍّ ممّا تدعونَنا إليه مُريب**﴾[١].

وهذه الأُمم كلّها من الأمم التي أهلكها الله نتيجة كفرها، وقد قال تعالى عنها: ﴿**ألَمْ يأتِكُم نَبؤا الذينَ كفَروا مِنْ قَبلُ فَذاقوا وبالَ أمرهُم ولَهُم عذابٌ أليمٌ**﴾[٢].

وذكرت الآيات القرآنية التوحيد بأنواعه وأقسامه المختلفة بشكل لم يبق معه غموض وإشكال وشبهة فذكرت:

١ ـ التوحيد في الذات: كما في قوله تعالى: ﴿**هو الله الواحدُ القهّار**﴾[٣] لأنّ الموجود المحدود المتناهي مقهور للحدود والقيود الحاكمة عليه، فإذا كان قاهراً من كلّ الجهات لم تتحكم فيه الحدود، فكأنّ اللامحدودية تلازم وصف القاهرية.

وفي سورة التوحيد: ﴿**قُلْ هوَ اللهُ أحد * اللهُ الصمَد**﴾[٤] فالله سبحانه أحدي الذات لا مثل ولا نظير له.

التوحيد عين البرهان والشرك عين اللابرهان

قال تعالى: ﴿**ومَنْ يَدعُ مَعَ اللهِ إلهاً آخرَ لا بُرهانَ لَهُ بِهِ فإنّما حِسابهُ عِندَ ربّه**﴾[٥].

---

(١) إبراهيم : ٩.

(٢) التغابن : ٥.

(٣) الزمر : ٤.

(٤) الإخلاص : ١ ـ ٢.

(٥) المؤمنون : ١١٧.

ذكر الشيخ جوادي الآملي في تفسير هذه الآية؛ آية قبلها من سورة الرعد وهي: ﴿وما دُعاء الكافِرينَ إلاّ في ضَلال ﴾[١] والضلالة هي الضياع.

عندما يضيع الشيء يُسمّى ضالة، وفقدانه يُسمّى ضلالة، إذن فالضلالة صفة عدميّة، وليست وجودية، ولأنّ الدعوة الحقيقية هي التي يكون المدعو فيها موجوداً حقيقياً وليس وهمياً، والأصنام أشياء وهميّة وليست حقيقية، إذن فدعوتها دعوة وهميّة فارغة، أي أنّها فقدان لأمر حقيقي، لذا قال تعالى: ﴿وما دُعاء الكافِرينَ إلاّ في ضَلال ﴾.

كما أنّ تعبير القرآن الكريم عن الشرك والإلحاد والكفر يشير إلى أنّ هذه الأُمور أُمور عدمية، سواء على القضايا العلميّة والعقائدية للكافرين أو عن القضايا العلميّة والأخلاقيّة.

﴿ومَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إلهاً آخرَ لا بُرهانَ لَهُ بِهِ ﴾ أي كما أنّ الأُلوهيّة تشهد على التوحيد وتمثّل برهان نفسها، فإنّ الشرك يشهد على عدم وجود برهان.

الإلحاد بذاته دليل على العدم، كما أنّ التوحيد دليل على الوجود: ﴿شَهِدَ الله أنَّهُ لا إلهَ إلاّ هُو... ﴾[٢].

الأُلوهيّة تشهد على توحيد الله

أي أنّ اللازم الضروري للأُلوهيّة هو أن يكون المعبود والإله واحد، واللازم الضروري للشرك هو عدم القابليّة للبرهنة.

لهذا جاءت جملة: «لا برهان له به» كصفة لازمة لـ «إلهاً آخر» أي أنّ

(١) الرعد: ١٤.

(٢) آل عمران: ١٨.

اللابرهان صفة ذاتية للإله الآخر، لأنّ الإله الآخر معدوم وممتنع ذاتاً، واللازم الضروري للأمر الممتنع هو عدم القابليّة للبرهان.

«كما أنّ اللازم مع البرهان لازم ذاتي للأُلوهيّة، ويمكن استخلاص وحدة الله من متن اُلوهيته سبحانه»[١].

«يصف الله سبحانه الشرك بأنّه غير قابل للعلم، أي أنّ الشرك لا يمكن أن يكون أمراً معلوماً، لأنّه معدوم بذاته، وماكان معدوماً بذاته لا يتعلّق به العلم، لأنّ العلم أمر وجودي ولا يمكنه أن يتعلّق بأمر عدمي»[٢].

و«من ضروريات الشرك عدم القابليّة للبرهان أو تعلّق العلم به، لا أنّ الشرك قابل للعلم، لكنّك لا تعلم به، بل إنّ مراد الآية المذكورة هو أنّ الشرك غير قابل للعلم أساساً»[٣].

«الشرك يرجع إلى العدم علماً وعملاً، فإنّه لا يقبل البرهان، ولا يقبل تعلّق العلم به، ولأنّ التوحيد يرجع إلى الوجود علماً وعملاً، فإنّه يقبل البرهان بل إنّه بنفسه البرهان على نفسه ويقبل كذلك تعلّق العلم به»[٤].

٢ ـ التوحيد في الخالقية: ليس في الكون خالق أصيل إلاّ الله تعالى وأنّ الموجوادت جميعاً مخلوقة له سبحانه وتعالى، وما يتبعها من الأفعال والآثار، حتّى الإنسان وما يصدر منه مستندة إليه سبحانه بلا مجاز وشائبة وعناية، غاية الأمر أنّ ما في الكون مخلوق له أمّا بالمباشرة أو بالتسبيب.

---

(١) معارف القرآن من خلال الحواميم السبع، جوادي آملي: ص ١٣٢ ـ ١٣٣، ترجمة ونشر دار الصفوة، ط ١، سنة (١٤١٥ هـ).

(٢) المصدر السابق: ص ١٣٤.

(٣) المصدر السابق: ص ١٣٥.

(٤) المصدر السابق: ص ١٣٥ ـ ١٣٦.

وتضافرت الآيات القرآنية على أنّ الله سبحانه هو الخالق ولا خالق سواه وهذه نماذج من الآيات الواردة في هذا المجال:

﴿قُلِ الله خالِقُ كُلّ شيءٍ وهوَ الواحِدُ القهّار ﴾(١).

﴿الله خالِق كُلّ شيءٍ وهوَ على كُلِّ شيءٍ وَكيل ﴾(٢).

﴿ذلِكُمُ اللهُ ربُّكم لا إلهَ إلاّ هوَ خالِقُ كلّ شيءٍ ﴾(٣).

﴿بَديعُ السماواتِ والأرضِ وإذا قَضى أمراً فإنَّما يَقولُ لَهُ كُنْ فَيَكون ﴾(٤).

﴿وخَلَقَ كُلّ شيءٍ فقدَّرَهُ تَقديراً ﴾(٥).

﴿والله خَلَقَ كُلّ دابّةٍ مِنْ ماءٍ فَمِنهُم مَنْ يَمشي على بَطنَهُ ومِنهُم مَنْ يَمشي على رِجلَينِ ومِنهُم مَنْ يَمشي على أربَع يَخلُقُ الله ما يَشاءُ إنَّ اللهَ على كُلِّ شَيءٍ قَدير ﴾(٦).

﴿ألا لَهُ الخَلقُ والأمرُ تَبارَكَ اللهُ ربُّ العالَمينَ ﴾(٧).

فالله تعالى خالق ومبدع الوجود وهو مفيض الحياة على الموجودات ولا خالق غيره سبحانه وتعالى، وقد أُطلق الآيات الخالقية لكلّ شيء وحصرتها بإرادته سبحانه وتعالى.

ويتحقق الوجود بإرادته فإذا قضى أمراً وأراده ـ كائناً ما كان ـ فإنّما يقول له كن فيكون.

---

(١) الرعد: ١٦.

(٢) الزمر: ٦٢.

(٣) الأنعام: ١٠٢.

(٤) البقرة: ١١٧.

(٥) الفرقان: ٢.

(٦) النور: ٤٥.

(٧) الأعراف: ٥٤.

والله تعالى أفاض الوجود، ولا يخلو شيء لحظة عن فيضه، فهو مفيض دائماً بحيث لو فرض انقطاع الفيض لحظة لانعدم العالم وما فيه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السماواتِ والأرضِ بالحقِّ إنْ يَشأ يُذهِبكُم ويأتي بِخَلْقٍ جَديدٍ ﴾(١).

إنّ الله ليس له ولد

ردّت الآيات القرآنية بشدّة على التوهّم القائل بأنّ لله ولد، وهذه الدعوة تكررت من اليهود والنصارى وقال القرآن أنّ قولهم هذا إفك، لأنّ الله تعالى غني وله ما في السماوات والأرض وهو خالق كل شيء، فكيف يتصوّر أن يكون له ولد واستنكر القرآن قولهم: ﴿قالوا اتّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبحانَهُ هُوَ الغنيُّ لهُ ما في السماواتِ وما في الأرضِ إن عندكُم مِنْ سُلطانٍ بِهذا أتَقولونَ على اللهِ ما لا تَعلَمونَ ﴾(٢)، ﴿إنَّما اللهُ إلهٌ واحِدٌ سُبحانهُ أنْ يَكون لَهُ وَلَدٌ لَهُ ما في السماواتِ وما في الأرضِ وكَفى باللهِ وَكيلاً ﴾(٣).

ولأنَّه تعالى غني وكلّ ما في الوجود مخلوق له، قال تعالى: ﴿ماكانَ للهِ أنْ يَتَّخِذَ منْ وَلَد سُبحانَهُ إذا قَضى أمراً فإنَّما يقول لَهُ كُنْ فَيَكون ﴾(٤).

وقد حذّر الله تعالى أولئك الذين قالوا إنّ لله ولد بقوله: ﴿ويُنذَر الذينَ قالوا اتّخذ الله وَلَداً * ما لَهُم بِهِ مِنْ عِلمٍ ولا لآبائِهم كبُرَت كَلِمَةٌ تَخرُجُ مِنْ أفواهِهِم إنْ يَقولونَ إلاّ كَذِباً ﴾(٥).

---

(١) إبراهيم: ١٩.

(٢) يونس: ٦٨.

(٣) النساء: ١٧١.

(٤) مريم: ٣٥.

(٥) الكهف: ٤ ـ ٥.

وبيّن مقام أُولئك العباد الذين قالوا عنهم أنّهم أبناء الله بقوله: ﴿وَقَالوا اتّخَذَ الرحمن وَلَداً سبحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكرَمونَ * لا يَسبِقونَهُ بالقولِ وهُم بأمرِهِ يَعمَلون ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿وقالوا اتّخَذَ الله وَلَداً سُبحانَهُ بَلْ لَهُ ما في السماواتِ والأرضِ كُلٌّ لَهُ قانِتونَ ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿أنْ دَعَوا للرحمنِ وَلَداً * وما ينبغي للرحمنِ أن يتّخذ وَلَداً * إن كلّ مَن في السماواتِ والأرضِ إلاّ آتي الرحمنِ عَبداً ﴾(٣).

وكان القرآن صريحاً في ذكر أُولئك الذين قالوا لله ولد كما في قوله تعالى:

﴿وقالتِ اليَهودُ عُزيرٌ ابنُ الله وقالتِ النصارى المسيحُ ابنُ الله ذلِكَ قَولهُم بأفواهِهم يضاهِئونَ قولَ الذينَ كَفَروا مِنْ قَبل قاتَلَهُمُ الله أنّى يُؤفَكونَ ﴾(٤).

وذكر اليهود والنصارى في موضع آخر بقوله: ﴿وقالتِ اليَهودُ والنصارى نَحنُ أبناء الله وأحبّاؤهُ قُلْ فَلِمَ يُعذِّبكُم بِذنوبِكُم بَلْ أنتُم بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَق ﴾(٥).

فكان هذا ردّ على اليهود والنصارى، وخصّ اليهود بقوله: ﴿قل يا أيُّها الذينَ هادوا إنْ زَعمتُم أنَّكُم أولياء لله مِنْ دونِ النّاسِ فَتَمَنّوا المَوتَ إنْ كُنتُم صادِقينَ ﴾(٦).

فسبحان الله ربّ السماوات والأرض وما بينهما وخالق كلّ شيء أن يكون له شريك أو ولد أو صاحبة وسبحان ربّ العرش عمّا يصفون.

---

(١) الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) البقرة: ١١٦.

(٣) مريم: ٩١ ـ ٩٣.

(٤) التوبة: ٣٠.

(٥) المائدة: ١٨.

(٦) الجمعة: ٦.

الثاني ـ إنسانية الأنبياء وعبوديتهم

هنا توهّم قائم على استبعاد قدرة الإنسان على الإرتباط بعالم الغيب، وهذا الأمر دعى الناس إلى الإنقسام إلى ثلاثة طوائف في رؤيتهم واعتقادهم بالأنبياء وطريقة مواجهتهم والموقف منهم:

الطائفة الأولى

مكذّبون يستبعدون قدرة الإنسان النبيّ بالإرتباط بعالم الغيب والإعتقاد أنّ هذا الأمر أكبر من القدرات الإنسانية التي يعرفون حدودها، وأنّ الأنبياء ما هم إلاّ بشر مثلهم وقدكان ذلك جواب قوم نوح عليه السلام كما في قوله تعالى: **﴿فقالَ الملأ الذينَ كَفَروا مِنْ قَومِهِ ما نَراكَ إلاّ بَشَراً مِثلُنا وما نَراكَ اتّبَعَكَ إلاّ الذينَ هُم أراذِلنا باديَ الرأيِ وما نَرى لَكُم علينا مِنْ فَضلٍ بَلْ نَظنُّكُم كاذِبينَ﴾**(١).

وذكر تعالى قول قوم شعيب عليه السلام: **﴿وما أنتَ إلاّ بَشَر مِثلُنا وإنْ نظُنُّكَ لَمِنَ الكاذِبينَ﴾**(٢).

﴿وما منع النّاس أنْ يؤمِنوا إذْ جاءهُمُ الهُدى إلاّ أنْ قالوا أبعث الله بَشَراً رَسولاً﴾(٣).

وذكر تعجّبهم القرآن الكريم بقوله: **﴿أكانَ للنّاسِ عَجَباً أنْ أوحينا إلى رَجُلٍ مِنهُم أنْ أنذِر الناس وبَشِّر الذينَ آمَنوا أنَّ لَهُم قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ ربّهم قال الكافرون إن هذا لساحِرٌ مُبينٌ﴾**(٤).

---

(١) هود : ٢٧.

(٢) الشعراء : ١٨٦.

(٣) الإسراء : ٩٤.

(٤) يونس : ٢.

وردّ القرآن الكريم إشكالهم واستغرابهم بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كانَ في الأرضِ ملائكَةٌ يَمشونَ مُطمئنينَ لنزّلنا عليهم من السماء مَلَكاً رَسولاً﴾(١)، ولرؤيتهم الناقصة والباطلة تصوّروا أنّ المسألة لم تكن سوى طريقة للوصول إلى السلطة والسيطرة والحكم، فكان جواب قوم فرعون: ﴿قالوا أجئتَنالتلفتنا عمّا وَجدنا عليه آباءنا وتَكونَ لَكُما الكِبرياءُ في الأرضِ وما نَحنُ لَكُما بِمؤمنينَ﴾(٢).

وذكر القرآن الكريم أنّ هدف بعثة الأنبياء لم يكن صراع من أجل سلطان أو دنيا وإنّما إنذار من عذاب الآخرة وبشارة لمَن أطاع الله واتّبع منهاجه: ﴿وما نُرسِلُ المُرْسَلينَ إلاّ مُبشّرينَ ومُنذرين ويُجادِلُ الذينَ كَفَروا بالباطِلِ لِيُدحِضوا بِهِ الحقَ واتّخَذوا آياتي وما أُنذِروا هُزواً﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿هو الذي يُنزِل على عَبدِهِ آياتٍ بيّناتٍ ليخرجكم مِنَ الظلُماتِ إلى النورِ وإنّ الله بِكُم لَرَؤوفٌ رَحيمٌ﴾(٤).

الطائفة الثانية

يصدّقون النبيّ وإخباراته ولكنّهم يستبعدون أن يكون النبيّ بشر مثلهم ولذلك يعتقدون أنّ النبيّ هو الله، أو فيه جزء من الألوهيّة، أو له نسبة مع الله كالنبوّة، وكانت هذه المسألة لها حضور عند أهل الكتاب، اليهود والنصارى ذكرها القرآن الكريم بالتفصيل:

١ ـ تأليه الأنبياء في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الذينَ قالوا إنّ الله هوَ المَسيح ابن

---

(١) الإسراء: ٩٥.

(٢) يونس: ٧٨.

(٣) الكهف: ٥٦.

(٤) الحديد: ٩.

مَريَم قُلْ فَمَنْ يَملِك مِنَ الله شيئاً إنْ أرادَ أنْ يُهلِكَ المسيح بن مريم وأُمّهُ ومَن في الأرضِ جميعاً ولله مُلكُ السماواتِ والأرضِ وما بينهما يَخلُقُ ما يشاءُ والله على كُلِّ شيءٍ قَدير ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الذينَ قالوا إنّ الله هوَ المسيحُ ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبُدوا الله ربّي وربّكُم إنَّهُ مَنْ يُشرِكْ باللهِ فَقَدْ حَرَّمَ الله عليهِ الجنّةَ ومأواهُ النّار وما للظالِمينَ مِنْ أنصار ﴾[٢].

٢ ـ قولهم أنّ النبيّ جزء من الله، وذكر الله تعالى قولهم وكفرهم بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الذينَ قالوا إنَّ الله ثالِثُ ثلاثة وما مِنْ إله إلاّ إلهٌ واحدٌ وإنْ لَم يَنتَهوا عمّا يَقولونَ لَيَمسَّنَّ الذينَ كَفَروا منهُم عَذابٌ أليمٌ ﴾[٣].

٣ ـ نسبة الأنبياء إلى الله، بالأبناء كما في قوله تعالى: ﴿وقالوا اتّخَذَ الرحمنُ وَلَداً ﴾[٤].

وقول اليهود والنصارى بأنّ عيسى وعزير ﷺ أبناء الله: ﴿وقالتِ اليَهودُ عُزيرٌ ابنُ الله وقالت النصارى المسيح ابنُ الله ذلِكَ قَولُهُم بأفواهِهم ﴾[٥].

ولم يكتفوا بذلك بل تعدّوه إلى نسبة اليهود والنصارى جميعاً إلى أنّهم أبناء الله: ﴿وقالتِ اليَهودُ والنصارى نَحنُ أبناء الله وأحبّاؤهُ قُلْ فَلِمَ يُعذّبكُم بِذنوبِكُم بَلْ أنتُم بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَق يَغفر لِمَنْ يَشاء ويُعذِّبُ مَنْ يَشاءُ وللهِ مُلك السماواتِ والأرضِ وما بينَهُما وإليهِ المَصير ﴾[٦].

---

(١) المائدة : ١٧.

(٢) المائدة : ٧٢.

(٣) المائدة : ٧٣.

(٤) مريم : ٨٨.

(٥) التوبة : ٣٠.

(٦) المائدة : ١٨.

الطائفة الثالثة

وهم المؤمنون الذين صدّقوا دعوة الأنبياء وآمنوا برسالاتهم واتّبعوا شرائعهم ولم يتأثّروا بالطائفتين السابقتين واعتقدوا أنّ الله هو الّذي يبعث من يشاء من عباده الصالحين، وأنّ الأنبياء بشر يحملون الصفات الإنسانيّة لكنّهم يحملون أعلى صفات الكمال الإنساني نتيجة لعبوديتهم وإخلاصهم لله تعالى.

وجاءت الأوامر الإلهيّة المتكررة تؤكّد عبودية وبشرية الأنبياء، تارة يأمر الأنبياء بالقول: ﴿**قُلْ إنَّما أنا بَشَرٌ**﴾ وأُخرى يقولها الله تعالى، وإخبارات الأنبياء تكررت على طول الحياة الرسالية للأنبياء بأنّهم بشر وعباد لله بعثوا لإخراج الناس من الظلمات إلى النور والإستقامة في الحياة: ﴿**قُلْ إنّما أنا بَشَرٌ مِثلُكُم يُوحى إليَّ أنَّما إلهُكُم إلهٌ واحِدٌ فاستَقيموا إليهِ واستَغفِروهُ وَوَيلٌ للمُشرِكينَ**﴾[١].

فكانت هذه الطائفة من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿**لَهُمُ البُشرى فبشّر عبادِ * الذينَ يَستَمِعونَ القولَ فيتَّبِعونَ أحْسَنَه**﴾[٢]، ﴿**إنَّ الذينَ قالوا ربُّنا الله ثُمَّ استَقاموا فلا خَوفٌ عليهم ولا هُم يَحزَنونَ**﴾[٣] و ﴿**للذينَ استَجابوا لِرَبّهم لَهُمُ الحُسنى**﴾[٤].

إنّ مسألة إنسانية الأنبياء مسألة ذات أثر مهم في الواقع العملي لأنّ الإعتقاد بأنّهم شيء آخر، أو من عالم آخر تجعل من الإقتداء بهم مسألة صعبة جدّاً وتسري هذه المسألة إلى الإلتزام بالأحكام الشرعية حيث يضعف

---

(١) فصلت : ٦.

(٢) الزمر : ١٧ ـ ١٨.

(٣) الأحقاف : ١٣.

(٤) الرعد : ١٨.

الإلتزام بها وتكون مبرراً للإنسان بالقول أنّ هذه المسألة تتفق مع ذلك المخلوق الخاص وقدراته وطاقاته التي هي من عالم آخر.

فالمغالات بالأنبياء ورفعهم إلى أعلى من مستواهم الإنساني، ومنحهم قدرات أكبر من قدراتهم تكون مبرراً للتملّص من التكاليف أوّلاً، وإلغاء ونفي قدرة الإقتداء بالأنبياء ثانياً، إضافة إلى مخالفته لأصل الدين وهو التوحيد.

نماذج من التأكيدات القرآنية

١ ـ الأنبياء بشر

قال تعالى: ﴿**قُلْ إنَّما أنا بَشَرٌ مِثلُكُم يُوحى إليَّ أنَّما إلهُكُم إلهٌ واحِدٌ فَمَنْ كانَ يَرجوا لِقاءَ ربِّهِ فَلْيَعمَل عَمَلاً صالِحاً ولا يُشرِك بِعبادَةِ ربِّهِ أحداً**﴾[١]، وكان الأنبياء يؤكّدون هذه الحقيقة لأقوامهم.

وقال تعالى: ﴿**قالَتْ لَهُم رُسُلُهُم إنْ نَحنُ إلاّ بَشَرٌ مِثلُكُم ولكنَّ الله يَمُنُّ على مَنْ يَشاءُ مِنْ عبادِهِ وماكانَ لَنا أنْ نأتيكُم بِسُلطانٍ إلاّ بإذنِ الله**﴾[٢].

٢ ـ الأنبياء رجال

الإنسان منه رجال ونساء والقسم الثاني لا يبعث الله منهم أنبياء لطبيعة تكوينه التي تحدد من الحركة وبعض المسؤوليات والنشاطات الاجتماعية، ولهذا جاء البيان القرآني يؤكّد إنسانيّتهم ثمّ نوع جنسهم بأنّهم رجال.

قال تعالى: ﴿**وما أرسَلنا قَبلكَ إلاّ رِجالاً نوحي إليهم**﴾[٣].

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) إبراهيم: ١١.

(٣) الأنبياء: ٧.

٣ ـ لم يكتب الله لهم الخلد

الإنسان محكوم بالموت وهو قبل ذلك موجود محتاج لما يقوّم حياته ولم يستثني الأنبياء من هذه القاعدة، وإنّما هم كغيرهم يجوعون ويعطشون ويأكلون ويشربون، ولم يكن لهم الخلود والبقاء.

قال تعالى: ﴿وما جَعلنا لِبَشَرٍ مِنْ قَبلِكَ الخُلدَ أفإنْ مِتَّ فَهُمُ الخالِدونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذائقَةُ المَوتِ ونَبلوكُم بالشرِّ والخيرِ فِتنة وإلينا تُرجَعونَ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وما جَعلناهُم جَسَداً لا يأكُلونَ الطعامَ وماكانوا خالِدينَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ما المسيحُ ابنُ مَريَمَ إلاّ رَسولٌ قَدْ خَلَت مِنْ قَبلِهِ الرُسُلُ وأُمُّهُ صِدّيقةً كانا يأكُلانِ الطعامَ انظُر كَيفَ نُبيّن لَهُمُ الآياتِ ثُمَّ انظُر أنّى يؤفَكونَ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا قَبلِكَ مِنَ المُرسَلينَ إلاّ إنَّهم ليأكُلونَ الطعامَ ويَمشونَ في الأسواقِ وجعلنا بعضكُم لبعض فتنةً أتصبِرونَ وكانَ ربُّكَ بصيراً ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ولا تَدْعُ مَعَ اللهِ إلهاً آخر لا إلَهَ إلاّ هوَ كُلُّ شيءٍ هالِك إلاّ وجهَهُ لَهُ الحُكمُ وإليهِ تُرجَعونَ ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿إنَّ الذي فَرَضَ عليكَ القُرآنَ لرادُّكَ إلى مَعاد قُلْ ربِّ أعلَمُ مَنْ جاءَ بالهُدى ومَنْ هوَ في ضَلالٍ مُبين ﴾(٦).

الأنبياء باعتبارهم بشر فهم يتعرّضون إلى ما يتعرّض له الإنسان الآخر

(١) الأنبياء: ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) الأنبياء: ٨.

(٣) المائدة: ٧٥.

(٤) الفرقان / ٢٠.

(٥) القصص: ٨٨.

(٦) القصص: ٨٥.

ولكنّهم يواجهونه بصلابة الإيمان والإنقطاع إلى الله تعالى فقد جاء على لسان موسى ﷺ في القرآن الكريم: ﴿ربِّ إنّي لِما أنْزَلتَ إليَّ مِنْ خيرٍ فَقير ﴾(١).

ودعا زكريا ﷺ ربّه وهو يظهر الضعف والحاجة والشيخوخة: ﴿قالَ ربِّ إنّي وَهَنَ العَظْمُ مِنّي واشْتَعَلَ الرأسُ شَيباً ولَمْ أكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقياً ﴾(٢).

وكذلك نبيّ الله أيّوب ﷺ: ﴿وأيّوبَ إذْ نادى ربّهُ أنّي مَسَّني الضُّرُّ وأنتَ أرْحَمُ الراحِمينَ ﴾(٣).

وموسى ﷺ عندما أُرسل إلى بني إسرائيل قال: ﴿قالَ ربِّ إنّي قَتَلتُ مِنهُم نَفْساً فأخاف أنْ يَقتُلُون * وأخي هارون هُوَ أفصَحُ مِنّي لِساناً فأرسِلهُ مَعي رِدءاً يُصدّقني إنّي أخافُ أنْ يُكذِّبونِ ﴾(٤).

وفصّل إبراهيم ﷺ القول في حاجته وعبوديته بقوله: ﴿الذي خَلَقَني فَهُوَ يَهدينِ * والذي هوَ يُطعِمُني ويَسقين * وإذا مَرِضتُ فَهوَ يَشفينِ * والذي يُميتني ثُمَّ يُحيين* والذي أطمَعُ أنْ يَغفِر لي خَطيئتي يَوم الدّين * رَبِّ هَبْ لي حُكماً وألحِقني بالصالِحينَ ﴾(٥).

وذكر الله تعالى ضعف النبيّ محمّد ﷺ وحاجته ورعايته له بقوله: ﴿ألَم يَجِدْكَ يَتيماً فآوى * ووجَدَكَ ضالاً فهدى ﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿ألَمْ نَشرَحْ لَكَ صِدْرَكَ * ووضعْنا عَنكَ وِزْرَكَ * الذي أنقَضَ ظَهركَ * ورَفعنا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾(٧).

---

(١) القصص: ٢٤.

(٢) مريم: ٤.

(٣) الأنبياء: ٨٣.

(٤) القصص: ٣٣ـ ٣٤.

(٥) الشعراء: ٧٨ـ ٨٣.

(٦) الضحى: ٦ـ ٧.

(٧) الشرح: ١ـ ٤.

٤ ـ الأنبياء ينذرون ويتبعون الوحي

الأنبياء مجموعة من البشر اصطفاهم الله سبحانه وتعالى لحمل مسؤولية رسالاته وإيصالها إلى الأُمم التي بُعثوا إليها، فكان ينزل إليهم الوحي يحمل الإرادة الإلهيّة، ولمّا كان الأنبياء عباد لله وأكثر الناس معرفة به فهم أوّلهم التزاماً بوحيه وطاعة له، ورغم هذا جاءت الأوامر الإلهيّة تحدّد مسؤوليتهم وحدود تأثيرهم وقدراتهم.

ولذلك جاءت آيات الوحي تخاطب الرسول ﷺ بقوله تعالى: ﴿**قُلْ إنَّما أُنذركُم بالوحي**﴾[١].

وقال تعالى: ﴿**اتّبع ما أُوحي إليكَ مِنْ رَبّكَ لا إله إلاّ هوَ وأعْرِضْ عَنِ المُشرِكينَ**﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿**قُلْ لا أقولُ لَكُم عِندي خَزائن الله ولا أعلم الغيبَ ولا أقولُ لَكُم إنّي مَلَكٌ إنْ أتّبعُ إلاّ ما يُوحىٰ إليّ**﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿**واتّبع ما يُوحى إليكَ واصْبِرْ حتّى يَحْكُم الله وهوَ خَيرُ الحاكِمينَ**﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿**... إنْ أتّبعُ إلاّ ما يُوحى إليّ إنّي أخافُ إنْ عَصيتُ رَبّي عَذابَ يَومٍ عظيم* قُلْ لَوْ شاءَ الله ما تَلوتهُ عليكُم ولا أدراكُم بِهِ فَقَدْ لبثتُ فيكُم عُمُراً مِنْ قَبلِهِ أفَلا تَعقِلونَ**﴾[٥].

---

(١) الأنبياء : ٤٥.

(٢) الأنعام : ١٠٦.

(٣) الأنعام : ٥٠.

(٤) يونس : ١٠٩.

(٥) يونس : ١٥ ـ ١٦.

وقال تعالى: ﴿فإنْ أسْلَموا فَقَدِ اهتَدَوا وإنْ تَولّوا فإنَّما عليكَ البلاغُ واللهُ بصيرٌ بالعبادِ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿فَمَنِ اهتَدى فَلِنفسِهِ ومَنْ ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ عليها ما أنْتَ عليهِم بِوَكيلٍ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿وما يَنطِقُ عَنِ الهَوى * إنْ هوَ إلاّ وَحيٌ يُوحى * علَّمَهُ شَديدُ القُوى﴾(٣).

٥ ـ الأنبياء عبيد مربوبين

الأنبياء أكثر الناس طاعة وخضوعاً وانقياداً وعبادة لله تعالى وهي موضع إفتخارهم وكرامتهم وعزّتهم، وكانت للعبادة دعوتهم وعملهم، لأنّ العبادة المنهج والطريق الإلهي الذي رسمه لعباده وهي علّة الخلق: ﴿وما خَلَقتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاّ لِيَعبُدونِ﴾(٤).

ولهذا كانت الشهادة بعبودية نبيّ الإسلام محمّد ﷺ أحد شعارات الإسلام التي يكررها المسلم يوميّاً عند التشهّد في كلّ صلاة بعد شعار التوحيد.

وقد أمر الله تعالى الناس بصورة عامّة، وأمر الأنبياء خاصّة فقال تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿إنَّني أنا اللهُ لا إلَهَ إلاّ أنا فاعبُدني وأقِمِ الصلاةَ لِذِكْري﴾(٥).

---

(١) آل عمران: ٢٠.

(٢) الزمر: ٤١.

(٣) النجم: ٣ ـ ٥.

(٤) الذاريات: ٥٦.

(٥) طه: ١٤.

وقال تعالى لنبيّنا محمّد ﷺ: ﴿أقِمِ الصلاةَ لِدُلوكِ الشمسِ إلى غَسَقِ الليلِ وقُرآنَ الفَجرِ إنَّ قُرآنَ الفَجرِ كانَ مَشهوداً * ومِنَ الليلِ فَتهجَّدْ به نافِلَةً لَكَ عَسى أنْ يَبعثكَ ربُّكَ مَقاماً مَحموداً﴾(١).

وكان أوّل بيان لعيسى ﷺ الإعلان عن عبوديته: ﴿قالَ إنّي عَبدُ اللهِ آتاني الكِتابَ وجَعَلَني نبيّاً * وجَعَلَني مُبارَكاً أيْنَ ماكُنتُ وأوصاني بالصلاةِ والزكاةِ ما دُمْتُ حيّاً﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿إنّما أُمِرْتُ أنْ أعْبُدَ رَبَّ هذهِ البلدةِ الذي حرَّمَها ولَهُ كُلّ شيءٍ وأُمِرتُ أنْ أكونَ مِنَ المُسلِمينَ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿اتلُ ما أُوحيَ إليكَ مِنَ الكِتابِ وأقِمِ الصلاةَ إنَّ الصلاةَ تنهى عنِ الفَحشاءِ والمُنْكَرِ ولَذِكْرُ اللهِ أكْبَرُ واللهُ يَعْلَمُ ما تَصنَعونَ﴾(٤).

٦ ـ الأنبياء خاضعون للإرادة الإلهيّة

كلّ ما في الوجود خاضع للمشيئة والإرادة الإلهيّة وأي جزء من عالم الإمكان لا يخرج عن هذه القاعدة.

وقد ذكرت الآيات القرآنية ذلك بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ استوى إلى السماءِ وهيَ دُخانٌ فقالَ لَها وللأرضِ ائتيا طوعاً أوكرهاً قالَتا أتينا طائعين﴾(٥).

وجاءت آية أُخرى: أن كلّ من في السماوات والأرض يأتي الرحمن

(١) الإسراء: ٧٨ ـ ٧٩.
(٢) مريم: ٣٠ ـ ٣١.
(٣) النمل: ٩١.
(٤) العنكبوت: ٤٥.
(٥) فصلت: ١١.

عبداً، كما في قوله تعالى: ﴿إن كُلّ مَنْ في السماوات والأرضِ إلاّ آتي الرحمن عبداً * لَقَدْ أحصاهُم وعدَّهم عدّاً * وكُلّهم آتيهِ يَومَ القيامَةِ فَرداً ﴾[١].

وذكرت آيات أُخرى شمولية ملك الله تعالى بقوله: ﴿رَبُّ السماواتِ والأرضِ وما بينَهما ورَبُّ المَشارِق ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿إنَّما أمرُهُ إذا أرادَ شيئاً أنْ يَقولَ لَهُ كُنْ فَيَكون * فَسُبحانَ الذي بِيَدِهِ مَلَكوتُ كُلُّ شيءٍ وإليهِ تُرجَعونَ ﴾[٣].

والأنبياء جزء من هذا الوجود وهم خاضعون اختياراً لإرادة الله سبحانه وتعالى وهم لا يملكون شيئاً أو تأثيراً منقطعاً عن الله سبحانه وتعالى فجاءت الآيات تصوّرهم بدقة وتظهر عبوديتهم وارتباطهم بالله سبحانه وأنّهم لا يملكون شيئاً لأنفسهم ولا يعلمون الغيب إلاّ ما علّمهم الله واختصّهم به، قال تعالى: ﴿قُلْ لا أمْلِكُ لِنَفسي نفعاً ولا ضرّاً إلّا ما شاءَ الله ولَوْ كُنت أعلَمُ الغيبَ لاستكْثَرتُ مِنَ الخيرِ وما مَسَّنيَ السُوءُ إنْ أنا إلاّ نَذيرٌ وبَشيرٌ لِقَومٍ يؤمِنونَ ﴾[٤].

ولمّا كان الأنبياء عبيد فليس لهم أن يخرجوا عن إرادة مولاهم وولي نعمتهم لأنّه قادر على سلب النعمة في أيّ وقت أراد، وليس لهم الركون لأعداء الله والتعامل معهم وموالاتهم.

قال تعالى: ﴿ولِئنْ شئنا لَنذهبنَّ بالذي أوحينا إليكَ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ علينا وَكيلاً ﴾[٥].

---

(١) مريم : ٩٣ ـ ٩٥.

(٢) الصافات : ٥.

(٣) يس : ٨٢ ـ ٨٣.

(٤) الأعراف : ١٨٨.

(٥) الإسراء : ٨٦.

وقال تعالى: ﴿ولوْ لا أنْ ثبّتناكَ لَقَدْ كِدتَ تَركَنُ إليهِم شيئاً قليلاً * إذاً لأذَقْناكَ ضِعْفَ الحياةِ وضِعْفَ المَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لك علينا نَصيراً﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ولا تَقولَنَّ لِشيءٍ إنّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً * إلاّ أنْ يَشاء الله...﴾[٢].

وهذه الآية تأمر الرسول بإخضاع إرادته لإرادة الله تعالى مطلقاً، وانتظار المشيئة الإلهيّة فالأنبياء خاضعون للإرادة الإلهيّة ولا يخرجون عنها بأيّ مستوى من الخروج.

٧ ـ الأنبياء لا يدعون لأنفسهم

الأنبياء يدعون الناس إلى عبادة الله سبحانه وهذه الدعوة أحد الأهداف الرئيسية لبعثتهم ولم يدعوا الناس لأنفسهم وليس لهم ذلك.

قال تعالى: ﴿ما كانَ لِبَشرٍ أنْ يؤتيهِ الله الكِتابَ والحُكْمَ والنُبوَّةَ ثُمَّ يَقول للنّاس كُونوا عِباداً لي مِنْ دونِ الله... * ولا يأمركُم أنْ تتَّخِذوا الملائكَةَ والنبيينَ أرباباً أيأمُركُم بالكُفْرِ بَعْدَ إذْ أنتُم مُسلِمونَ﴾[٣].

﴿ومَنْ يَقُلْ مِنهُم إنّي إلهٌ مِنْ دُونِهِ فذلِكَ نَجزيهِ جهنَّم كذلِكَ نَجزي الظالِمينَ﴾[٤].

وقال تعالى مخاطباً عيسى عليه السلام: ﴿يا عيسى ابن مَريَمَ ءَأنْتَ قُلتَ للنّاس اتّخِذوني وأُمّي إلهينِ مِنْ دونِ اللهِ قالَ سُبحانَكَ ما يَكونُ لي أنْ أقولَ ما لَيسَ لي بِحقٍّ إنْ كُنت قلتهُ فَقَدْ عَلِمته تَعلَم ما في نفسي ولا أعلَمُ ما في نفسِك إنَّكَ أنتَ علاّمُ الغُيوبِ﴾[٥].

---

(١) الإسراء: ٧٤ ـ ٧٥.
(٢) الكهف: ٢٣ ـ ٢٤.
(٣) آل عمران: ٧٩ ـ ٨٠.
(٤) الأنبياء: ٢٩.
(٥) المائدة: ١١٦.

ثالثاً ـ النهي عن الغلو

لمّا كان الهدف من الرسالات السماوية وبعثها من قِبل المولى عزّوجل هو نشر التوحيد وتثبيت أصوله، وإزالة كل ما من شأنه التعارض معه، والغلو أكثر الأفكار والآراء أثراً على تشويه مبدأ التوحيد، وأكبر الموانع الحائلة دون تحقق هدف الرسالات الإلهيّة، وأكثر الأفكار تشويشاً على هذا المبدأ، لهذا جاء الخطاب الإلهي بصورة قاطعة، وبلهجة شديدة، وبألفاظ صريحة، فذكرت الآيات القرآنية الغلو باسمه كما في قوله تعالى: ﴿**يا أهلَ الكِتابِ لا تَغلُوا في دينِكُم ولا تَقولوا على الله إلاّ الحقّ**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**قُلْ يا أهلَ الكِتابِ لا تَغلوا في دينِكُم غيرَ الحقِّ ولا تتّبِعوا أهواءَ قَومٍ قَدْ ضَلّوا مِنْ قَبلوا وأضلّوا كَثيراً وضلّوا عَنْ سَواءِ السَبيلِ**﴾[2].

ثمّ أكّد القرآن الكريم بعض الموارد التي يمكن أن توهم الناس، أو تؤدّي إلى الغلو، فبيّنها بكلّ وسيلة لرفع التوهم ورفع الإلتباس المحتمل، والذي يمكن من خلاله أن ينفذ الغلو ليفسد عقائد الناس.

بيان مقام الأنبياء

الأنبياء عليهم السلام بشر، ويحملون جميع الخصائص الإنسانية، وتشملهم جميع التكاليف التي أمر الله سبحانه بها عباده، لكنّهم لهم عناية إلهيّة خاصّة، وهذه العناية ترتبط بأمر التبليغ للرسالة الإلهيّة، والهداية والتوجيه للمجتمع، ففي

---

(١) النساء: ١٧١.

(٢) المائدة: ٧٧.

الأوّل: دعم وتقوية لدعوة الأنبياء وتأييد وتصديق وقوّة لحجّتهم. **والثاني:** تمكين أُناس من الهداية والتصديق والإيمان.

والمعجزات: هي العطاء الإلهي المتميز في حركة الأنبياء ودعوتهم، وهي طريقة خاصّة بهم في مسألة الدعوة إلى الله، ويقدمونها ابتداءاً أو بطلب من قومهم بشرط الإيمان.

وكانت المعجزات مرافقة لجميع الأنبياء، ويُجريها الله على أيديهم في الأوقات التي تتوقّف عليها هداية الناس وإيمانهم، وتصديق الأنبياء وتأييدهم.

ومن الأنبياء الذين تغلفت حياته بالإعجاز، عيسى بن مريم ﷺ، بدأت معه المعجزات من بداية تكوينه وولادته، وحتّى رفعه الله إليه.

جاء عيسى ﷺ إلى الحياة من غير أب، وهذه المسألة لم يشاركه بها أحد غير آدم ﷺ خلقه الله من غير أب ومن غير أُم.

وقد أشار القرآن الكريم لهذه المسألة بقوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عيسى عند اللهِ كَمَثَلِ آدَم خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثِمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكون**﴾[1].

وكانت هذه الآية جواب لقول النصارى: ﴿**عيسى ابن الله**﴾، وقد استدلّوا على ذلك بقولهم إنّ لكلّ مولود أب، والذي ليس له أب فهو ابن الله، فذكر الله لهم مثالاً أكثر استغراباً من خلق عيسى ﷺ وهو آدم ﷺ فإذا كان خلق عيسى أمر عجيب وجرّهم إلى هذا القول فما يقولون بآدم الذي خلق من غير أب ومن غير أُمّ، فكانت حجّتهم باطلة، إضافة إلى ذلك كانت المعجزات التي تحققت على يد عيسى ﷺ من المعجزات التي تذهل العقول وتحيّر الأفكار

---
(١) آل عمران : ٥٩.

وتغلق عليها جميع السبل إلاّ التصديق والإيمان بها.

وقد ذكر القرآن الكريم ذلك بالتفصيل كما في قوله تعالى: ﴿إذْ قالَ اللهُ يا عيسى بن مَريَمَ اذْكُر نِعمَتي عليكَ وعلى والِدَتِك إذْ أيّدْتُكَ بِروحِ القُدُسِ تُكلِّمُ النّاسَ في المَهدِ وكَهلاً وإذْ علَّمتُكَ الكِتابَ والحِكمَةَ والتوراةَ والإنجيل وإذْ تَخْلُقُ مِنَ الطينِ كهيئةِ الطيرِ بإذني فَتَنفُخُ فيها فَتكونُ طيراً بإذني وتُبرِءُ الأكْمَهَ والأبرَصَ بإذني وإذْ تُخرجُ المَوتى بإذني وإذْ كَفَفتُ بَني إسرائيلَ عَنكَ إذْ جِئتهُم بالبيّناتِ فقالَ الذينَ كَفَروا منهم إنْ هذا إلاّ سَحرٌ مُبينٌ ﴾[1].

وآيات أُخرى ذكرت معجزات أُخرى لعيسى عليه السلام وأُمّه عليهما السلام.

وكانت معجزات الأنبياء عليهم السلام التي ذكرها القرآن الكريم يمكن ذكر أهمها كما يلي:

١ ـ بعث الروح في البديل بعد الموت كما حدث ذلك للطيور التي قطّعها إبراهيم عليه السلام.

٢ ـ إحياء الموتى. كما أحيا الله المقتول بعد ضربه بجزء من البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها: ﴿فقلنا اضرِبُوهُ ببعضِها كَذلِكَ يُحيي اللهُ المَوتى ويُريكُم آياتِهِ لعلَّكُم تَعقِلونَ ﴾[2].

٣ ـ الخلق وبعث الروح في المخلوق: ﴿وإذْ تَخلُقُ مِنَ الطينِ كهيئةِ الطيرِ بإذني فَتَنفُخُ فيها فَتكونُ طيراً بإذني... ﴾.

٤ ـ معرفة لغة الحشرات والطيور والحيوانات: ﴿وَوَرِثَ سُليمان داوُدَ وقال يا أيُّها النّاس عُلِّمنا منطِقَ الطيرِ وأُتينا مِنْ كُلِّ شيءٍ إنّ هذا لهُوَ الفَضلُ المُبين * وحُشِرَ لِسُليمان

(١) المائدة: ١١٠.

(٢) البقرة: ٧٣.

جنودَهُ مِنَ الجنِّ والإنسِ والطير فهُم يُوزعونَ * حتّى إذا أتوا على وادِ النملِ قالت نملَةٌ يا أيُّها النملُ ادخُلُوا مَساكِنَكُم لا يحطِمَنَّكُم سُليمان وجُنُودَهُ وهم لا يشعرونَ * فتبسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَولها... ﴾[١].

﴿وتفقّدَ الطير فقالَ ماليَ لا أرى الهُدهُدَ أمْ كانَ مِنَ الغائبينَ * لأُعذِّبَنَّهُ عذاباً شَديداً أوْ لأذبحنَّهُ أوْ ليأتيَنِي بِسلطانٍ مُبينٍ * فَمَكَثَ غيرَ بَعيدٍ فقال أحطتُ بِما لَمْ تُحطْ بِهِ وجئتُكَ مِنْ سبأ بنبأ يَقين ﴾[٢].

٥ ـ تسخير الطير والجن والجبال والريح لبعض الأنبياء: ﴿وسخّرنا مع داوُدَ الجبال يُسبِّحنَ والطير وكُنّا فاعِلينَ * وعلّمناهُ صَنعةَ لَبوسٍ لَكُم لِتُحصِنَكُم مِنْ بأسكُم فهَلْ أنتُم شاكِرونَ * ولِسُليمانَ الريحَ عاصِفة تجري بأمرِهِ إلى الأرضِ التي باركنا فيها وكُنّا بِكُلِّ شيءٍ عالِمين ﴾[٣].

ومعاجز كثيرة حدثت تأييداً للأنبياء ﷺ، مثل ناقة صالح ﷺ التي خرجت من الجبل مع فصيلها، وإنفلاق البحر لموسى ﷺ، وانشقاق القمر، والإسراء والمعراج لنبيّنا محمّد ﷺ، ومعاجز كثيرة أُخرى.

فإذا لاحظنا الآيات القرآنية في هذا الباب، نصل إلى نتيجة قطعية وهي: أنّ الإعتقاد بوجود قدرات غير عادية عند الأنبياء أمر من الدين والإيمان، ولا يحمل أي شيء من الغلو، وسلب لهذه القدرات وإنكارها تكذيب للحقيقة القرآنية، ولكن التصديق لهذه المسائل مشروط بأمر أساسي وهو أنّ هذه القدرات خاضعة لإرادة الله ومشيئته، وكل ما يصدر من النبيّ، خلق، إحياء، تسخير، شفاء، وغيرها من الأعمال تحدث بإذن الله تعالى، ولو قطع أو

(١) النمل: ١٦ ـ ١٩.

(٢) النمل: ٢٠ ـ ٢٢.

(٣) الأنبياء: ٧٩ ـ ٨١.

رفع الله تعالى هذا الإذن لا يمكن للنبيّ أن يصدر منه شيئاً من هذه المعاجز: ﴿وما كانَ لِرَسولٍ أنْ يأتيَ بآيَةٍ إلاّ بإذنِ الله... ﴾(١).

وقد أكّد الرسل هذا الأمر لأقوامهم بقوله: ﴿قالَتْ لَهُم رُسُلِهم إنْ نحن إلّا بشرٌ مثلُكُم ولكنَّ الله يَمُنُّ على مَنْ يَشاءُ من عبادِهِ وما كانَ لنا أنْ نأتيكُم بسُلطانٍ إلاّ بإذنِ الله وعلى الله فليَتوكَّلِ المؤمنونَ ﴾(٢)، فالخط الفاصل بين الغلو والإيمان هو الإعتقاد بالقدرة الذاتية للنبيّ على القيام بأعمال وتصرّف في الكون أمّا المؤمن فهو الذي يصدّق القرآن الكريم بإخباره عن حدوث مسائل يظهر منها أنّ بعض الأنبياء مُنح قدرة على التصرف ولكن قدرة موهوبة من المولى ـ بإذن الله ـ وليست قدرة ذاتية.

أمّا المقصّر: وهو الذي لا يصدق بالمسألة من الأساس في حالة الإرتباط بالمولى أو عدمه، هؤلاء لا يرون للأنبياء أي إمتياز وهم الذين قالوا لأنبيائهم: ﴿ما نَراكَ إلاّ بَشَرٌ مِثلُنا... وما نرى لكُم علينا من فضلٍ ﴾(٣).

فالقرآن الكريم عندما يطرح رفعة درجة الأنبياء عليهم السلام ومقامهم الشامخ الذي لا يدانيه مقام لبشر ولا لملك مقرّب، يجعل إلى جانب تلك الدرجة الرفيعة والقريبة من المولى عزّوجل عبوديتهم وحاجتهم وإخلاصهم وطاعتهم فعندما يذكر إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿ووهبنا لَهُ إسحاقَ ويعقوبَ نافلةً وكلاًّ جعلنا صالِحينَ * وَجَعَلناهُم أئمّةً يَهدونَ بأمرِنا وأوحينا إليهم فِعْلَ الخيراتِ وإقامَ الصلاةِ وإيتاءَ الزكاةِ وكانوا لَنا عابِدينَ ﴾(٤).

---

(١) غافر : ٧٨.

(٢) إبراهيم : ١١.

(٣) هود : ٢٧.

(٤) الأنبياء : ٧٢ ـ ٧٣.

في آخر الآية يؤكّد عبوديتهم وطاعتهم لأمر الله ووحيه، وموسى عليه السلام الذي قال له الله: ﴿واصطنعتُكَ لِنَفسي﴾[١]، نرى في مقام آخر يقول له: ﴿إنَّني أنا الله لا إلهَ إلاّ أنا فاعْبُدْني وأقِمِ الصلاةَ لِذكري﴾[٢].

فالأنبياء عباد لله احتلّوا أعلى مراحل ودرجات العبودية، وعندما وصلوا إلى هذا المستوى جعلهم مولاهم من العباد المقرّبين ووهبهم عطاياه وكرامته وقال في وصفهم: ﴿... بَلْ عِبادٌ مُكرَمون * لا يَسبقونَهُ بالقولِ وهُم بأمرِهِ يَعْمَلونَ﴾[٣].

* * *

(١) طه : ٤١.

(٢) طه : ١٤.

(٣) الأنبياء : ٢٦ ـ ٢٧.

الفصل التّاسع

أهل البيت عليهم السلام في مواجهة الغلو

أهل البيت عليهم السلام في مواجهة الغلو

لقد إتّضح ممّا سبق، أنّ الغلو اتّخذ طرق مبرمجة ومدروسة، واتّبع منهجاً لبث أفكاره، وكان يركّز على إشارتها في فترات زمنية خاصّة، ومواقع جغرافية محددة، والمتابع لطريقة تحركهم، وأوقات مضاعفة نشاطهم، وآراءهم يخرج بنتيجة قطعية هي: أنّ الغلو لم يكن حركة أو أفكار عفويّة في أغلب المواقع، وإنّما هناك غاية وأهداف تتحرّك تلك الجماعات بإتّجاهها.

أوّلاً ـ العمل المنظم

فالعمل المنظم الذي يعتمد على استراتيجية في فعّالياته وعلى مراحل في تطبيقها، لا يمكن مواجهته والتصدّي له بالمواقف الإرتجالية التي تصدر من فرد هنا وآخر هناك، وإنَّما هناك حاجة إلى عمل يعتمد على منهج متكامل ودقيق تشترك فيه جميع الأُمّة باعتباره وظيفة وتكليف شرعي.

وهذا لا يتحقق إلاّ إذا صدر من جهة لها موقع القيادة والصدارة والتأييد في الأُمّة حتّى يكون التطبيق والتنفيذ للقرارات الصادرة تحمل صفة التشريع فتضمن بذلك عملية الإنقياد، ولم يكن في هذا المستوى، إلاّ الثقل.

ثانياً ـ القرآن وأهل البيت عليهم السلام

القرآن وأهل البيت عليهم السلام، قال فيهم رسول الإسلام محمّد صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وأهل بيتي، ولن يتفرّقا حتّى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»(١)، وسفينة النجاة، الذين وصفهم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «ألا إنَّ الأبرار عترتي، وأطايب أُمّتي، أحلم الناس صغاراً، وأعلم النّاس كباراً».

«ألا وإنّا أهل البيت من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا، فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، معنا راية الحقّ، مَن تبعها لحق، ومَن تأخّر عنها غرق، ألا وبنا تدرك ترة كلّ مؤمن وبنا تخلع ربقة الذّل من أعناقكم، وبنا فتح الله، وبنا يختم»(٢).

وكانت الأُمّة تعرف لهم هذا الحق والمقام، ولذلك كانت تتجه إليهم وتهتدي بنورهم وقد كان في المجتمع فقهاء معاصرون للأئمة ولكن لم يكن لهم موقف يُذكر ولم ترجع إليهم الأُمّة في تعيين موقفهم.

واتّخذ أهل البيت عليهم السلام في مواجهة الغلو منهجاً علميّاً وعمليّاً يأخذ على الغلاة جميع الطرق، ويغلق عليهم جميع النوافذ، ويضيّق عليهم دائرة حياتهم الإجتماعية والشخصيّة، يكون لجميع الأُمّة فيه دور التنفيذ

---

(١) الجامع الصحيح، للترمذي: ج ٥، ص ٦٢١ ـ ٦٢٢. والجامع الصغير، للسيوطي: ج ٢، ص ١٧٤، ١٧٥، وج ١٤، ص ٣، والخصائص، للنسائي: ص ٧٠. والمناقب، لابن المغازلي: ص ٩٠ و١٥٦ و١٥٧، وذخائر العقبى، للحافظ محب الدين الطبري: ص ١٦. وأنساب الأشراف، للبلاذري: ص ١١٠، ١١١، وشرح الطّحاوية في العقيدة السلفية، لابن أبي العز: ص ٣٣٢، وحلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني: ج ١، ص ٣٥٥. والدر المنثور، للسيوطي: ج ٢، ص ١٠٧. وج ٥، ص ٧٠٢.

(٢) العقد الفريد، للفقيه أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي: ج ٤، ص ١٣٤.

والإشتراك في عمليّة التصدّي للإنحراف العقائدي والسلوكي الذي يتمثّل فيه الغلو والغلاة.

وهذا المنهج لا ينحصر في طبقة ومستوى معيّن من الأُمة، وإنّما هو بشكل قادر على استيعاب كل الجهود وتعبئتها في هذا المجال وفي مواجهة الإنحراف.

والطرق التي جعلت منهجاً للمواجهة أربعة:

الطريقة الأُولى ـ الطريقة الوقائية

وتتركّز فعاليتها على حصر الغلاة وأفكارهم في دائرتهم وعدم السماح لها بالخروج من تلك المساحة، لصيانة المجتمع والقضاء على حالة التشويش التي يمكن أن يخلقها الغلاة.

الطريقة الثانية ـ الطريقة البنائية

وهي تعتني بالبناء العقائدي والفكري وتقويم العواطف وخلق قدرة فكرية على تمييز الحقّ عن غيره وتعيين حدود العاطفة.

الطريقة الثالثة ـ المواجهة الفكرية

وهي تتعرّض لأفكارهم بالإبطال بالدليل والحجّة القويّة وتفنيد آرائهم ودعوتهم إلى الهدى والعودة إلى الإسلام والتوبة من الغلو الذي هو الكفر والشرك.

الطريقة الرابعة ـ المواجهة الحادّة

وتأتي بعد استنفاذ كلّ العلاجات، ورفع كل الإشكالات، وبقاء مجموعة معاندة ومصرّة على الإنحراف، وغالباً ما يكون أفرادها رؤوس الغلاة.

الطرق الأربعة تكوّن منهج متكامل لصيانة الأُمّة والوقف بوجه الضلالات التي ترد في أجوائها وتحاول النفوذ في عقائدها ونفوس أبناءها.

وكلّ واحدة من هذه الطرق لها برنامج وفقرات تنفيذية تتناسب مع كل الطبقات والمستويات الفكرية في المجتمع، ومجموع هذه الطرق مع تفصيلات فقراتها يتمّ المنهج عند أهل البيت عليهم السلام في مواجهة الغلو.

الطريقة الأُولى ـ الطريقة الوقائية

أهدافها:

الأوّل ـ صيانة أفراد الأُمّة.

الثاني ـ ضرب طرق حصار على الغلاة.

فقرات الطريقة الوقائية:

١ ـ ملاقاتهم بوجوه مكفهرة.

٢ ـ المنع من مخالطتهم.

٣ ـ منع التعمل والإرتباط معهم.

٤ ـ تفريغ القلب من الرحمة لهم والأمر ببغضهم.

٥ ـ تسميتهم بالأسماء المنفّرة:

أ ـ السفلة.

ب ـ الفسقة.

ج ـ الممطورة.

الطريقة الثانية ـ الطريقة البنائية

أهدافها:

الأوّل ـ البناء العقائدي.

الثاني ـ خلق ميزان للأفكار وقدرة الفرز للضلال.

فقرات الطريقة البنائية:

١ ـ التركيز على مبدأ التوحيد

٢ ـ إظهار العبودية والفقر والحاجة لله تعالى.

٣ ـ بيان مقام أهل البيت عليهم السلام:

أ ـ عباد مكرمون.

ب ـ الفضيلة غير الغلو.

ج ـ الأئمة حجّة الله على خلقه وليسوا أنبياء.

د ـ لا يحدثون إلاّ عن الرسول صلى الله عليه وآله

الطريقة الثالثة ـ المواجهة الفكرية

أهدافها:

الأوّل ـ بيان أصل الشبهة والإلتباس.

الثاني ـ تفنيد آراءهم الفاسدة.

الطريقة الرابعة ـ المواجهة الحادّة

أهدافها:

الأوّل ـ إقامة حكم الله.

الثاني ـ ردع المستخفين منهم.

الثالث ـ إظهار حقيقتهم الإعتقادية.

الرابع ـ كشف كذب ادّعاءهم الإسلام.

فقرات المواجهة الحادّة:

١ ـ إظهار ارتباطاتهم مع أصحاب العقائد الفاسدة.

٢ ـ إباحة دماءهم ووجوب قتلهم.

٣ ـ كشف نواياهم وأغراضهم الخبيثة.

٤ ـ الحكم بكفرهم.

٥ ـ لعنهم والبراءة منهم.

الطريقة الأُولى ـ الطريقة الوقائية

وهي من المناهج الأوّليّة لمواجهة الأحداث المختلفة التي تقع في المجتمع، ولها آلية عمل وطريقة تنفيذ، ووصلت إلى المجتمع باعتبارها تكاليف شرعية لازمة الإجراء.

وتحتوي على فقرات تحدّد طريقة التعامل مع الغلاة، وهذه الطريقة تتعامل معهم، باعتبارهم وباء فكري وعقائدي أصاب مجتمعات وأديان ماضية انتهى بها إلى الضياع والتيه العقائدي والشرك والكفر بعد الإيمان

فالغلو يمكن أن يؤثّر على التركيبة العقائدية للمجتمع الإسلامي ويخترق نوافذ النقص والجهل والوضع الإقتصادي والسياسي والإجتماعي.

فالأعمال الأوليّة لمواجهة الغلو حصره في الأفراد والذين تأثّروا به، ومنع الإتصال بهم ومنع إتصالهم بالمجتمع وضرب طوق حصار لا يسمح بتسرّب أفكارهم ولا استماعها، أو نقلها حتّى تساهم هذه العوامل بتضييق مساحة دائرتهم وحصرها بهم، ومنع أفراد المجتمع من التأثّر بهم والتعاطف أو التعامل معهم على جميع المستويات.

فبناءً على ما تقدّم تكون لهذه الطريقة أهداف محدودة وتكون جزء من المنهج العام.

أهداف الطريقة الوقائية

الهدف الأوّل: صيانة أفكار وعقول المجتمع من التأثّر بالغلاة، تختلف مستويات الوعي للأفكار العقائدية الدقيقة في المجتمع، وكثير من المباحث العقائدية لم تكن من اهتمام بعض الطبقات، أو لم يكونوا بمستوى البحث فيها، لأنّهم لم يحصلوا على المقدّمات القيّمة التي تؤهّلهم للخوض بمثل هذه المسائل، فهم يعتمدون على الأدلّة الفطرية التي يشترك فيها جميع النوع الإنساني، فهؤلاء بحاجة إلى أجواء تحفظهم من التلوّث بالضلالات وبحاجة إلى أبعاد أهل التشويش والتشكيك عن بيئتهم، إذن فتلك الطريقة تهيأ بيئة نقيّة وسليمة من الأفكار المسمومة والملوّثة بالشرك والزندقة.

الهدف الثاني: محاصرة أفكار الغلاة وذلك بضرب طوق من المحاصرة عليهم وعلى أفكارهم وعقائدهم الضالّة التي تتعارض مع أساس الإسلام

وهو التوحيد.

ولمّا كانت الأفكار تؤلّف المحتوى الداخلي للإنسان وهي بدورها تؤثر وتساهم في خلق وتحديد نوع وطريقة التعامل والسلوك، فالمحتوى الداخلي يظهر على شكل نشاط خارجي بصورتين:

الأولى: الأفكار تظهر على شكل نظرية في بيان أصحابها ودعوتهم.

والثانية: على شكل سلوك ظاهري يراه المجتمع.

ففي الحالتين النظرية والتطبيقية تتمّ عملية التبليغ وإيصال الأفكار الضالة للمجتمع، ويمكن أن تبعث على إثارة روح الشك أو التأثر بها عند أصحاب الأمراض أو الأغراض وتكون مبرراً لمهاجمة العقائد الحقّة، وخلق أجواء عقائدية وفكرية مضطربة، فبالمحاصرة يتم تحديد مواضع الإضطراب الفكري وتضييق دائرتها.

فقرات الطريقة الوقائية

بعد بيان الطريقة الأُولى والغايات التي تبغي الوصول إليها بقي السبيل بها المنهج ويتحرّك المجتمع في تطبيقها وفي الفقرات التطبيقية للطريقة الوقائية:

الأُولى ـ ملاقاة الغلاة بوجوه غاضبة مكفهرة

طريقة الإستقبال والنظر والسلام تعبّر عن حالة تعاطف وتعامل بمستوى معيّن.

وظاهرة تقطيب الوجه وإظهار الغضب تعبّر عن حالة رفض وانزجار

وعدم رضا واختلاف في التوجّه وهذا المستوى من الرفض مطلوب في هذه الحالة وجاء الأمر بالتأكيد على هذا النوع من التعامل مع أهل البدع وأي بدعة وانحراف من الغلو والدعوة إليه والذي هو يستهدف أصل الإسلام.

جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: **«إذا رأيتم صاحب بدعة فاكفهروا في وجهه»**[١].

وجاء عن المعصومين عليهم السلام: **«مَن تبسّم في وجه مبتدع فقد أعان على هدم دينه»**[٢].

وجاء كذلك: **«مَن أعرض عن صاحب بدعة بغضاً له ملأ الله قلبه يقيناً ورضاً»**[٣].

الثانية ـ منع الأُمّة من مخالطة الغلاة

طبيعة الإختلاط تؤدّي إلى تأثير وتأثّر بين الطرفين المختلطين وهذا التأثّر المتقابل يخلق متنفّساً وأمل في نجاح مشروعهم ودعوتهم الضالّة ولذلك جاء عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: **«أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يجلس إلى غال فيستمع إلى حديثه، ويصدّقه على قوله»**[٤].

وجاء عن أبي الحسن عليه السلام أنّه قال: **«لا تُقاعدوهم، ولا تُصادقوهم، وابرأوا منهم بريء الله منهم»**[٥].

وبالإلتزام بهذه التوجيهات تتحقق عزلة ومقاطعة ترجعهم إلى أنفسهم

---

(١) كنز العمال: ج ١، ص ٣٨٨.

(٢) سفينة البحار: ج ١، ص ٦٣.

(٣) تنبيه الخواطر: ص ٣٥٧.

(٤) الخصال: ج ١، ص ٣٧.

(٥) عيون الأخبار: ص ٣٢٥.

وتقطع آمالهم في اتّساع دائرة انحرافهم وتحفظ الجماهير من التأثّر بهم، أو إثارة الشكوك في سلامة عقائدهم.

وهذا أعلى مستوى المجاملات والإرتباطات العفويّة الساذجة والبسيطة التي يتعامل بها أفراد المجتمع في نشاطاتهم اليومية فيما بينهم.

الثالثة ـ قطع الإرتباط

وهذه الفقرة تعني المنع من التعامل والإرتباط على جميع المستويات خصوصاً الإجتماعي منها، لأنّه يساهم في توسيع العلاقات، والإندماج مع المجتمع، ثمّ النفوذ داخل النسيج الإجتماعي والتأثير في طريقة تعامله، والسعي من أجل تفكيك تماسكه ووحدة موقفه.

والإرتباط الإجتماعي مثل الزواج، يخلق علقة وتأثير وولاية للمغالي على الزوجة إذا كان المغالي رجلاً وإذا كان العكس يخلق عاطفة وانجذاب نحو الزوجة، وكذلك العمل والبيع والشراء وغيرها من أنواع الإرتباط التي فصّلتها الروايات.

وجميع الروابط لها آثار متفاوتة، وتؤدّي إلى حصول المغالي على إمتيازات أهمّها: الضمان الأمني، والإطمئنان الاجتماعي، وفرصة لإيصال أفكاره وغيرها من الإمتيازات.

لكنّ أهل البيت عليهم السلام قطعوا عليهم هذا الطريق وجاءت توجيهاتهم شديدة في هذا المجال.

فقد جاء عن أبي هاشم الجعفري قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الغلاة والمفوضة، فقال عليه السلام: **«الغلاة كفّار، والمفوضة مشركون، مَن جالسهم، أو**

خالطهم، أو واكلهم (آكلهم)، أو شاربهم، أو واصلهم، أو زاوجهم، أو تزوّج إليهم (منهم)، أو آمنهم، أو إئتمنهم على أمانة، أو صدّق حديثهم، أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عزّوجل، وولاية الرسول صلى الله عليه وآله وولايتنا أهل البيت»(١).

وهذا هو المنهج الإلهي الذي تحدّده الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿**إنّما المُشرِكونَ نَجس**﴾ وجاء الحديث النبوي يؤكّد قطع الإرتباط مع المشركين حتّى الإشتراك الجغرافي في السكن إذ قال صلى الله عليه وآله: «**مَن أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمّة**»(٢).

وأهل البيت عليهم السلام هم إمتداد النبوّة وخلفاء الرسول صلى الله عليه وآله والعلماء بالقرآن ولهذا جاء منهجهم منسّقاً ومنسجماً ومفسّراً للقرآن والسنّة النبوية الشريفة.

الرابعة ـ تفريغ القلب من الرحمة وملؤه بالبغض لهم

الرحمة والحبّ في قلوب المؤمنين قائمة على أُسس عقائدية ومبدأية ولا يدخل قلب المؤمن بغض أو حبّ إلّا على مقاييس عقائدية إذ اشترط فيهما أن يكون في الله ولله، وقد جاء عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**إيّاك أن تحبّ أعداء الله أو تصفي ودّك لغير أولياء الله، فإنّ مَن أحبّ قوماً حُشر معهم**»(٣).

الحبّ والرحمة إذا توفّرت في القلب بأي مستوى فإنّها تؤدّي إلى التعامل والمساعدة وغضّ الطرف عن بعض المسائل، وتنتهي إلى الفائدة للطرف الآخر، لأنّه يحتل موقعاً في القلب وجزءاً من العاطفة، ومن خلالها يستطيع أن يبثّ أفكاره، أو يخلط ضلالاته مع الأفكار السليمة للمجتمع

---

(١) عيون الأخبار: ص ٣٢٦.

(٢) كنز العمال: ح ١١٠٢٨.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم.

ويفسد بذلك عليهم عقيدتهم.

ولذلك جاء الأمر بتفريغ القلب من الرحمة والودّ والحُبّ للغلاة وملؤه بغضاً وكرهاً لهم واعتبر محبّهم معادي ومبغض لأهل البيت ﷺ، وقد جاء في هذا السياق عن الإمام الرضا ﷺ أنّه قال: «**فمَن أحبّهم فقد أبغضنا، ومَن أبغضهم فقد أحبّنا، ومَن والاهم فقد عادانا، ومَن عاداهم فقد والانا، ومَن وصلهم فقد قطعنا، ومَن قطعهم فقد وصلنا**»(١).

وهذا جزء من عقيدة أتباع أهل البيت ﷺ، وهو ما يُسمّى بموالات أولياء الله ومعاداة أعداء الله، وهو الولاية والبراءة، وقد تكررت في زيارة أهل البيت ﷺ: «**إنّي وليٌّ لمَن والاكم، وعدوٌّ لمَن عاداكم**».

وجاء عن الإمام الصادق ﷺ قوله: «**لعن الله أبا الخطاب، ولعن الله مَن قتل معه، ولعن الله مَن بقي منهم، ولعن الله مَن دخل قلبه رحمة لهم**»(٢).

وجاء عن الرسول يذكر البدعة والتعامل مع أصحابها فيقول ﷺ: «**ومَن أعرض عن صاحبه بدعة بغضاً له ملأ الله قلبه يقيناً ورضاً**»(٣).

الخامسة ـ الأسماء المنفّرة

الألقاب والأسماء لها أثر على تعريف الشخص وتعكس صورة معينة في الذهن عن المُسمّى، وتساهم في خلق نفسيّة سلبية أو إيجابية منفّرة أو مرغّبة من المُسمّى، هذا في الوضع الطبيعي وطريقة التلقي الأوليّة لها.

أمّا إذا كانت التسميات قائمة على ضوابط شرعية وتعبر عن موقف فإنّها

---

(١) عيون الأخبار: ص ٨١ و٨٢.

(٢) رجال الكشي: ص ٩٠ ـ ٩١.

(٣) تنبيه الخواطر: ص ٣٥٧.

تكون علامات وتسميات لحقائق المحتوى الإنساني، وبالأخص إذا صدرت من شخصيات مقدسة ربانيّة، لها قيمومة على تعيين وتشخيص الموقف من المسائل والشخصيات.

وفي هذا السياق كان أهل البيت عليهم السلام يُسمّون الغلاة بأسماء منفّرة وهي تمثّل أحكامهم عليهم ورأي الإسلام بهم، وهذه الأسماء تمثّل حالة الإنحراف والموقف المقابل للإيمان في نفوس المسلمين ووعيهم، وتستلزم موقف يختلف منه مع المؤمنين.

ولذلك جاءت تسمياتهم كالتالي:

١ ـ السفلة

وهذا الاسم أطلقه الإمام الصادق عليه السلام على الغلاة ورواه ابن أبي يعفور قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فاستأذن عليه رجل حسن الهيئة، فقال عليه السلام: «اتق السفلة»، فلمّا تقارّت بي الأرض حتّى خرجت، فسألت عنه فوجدته غالياً.

٢ ـ الكفار والفساق والمشركون

وقد تقدّمت الأدلّة على كفرهم وفسقهم وشركهم وهذه أسماء لها موضوعية والغلاة مصداق لها، لأنّ قولهم بالإتحاد يؤدّي إلى الكفر، وإباحة المنكرات يؤدّي إلى الفسق والتفويض الذي يكون بأحد معانيه الشرك فهذه التسميات تحقق العزلة التي هي من أهداف الطريقة الأُولى.

وقد أُطلق عليهم هذا الاسم الإمام الصادق عليه السلام إذ قال لمرازم: «إنّ اليهود

قالوا ما قالوا ووحّدوا الله، وإنّ النصارى قالوا ما قالوا ووحّدوا الله، وإنّ بشاراً قال قولاً عظيماً، فإذا قدمت الكوفة (فإته وقل له) يقول لك جعفر: ياكافر، يا فاسق يا مشرك أنا بريء منك»[١].

٣ ـ الممطورة

تشبيهاً لهم بالكلاب التي أصابها المطر ومشت بين الناس فيتنجس بها كل من قربت منه.

والكلاب من الحيوانات ذات النجاسة الذاتية فهي غير قابلة للتطهير، والمؤمنون بصورة عامّة يتنفّرون منها لنجاستها، وتزداد هذه الحالة إذاكانت مصابة بماء المطر، لأنّ ذلك يؤدّي إلى إنتقال النجاسة حتى على مسافة إذا نكتت (نفضت) نفسها، وهذه التسمية وضعها الشيعة للواقفة وهي تعبر عن حالة نفرة وإنزجار منهم، وقد ذكر الأشعري في كتاب المقالات والفرق هذا اللقلب بقوله: «غلب عليها هذا اللقب وشاع في الناس وكان سبب ذلك أنّ عليّ بن إسماعيل الميثمي ويونس بن عبد الرحمن ناظرا بعضهم، فقال له عليّ بن إسماعيل وقد وقع بينهم: ما أنتم من الشيعة وإنّما أنتم كلاب ممطورة، أراد أنّكم أنتنّ من جيف؛ لأنّ الكلاب إذا أصابها المطر فهي أنتنّ من الجيف فلزمهم هذا اللقب وفيه يعرفون اليوم»[٢].

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي: ج ٢٥، ص ٣٠٤.

(٢) المقالات والفرق، الأشعري: ص ٩٢ ـ ٩٣.

الطريقة الثانية ـ الطريقة البنائية

لما كانت الطريقة الأُولى تبغي حصر الغلو في الدائرة الملوثة للغلاة وجعلها ضمن تلك الحدود، والأفراد المصابين بذلك المرض الفكري والعقائدي والسلوكي.

تأتي الطريقة الثانية لتركيز العمل العقائدي والفكري والإهتمام الجدي في بناء الأُمّة وأفرادها عقائديّاً لخلق مناعة فكرية قادرة على تمكين الفرد على وعي وتحليل أفكار الغلاة بالمستوى الذي هو عليه، والمقاومة والمناعة عن التأثّر بهم.

فتخلق هذه الطريقة قدرة مقاومة ومناعة من الأفكار الضالة، وقدرة فكرية على خوض صراع فكري وحوار علمي وقدرة على الرد عليهم.

فهذه الطريقة تعتمد على منهج عقائدي، لبناء المحتوى الداخلي للمؤمن وتربية الفكر والعاطفة، وفرز ما هو غريب وبعيد عن الأصالة في الفكر الديني والعقيدة الإسلامية.

ولقد اعتمد هذه الطريقة جميع الأئمة عليهم السلام وكانت موضع إهتمامهم في التصدّي للإغرافات التي تهاجم استقامة الأُمّة.

فعند ظهور الدهريّة بادر الأئمة لتربية مجموعة قادرة على خوض الصراع الفكري من جانب، ونشر الفكر العقائدي من جانب آخر، وعند التعرّض لمبدأ الإمامة كانت هذه الطريقة المتقدمة في إثبات الحق وهكذا في كثير من المواقف.

فأهل البيت عليهم السلام عند إحساسهم بوجود يحاول التعرّض للأُصول

الإســلامية، يـبادرون إلى تـوعية الجـماهير وبثّ أنـصارهم وطـلابهم مـن أصحاب الفكر والعلم.

وهذا لا يعني أنّهم قبل ذلك ساكتون، وإنّما يعني التـعبئة العـامّة مـقابل الإنحراف أو الخطر الآتي.

فمسألة البناء الداخلي لأفراد الأُمّة من الطرق الرئيسية، وهو سريع التحقق خالي من الإثارة والسياسة، ولا يزاحم أحد ولا ينافس على سلطان.

وتعتبر هذه الطريقة أحد الوسائل التي تمنح الفرصة لإمتلاك قدرة فـرز وتمييز بين الأفكار الأصيلة والأفكـار الدخـيلة، والأفكـار النـقيّة والأفكـار الإلتقاطية، التي جلبها المتأثّرون بها والمنتفعون منها.

فتكون أهداف هذه الطريقة كالآتي:

أهداف الطريقة البنائية

الهدف الأوّل ـ البناء العقائدي: ويعتمد على التركيز في بيان المـبادئ التـي يقوم عليها الإسلام بالشكل التفصيلي وتوسيع ونشر المعارف الاعتقادية بين أفراد الأُمّة.

الهدف الثاني ـ الحس الفكري الأصيل: وهـذا يكـون نـتيجة طـبيعية لتـحقق الهدف الأوّل، لأنَّ الوعي العقائدي يخلق قدرة ذهنية وفكـرية قـادرة عـلى تمييز الغريب من الفكر العـقائدي وإدراك الأخـطاء فـي الأفكـار الأُخـرى، ومعرفة المشتركات وحدودها والمفترقات من الآراء وحـدودها، الأهـداف المـذكورة تـتحقق وفـق مـنهج يـعتمد عـلى فـقرات عـديدة لنـتعرّض لهـا بالتفصيل.

فقرات الطريقة البنائية

الأُولى ـ نشر وتوضيح مبدأ التوحيد

التوحيد أساس الإسلام، وأوّل مسائله المعرفة الصحيحة بالله سبحانه وتعالى وصفاته وأسمائه، ومعرفة الشؤون الإلهيّة التي لا نصيب للإنسان منها وهي خارجة عن قدرتهم وإرادتهم وشؤونهم.

والمسألة الأساسية التي انحرف الغلاة بها وخرجوا من الإسلام والإيمان إلى الكفر والشرك هي القول بما يخالف العقيدة في التوحيد ونسبة الأُلوهية والمختصات لمقام المولى إلى العباد، إذ أنّهم لم يستوعبوا معنى التوحيد ولم يعرفوا الله تعالى كما عرّف نفسه، واعتمدوا على المغالطات والشبهة التي يثيرها السذج.

فإذا إتّضح المعنى الحقيقي للتوحيد وأصبح أحد البديهيات التي لا شك فيها والأساس الذي يقاس عليه الأفكار فإنّ أمر الغلاة سينتهي، كما انتهى فعلاً ولم يبق منه إلاّ اسمهم تتبعه اللعنة.

وقد اهتمّ أهل البيت عليهم السلام على طول تاريخهم بالإهتمام بنشر التوحيد ـ الذي دخل صراعاً مع المشبهة أوّلاً من المخالفين ثمّ الغلاة ثانياً ـ بأدق معانيه وأجملها، فكانت البداية في كلام الإمام عليّ عليه السلام الذي وضع الأُسس الفلسفية الدقيقة التي أصبحت وستبقىٰ إلى الأبد المصدر في المعرفة الدقيقة والمفصلة في التوحيد.

وكان دعاء الإمام الحسين عليه السلام المُسمّى بدعاء عرفة من أفضل ما قيل بالتوحيد وكذلك ولده السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية والإمام الباقر

والصادق عليهما السلام وقد أملى الإمام الصادق عليه السلام على المفضل بن عمر كتاب كامل في التوحيد يُسمّى بـ«توحيد المفضّل» وهكذا بقيّة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

وقد أدرك أصحاب الأئمة أنّ أصل مسألة الغلو كانت نتيجة لعدم الاستيعاب الكامل للتوحيد ولذلك كانوا يسألون الأئمة عن صفات الله سبحانه و تعالى.

فقد سأل رجل ـ يعيش في أجواء ملوثة بأفكار الغلو ـ من الإمام الرضا عليه السلام إذ قال: يا بن رسول الله صف لنا ربّك، فإنّ من قبلنا قد اختلفوا علينا، فقال الرضا عليه السلام: «**إنّه مَن يصف ربّه بالقياس فإنّه لا يزال الدهر في الإلتباس، مائلاً عن المنهاج، طاعناً في الإعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل**».

ثمّ قال: «**أعرفه بما عرّف به نفسه أعرفه من غير رؤية، وأصفه بما وصف به نفسه، أصفه من غير صورة، لا يدرك بالحواسّ ولا يقاس بالناس، معروف بالآيات، بعيد بغير تشبيه** ـ هم المخالفين لأهل البيت عليهم السلام منذ عهد عليّ عليه السلام ـ **ومتدان في بعده بلا نظير، ولا يتوهم ديمومته، ولا يمثّل بخليقته، ولا يجور في قضيّته.**

الخلق إلى ما علم منهم منقادون، وعلى ما سطّر في المكنون من كتابه ماضون، ولا يعلمون بخلاف ما علم منهم، ولا غيره يريدون، فهو قريب غير ملتزق، وبعيد غير متقص، يحقق ولا يمثّل، ويوحّد ولا يبعّض، يُعرف بالآيات، ويثبت بالعلامات ولا إله غيره الكبير المتعال»(١).

وفي دعاء الإمام الرضا عليه السلام قال: «**اللّهمّ لك الخلق ولك الرزق، اللّهمّ أنت خالقنا وخالق آبائنا الأوّلين، وآبائنا الآخرين، اللّهمّ لا تليق الربوبية إلاّ بك ولا تصلح الإلهيّة إلاّ لك**»(٢).

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، للبحراني: ج ٤، ص ٣٥٨ ـ ٣٥٩.

الثانية ـ إظهار العبودية والفقر إلى الله

أهل البيت عليهم السلام أكثر الناس طاعة وعبادة لله تعالى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد شهد لهم بذلك الله سبحانه وتعالى كما في سورة الإنسان وكذلك آية الزكاة حين الرجوع وجعلهم أجر الرسالة وباهل بهم النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّهم أطهر مجموعة ثمّ جمعت كلّ هذه الفضائل بقوله تعالى: ﴿**أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسولَ وأُولي الأمرِ مِنكُم**﴾ التي ربط بها طاعتهم بطاعته سبحانه، ثمّ قول الرسول صلى الله عليه وآله الذي مثّلهم بسفينة نوح عليه السلام: «**من ركبها نجا ومن تخلّف عنا غرق وهلك**»، وكل هذه تعبّر عن صياغة شخصياتهم وفق الإرادة الإلهية وأنّهم أوقفوا كل نشاط في حياتهم على ما يوافق إرادة الله سبحانه وقد علم سبحانه ذلك منهم وعلم بعدم مخالفتهم لإرادته فجاء الربط بين طاعتهم ومودتهم المطلقة غير المقيدة بزمان أو مكان.

وقد شهد المسلمون لأهل البيت عليهم السلام بكثرة الطاعة والعبادة، وقد ذكرت تراجم حياتهم فصول خاصّة عن عبادتهم، وبهذا قد ضربوا المثل الأعلى في الطاعة والعبودية للمولى تعالى، فلمّا كانوا هكذا، كانت حياتهم وخصوصياتهم وعبوديتهم وإخلاصها أحد وسائل إبطال ادّعاء الغلاة وتشكل فقرة من منهج المواجهة مع الغلو.

وقد جعل الإمام الصادق عليه السلام العبودية أحد البيانات لإبطال الغلو فوجّه بياناً عقائدياً الى كل من يسمع كلامه بالمباشرة أو الواسطة، يعلن العبودية لإبطال الغلو.

فقال عليه السلام: «**وليبلّغ الشاهد الغائب أنّي عبدالله بن قنّ ابن أمة، ضمتني الأصلاب والأرحام، وأنّي لميّت، وأنّي لمبعوث ثمّ موقوف ثمّ مسؤول، والله لأُسألنَّ عمّا قال فيَّ هذا**

الكذّاب وادّعاه عليّ»[١].

وله موقف آخر من مجموعة منحرفة أخبره أحد أصحابه به عنهم وعن مقالتهم التي كانت التلبية «للإمام الصادق عليه السلام» وهي من المسائل التي آلمت الإمام عليه السلام كثيراً عندما سمع بفعلتهم.

عن مصادف قال: لمّا لبّى القوم الذين لبّوا بالكوفة[٢] دخلت على أبي عبدالله عليه السلام، فأخبرته بذلك فخرّ ساجداً وآلزق جؤجؤه بالأرض وبكى وأقبل يلوذ بإصبعه ويقول: «**بل عبدالله، قنّ داخر**، مراراً كثيرة، ثمّ رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته»[٣]، وعندما سمع الإمام الرضا عليه السلام قول الذين يغالون بالإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إرتعدت فرائصه وتصبب عرقاً، وقال: «**سبحان الله، سبحان الله عمّا يقول الظالمون والكافرون علواً كبيراً، أوَ ليس كان عليّ عليه السلام آكلاً في الآكلين، وشارباً في الشاربين، وناكحاً في الناكحين، ومحدثاً من المحدثين؟ وكان مع ذلك مصلّياً خاضعاً بين يديّ الله ذليلاً، وإليه أوّاهاً منيباً، أفمن كان هذه صفته يكون إلهاً؟ فإن كان هذا إلهاً فليس منكم أحد إلّا وهو إله لمشاركته له في هذه الصفات الدالات على حدث كل موصوف بها»**[٤].

أئمة أهل البيت عليهم السلام لا يمتلكون القدرة على سماع ضلالات الغلاة ولذلك يعيشون حالات تكاد قلوبهم أنّ يتفطّرن من شدّة ما سمعوا من قول الكفر ولم تتحملهم أرجلهم ولذلك يلجؤون إلى الله بالعبادة والسجود والتضرع ويبرأون ممّا قيل فيهم.

ولقد وصف الله تعالى عظمة افتراء قول الغلاة: ﴿**وقالوا اتّخَذَ الرحمن وَلَداً**﴾

---

(١) رجال الكشي: ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٢) لمّا لبّى. أي قالوا: لبيّك جعفر بن محمّد لبّيك، كما يلبّون لله.

(٣) رجال الكشي: ص ١٩٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٧٥.

لَقَدْ جِئتُم شيئاً إدّاً * تَكادُ السماواتُ يتفطّرنَ منه وتَنْشَقُّ الأرضُ وتَخرُّ الجِبالُ هدّاً * أنْ دَعوا للرحمنِ وَلَداً﴾[١]، فإذا كان موقف السماوات والأرض بهذا المستوى من التأثّر فكيف حال آل بيت النبوّة وحملة الرسالة ومعدن العلم وحبل الله المتين؟

الثالثة ـ بيان مقام أهل البيت عليهم السلام

لم يكن مقامهم خافياً عن أحد، ولا ينكر فضائلهم إلاّ من أعرض عن قول الله فيهم في آية التطهير: **﴿انّما يُريدُ الله لِيُذهِبَ عنكُمُ الرجسَ أهلَ البيتِ ويُطهركُم تَطهيراً﴾**[٢].

وسورة الإنسان في قول الله تعالى: **﴿ويُطعِمونَ الطعامَ على حُبِّهِ مِسكيناً ويَتيماً وأسيراً*... فَوَقاهُمُ اللهُ شَرَّ ذلِكَ اليَومِ ولقّاهُم نَظرَةً وسُروراً * وجَزاهُم بِما صَبَروا جَنّةً وحَريراً...﴾**[٣]، والآيات التي تلت هذا القول كلّها تصف النعيم الذي أعدّ لهم وقد ختمها تعالى بقوله: **﴿إنَّ هذا كانَ لَكُم جَزاءاً وكانَ سَعْيُكُم مَشكوراً﴾**[٤].

وآية المودّة: **﴿فقُلْ لا أسألكُم عليهِ أجراً إلاّ المَوَدَّةِ في القُربى﴾**.

وآية المباهلة: **﴿فَقُلْ تَعالوا نَدْعُ أبنائنا وأبناءكم ونسائنا ونساءكم وأنفُسَنا وأنفُسَكُم ثُمَّ نَبتَهِل فَنَجعَلْ لَعنَتَ اللهِ على الكاذِبينَ﴾**[٥].

وجاءت أحاديث الأئمة من أهل البيت عليهم السلام تؤكّد هذا المقام مع حفظ مقام العبودية لهم.

---

(١) مريم: ٨٨ ـ ٩١.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) الإنسان: ٨ ـ ١٢.

(٤) الإنسان: ٢٢.

(٥) آل عمران: ٦١.

فقد جاء في الخصال أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إيّاكم والغلو فينا، قولوا: إنّا عبيد مربوبون، وقولوا: من فضلنا ما شئتم**»(١).

وقال عليه السلام: «**لا تتجاوزوا بنا العبودية، ثمّ قولوا ما شئتم ولن تبلغوا وإيّاكم والغلو كغلو النصارى فإنّي بريء من الغالين**»(٢).

وجاء عن ابن عباس في كثرة فضائل الإمام عليّ عليه السلام، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**لو أنّ الغياض أقلام، والبحر مداد، والجنّ حُسّاب، والإنس كُتّاب، ما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب**»(٣).

وروى الخوارزمي مسنداً عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام مسنداً عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إنّ الله تعالى جعل لأخي عليّ بن أبي طالب فضائل لا يحصي عددها غيره فمن ذكر فضيلةً، مقرّاً بها، غفر الله ما تقدّم له من ذنبه وما تأخّر، ومن كتب فضيلة من فضائل عليّ بن أبي طالب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة رَسم**»(٤).

وجميع هذه الفضائل جاءت نتيجة لإخلاص العبودية وهكذا فضائل جميع الأنبياء ونبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله كذلك ولهذا كان يقول: «**لا تعرّفوني فوق حقّي، فإنّ الله تبارك وتعالى اتّخذني عبداً قبل أن يتّخذني نبيّاً**»(٥).

تأسيساً على ما تقدّم إنّ أهل البيت عليهم السلام:

أوّلاً ـ عباد مكرمون: وقد قال ذلك الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام: «**يا هؤلاء، إنّ عليّاً وولده عباد مكرمون مخلوقون مدبرون لا يقدرون إلّا على ما أقدرهم عليه**

---

(١) الخصال: ج ٢، ص ١٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٣٧٤.

(٣) مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، للخوارزمي: ص ٢، وفرائد السمطين، للحموي، المقدمة: ج ١، ص ١٦.

(٤) مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، الخوارزمي: ص ٣، وأمالي الصدوق: ج ٩، ص ١١٩، المجلس: ٢٨.

(٥) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٧٢.

الله ربّ العالمين»[١].

ثانياً ـ محدّثون عن جدّهم صلى الله عليه وآله: كان أحد مصادر علمهم عليهم السلام الطريق الطبيعي لنقل العلم وهو التلقي وقد نشأوا عليهم السلام في بيت النبوّة وأورث لهم الرسول صلى الله عليه وآله من العلم ما يغنيهم عن الناس ولا غنى للناس عنهم.

وقد جاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال لجابر: **«يا جابر إنّا لو كنّا نحدثكم برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين، ولكنّا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله** صلى الله عليه وآله **كما يكنز هؤلاء ذهبهم وورقهم»**[٢]، وجاء عن الصادق عليه السلام حديث بيّن فيه سند أحاديثه فيقول: **«حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدّي وحديث جدّي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله** صلى الله عليه وآله **وحديث رسول الله قول الله عزّوجل»**[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٧٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٦، ص ٢٨.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٥٣.

إنّ الإمام الصادق عليه السلام أراد بحديثه هذا إسناد أحاديثه وأحاديث آبائه وولده المعصومين عليهم السلام إلى الحضرة القدسيّة محمّد صلى الله عليه وآله وهو أوثق وأصح الأسانيد وأصح من الصحاح لأنّهاولأنّهم يرتبطون بالصادق الأمين، الأمين على وحي ربّ العالمين.

وأمّا المخالفين لهم فيعتمدون على صحاحهم الستة ويفتخرون بها ويعتبرونها صحيحة السند فأراد الإمام عليه السلام ردّهم، وقطع السبيل على أعدائهم النواصب أولاً ثمّ التعرّض للغلاة باعتبارهم جهلة وأكثرهم كذلك ومنهم المستفهم للحقيقة كرواية سدير والمعلى بن خنيس وهؤلاء ليسوا بغلاة إلّا أن الآخرين اتهموا الأخير بالإرتفاع والغلو وقد تكون الفكرة في زمن غالية وفي عصر آخر من ضرورات الدين فيُسمّى حامل تلك الفكرة غالي ونُسمّيه اليوم موالي ومخلص و...

وأقول ما قلته في حق الطغاة السلاطين من الأُمويين والعباسيين وغيرهم كيف أحاطوا ووجّهوا هذه الفكرة لمصالحهم السياسية وكذلك اليوم نراها عند حكّام المسلمين والأحزاب والأفراد الإنتفاعيين من الإسلاميين لإسقاط فئة مؤمنة تبجّحاًواختفاء وراء هذه الأفكار.

ثالثاً ـ ملهمون محدّثون

وهذا الأمر لم يكن من المسائل الغريبة عن روح الإسلام، أو المسائل التي انفرد بها الشيعة، وإنّما ذكرها البخاري ومسلم في صحيحهما في باب فضائل عمر.

فجاء في البخاري عن أبي هريرة قال: قال النبيّ ﷺ: لقد كان فيما قبلكم في بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أُمّتي فيهم أحد فعمر، ونفس المضمون جاء في صحيح مسلم، وهذا الذي ذكرناه لطرد الإستغراب الذي يقوله البعض، وإلاّ أهل البيت عليهم السلام لا يقاس بهم أحد.

أهل البيت عليهم السلام الذين وصفهم الله بالطهارة والذين أوجب مودّتهم وطاعتهم ووصف النعيم الذي أُعد لهم من أكثر الناس استعداداً على إنزال الفيض الإلهي، وإذا أراد الله أن ينزل شيئاً من الكرامة والمعرفة فعلى الأوعية الطاهرة المستعدة، وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله سدير بقوله: ما أنتم جعلت فداك؟ قال: «**خزان علم الله، وتراجمة وحي الله، ونحن قوم معصومون، أمر الله بطاعتنا، ونهى عن معصيتنا، نحن الحجّة البالغة على من دون**»، وجاء عن الإمام الرضا عليه السلام في كيفية تلقّي العلم: «**يبسط لنا العلم فنعلم ويقبض عنّا فلا نعلم**»[1]، وهذا غير علم الغيب الذاتي، وهو أن يعلم الشخص من غير واسطة، وقد قال بإمكان الفيض ووقوعه الآلوسي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿**قُلْ لا يَعلَم مَنْ في السماواتِ والأرضِ الغيبَ إلاّ الله**﴾[2] لعلّ الحق أن يقال إنّ علم الغيب المنفي

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ١٢.

(٢) النمل: ٦٥.

من غيره جلّ وعلا هو ما كان للشخص بذاته، أي بلا واسطة في ثبوته له.

وما وقع للخواص ليس من هذا العلم المنفي في شيء وإنّما هو من الواجب عزّوجل إفاضته منه عليهم بوجه من الوجوه، فلا يقال إنّهم علموا الغيب بذلك المعنى فإنّه كفر بل يقال: «إنّهم أظهروا واطلعوا على الغيب»[١].

الطريقة الثالثة ـ المواجهة الفكرية

غلب على الطريقة الأُولى والثانية الصفة الإحترازية والدفاعية واعتمدنا هذا السبيل لصيانة المجتمع من التأثّر، والفكر الإسلامي من التحريف والتشويش.

وهذه الطريقة تتميز عن سابقتها بالصفة الهجومية والمواجهة الفكرية وهي تتعرض لأفكارهم ومتبنياتهم التي قامت عليها أقوالهم المنحرفة وتضربها من القواعد وهدم وإبطال لأفكارهم وإسقاط ما بأيديهم من ضلالات وآراء فاسدة، وبيان مبانيها الفكرية الباطلة وبهذا يكونوا بين خيارين وهما جزء من أهداف هذه الطريقة.

أهداف المواجهة الفكرية

الهدف الأوّل ـ إيقافهم على خطأهم: بيان الأُسس النظرية التي تقوم عليها آراءهم وبطلانها وإلجاءهم على الإعتراف بخطأهم والردع من ضلالاتهم إلى

---

(١) روح المعاني: ج ٢٠، ص ٩.

الهدى الذي عليه النظرية الإسلامية وعقائدها الحقّة.

وهـو الهـدف الذى يـريده المـصلحون فـي دعـوتهم الإصـلاحية مـن نشاطاتهم التبليغية، وهذا الهدف الخيار الأوّل للغلاة في هذه الطريقة.

الهدف الثاني ـ تحمّل مسؤولية البقاء على الضلال: وهي مسؤولية تؤدّي بها إلى الأحكام الإسلامية التي ذُكرت، مثل الكـفر والشـرك والتـعامل مـعهم عـلى أساسها، وهذا الخـيار الثـاني، ومـن لوازم هـذا المـوقف تـحرّك الرأي العـام الإسلامي ضدّهم وهو بدوره عمليّة ضغط على السلطات الرسميّة لا يـمكنها حينئذ من دون عقاب، وهذا ما حدث في التاريخ فعلاً.

الهدف الثالث ـ الدعم للجبهة المواجهة للغلو: أي ضرر يصيب الغلاة يسـاهم في تقوية الجبهة المواجهة، وكسر شوكة الغلاة وتنفيذ آراءهم، وإسـقاط مـا بأيديهم من ضلالات، وإبطال حججهم وأدلّتهم، ينتهي ويساهم فـي تـلقين الدليل والحجّة للمؤمنين، وتجريد الغلاة من الدليل والبـرهان، وبـهذا تـفتح باب المواجهة بتفوق فكري ملموس.

فقرات المواجهة الفكرية

يظهر من بعض الروايات أنّ قسماً من الغلاة يعتمد على بعض النظريات التي كانت سائدة في بعض المجتمعات القديمة كالرومان والصـين والهـنود والفرس والمصريين وكثير مـن آراء هـؤلاء كـانت قـائمة عـلى التـفويض والتناسخ والحلول.

وكـان مـتفلسفة الغـلاة يـعتمدون عـلى هـذه الآراء بـاعتبارها الأُسس

العلميّة التي يقوم عليها الغلو، وبها يبررون ويثبتون عقائدهم، وكان للأُمّة الموقف العلمي من هذه الآراء والمواجهة الجديّة لنسف ضلالاتهم من القواعد.

الأُولى ـ إبطال الغلو القائم على التفويض

ينتهي القول بالتفويض إلى الشرك لأنّه ينقل المسائل المختصة بالمولى عزّوجل إلى عباده، ثمّ يجرده من مسائل التصرف في الكون، فينسب إلى المولى ربّ الأرباب إحداث العالم أوّلاً ثمّ يكون الخلق والرزق والإماتة والإحياء إلى أحد عباده الذين فوّض لهم التصرف، وبهذا يكون لهم فعل مستقل بعد التفويض، ويمتنع المولى عن إدارة المخلوقات.

وهذا الأمر استنكره الأئمة بشدّة، فعندما قال زرارة للإمام الصادق عليه السلام: إنّ رجلاً يقول بالتفويض، فقال: «**وماالتفويض**»[١]؟ قلت: إنّ الله تبارك وتعالى خلق محمّداً وعليّاً صلوات الله عليهما ففوض إليهما خلقاً ورزقاً وأماتا وأحييا، فقال عليه السلام: «**كذب عدوّ الله**».

إذا انصرفت إليه فاتل عليه هذه الآية التي في سورة الرعد: ﴿**...أمْ جَعَلوا للهِ شُرَكاء خَلَقوا كَخلْقِهِ فَتَشابَهَ الخَلْقُ عليهم قُلِ الله خالِقُ كُلُّ شيء وهوَ الواحِدُ القهّار**﴾[٢].

---

(١) سؤال الإمام الصادق عليه السلام عن أنواع التفويض لأنّ للتفويض أقسام منها ما هو جائز وآخر ممنوع والجائز مثل تفويض الله لعيسى عليه السلام إحياء الموتى وخلق من الطين كهيئة الطير ثمّ يصبح طيراً وكذلك إبراهيم عليه السلام في تقطيعه للطيور ودعاهم إليه فأحياهنّ الله. ونبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله في التشريع ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ كل هذا تفويض مسموح وذكره القرآن الكريم.

(٢) الرعد : ١٦.

فانصرفت إلى الرجل فأخبرته فكأنّي ألقمته حجراً، أو قال: فكأنّما خرس(١).

الثانية ـ إبطال الغلو القائم على التناسخ

لقد شخّص الإمام الصادق عليه السلام دوافع القول بالتناسخ وما يؤدّي إليه من سلوك مخالف لمنهاج الدين وعقائده ولهذا قال عليه السلام: «**إنَّ أصحاب التناسخ قد خلّفوا وراءهم منهاج الدين، وزيّنوا لأنفسهم الضلالات، وأخرجوا أنفسهم في الشهوات، وزعموا أنّ السماء خاوية، ما فيها شيء ممّا يوصف**»(٢). لكنّه مع هذا قصد أصل الفكرة بالنقد وإبطالها بأوضح وأبسط الأدلّة وأقصرها فعندما سُئل عليه السلام عن التناسخ قال عليه السلام: «**فمَن نسخ الأوّل**»(٣)؟

الثالثة ـ بيان توهّم

بدأ الغلو بالأئمة عليهم السلام ابتداءاً من زمان الإمام عليّ عليه السلام وقد حذّر الرسول صلى الله عليه وآله منه قبل حدوثه، وأخبر بضلالة أُولئك الذين غالوا بالإمام عليّ عليه السلام وشبههم بالنصارى وقال إنّ النار مصيرهم.

وقد بيّن الإمام الرضا عليه السلام أُصولها وأُسسها وبواعثها التي انطلقت منها، وحدّد الإمام عليه السلام جذور الإلتباس التي أوجدت ذلك التوهّم في أذهانهم وجرّتهم إلى مقالة الغلو، وذكرها الإمام الرضا عليه السلام بتصوير للواقع وتمثيل

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(٢) الإحتجاج: ج ٢، ص ٢٣٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤، ص ٣٢١، وج ٢٥، ص ٣٢٥.

للحال، فكان تركيزه على:

أوّلاً ـ الجهل وهو أصل الغلو: غالباً ما يكون الجهل باعثاً على الإنحراف، وهو النافذة التي تستغلها الضلالات والإنحرافات للنفوذ إلى العقل وتحريف وتشويه الفكر والعقيدة.

والغلاة في درجة من ضعف العقل والجهل حتّى بأنفسهم، ولهذا يقول الإمام الرضا عليه السلام: **«إنّ هؤلاء الضلال الكفرة ما أُتوا إلاّ من قبل جهلهم بمقدار أنفسهم».**

ثانياً ـ معرفة الله: تمثّل معرفة الله أوّل الدين وأساسه وتتلخّص في التوحيد بكافة أشكاله التي ذكرتها كتب العقائد والإلهيّات في كتب التوحيد وهي عبارة عن:

١ ـ التوحيد في الذات.

٢ ـ التوحيد في الصفات.

٣ ـ التوحيد في الخالقيّة.

٤ ـ التوحيد في الربوبيّة.

٥ ـ التوحيد في العبوديّة.

والغلاة كان جهلهم بالله تعالى وصفاته المطلقة وعدم تمييزهم بين القدرات الإنسانية المحدودة والمكتسبة والقدرات المطلقة الذاتية التي تختص بالذات الإلهيّة المقدسة، ولهذا قال الإمام الرضا عليه السلام: **«إذ لم يعلموا أنّه القادر بنفسه الغني بذاته التي ليست قدرته مستعارة ولا غناه مستفاداً، والذي من شاء أفقره، ومن شاء أغناه، ومن شاء أعجزه بعد القدرة، وأفقره بعد الغنى».**

والإمام عليّ عليه السلام عبّر عن فقره المطلق بقوله في دعاء «كميل» الذي علّمه عليه السلام لكميل بن زياد ونسب إليه: «**اغفر لمَن لا يملِك إلاّ الدعاء**» وبعدها يقول عليه السلام: «**إرحم مَن رأس ماله الرجاء**»، فكل ما عنده هو الدعاء وتجارته قائمة على رأس مال الرجاء والأمل والتعلّق باللطف الإلهي.

ثالثاً ـ الإنبهار بالكرامة: المولى يمنّ على عبده بكرامات وإمتيازات كثيرة وكبيرة بعد معرفة إخلاصه وبعد إثبات وفائه وصدق عبوديته وطاعته إلى مولاه وبعد تشخصه من بين عبيده بتلك الصفات والعطاء يرتبط بالمولى واستعداد العبد ولذلك يمكن أن يتعدى العطاء الهدايا والخلع ليصل إلى منح صلاحيات في التصرف في المملكة تحت رعاية وإشراف وإذن المولى.

لكن تبقى مسألة المولى وفضله وهيمنته وقدرته على سلب ما أعطاه في أي لحظة شاء، وأنّ ما يتمتع به العبد قائم بالملك وهو جزء من عظمة ملكه ولا يمثّل كل الملك، ولهذا مهما أعطى فهو لا يعطي للعبد إلاّ ما يتناسب مع عبوديته وما يبقيه فيه العبودية والغنى المطلق الذي يتمتع به المولى، وما العطاء الذي يراه الناس على عبده إلاّ جزء يسير من ملكه، والغلاة لم يميزوا بين الكرامة والعطاء المولوي وبين قدرة المولى غير المحدودة.

ولهذا صوّرها الإمام الرضا عليه السلام إذ قال:

«فنظروا إلى عبد قد اختصّه الله بقدرته ليبيّن بها فضله عنده،وآثره بكرامته ليوجب بها حجّته على خلقه، وليجعل ما آتاه من ذلك ثواباً على طاعته، وباعثاً على اتّباع أمره، ومؤمناً عباده المكلّفين من غلط من نصبه عليهم حجّة ولهم قدوة، وكانوا كطلاّب ملك من ملوك الدنيا ينتجعون فضله، ويأملون نائلته، ويرجون التفيّؤ بظله والإنتعاش بمعروفه... فبينا هم يسألون عن طريق الملك ليترصّدوه، وقد وجّهوا الرغبة نحوه وتعلّقت قلوبهم برؤيته إذ

قيل: سيطلع عليكم في جيوشه ومواكبه وخيله ورجله، فإذا رأيتموه فأعطوه من التعظيم حقّه، ومن الإقرار بملكه واجبه، وإيّاكم أن تُسمّوا باسمه غيره، وتعظموا سواه كتعظيمه، فتكونوا قد بخستم الملك حقّه، وأرزيتم عليه واستحققتم بذلك منه عظيم عقوبته، فقالوا: نحن كذلك فاعلون جهدنا وطاقتنا، فما لبثوا أن اطلع عليهم بعض عبيد الملك في خيل قد ضمّها إليه سيّده ورجل قد جعلهم في جملته، وأموال قد حباه بها فنظر هؤلاء وهم للملك طالبون، واستكبروا (استكثروا) ما رأوه بهذا العبد من نعم سيّده ورفعوه عن أن يكون من هو المنعم عليه بما وجدوا عليه عبداً، فأقبلوا يحيونه تحيّة الملك، ويُسمّونه باسمه، ويجحدون أن يكون فوقه ملك توله مالك»[1].

رابعاً ـ إفتراض عقلي: إنّ الله أمر الناس بطاعته وعبادته وتوحيده في ذلك ونهى عن الشرك على جميع مستوياته من الرياء إلى اتّخاد إله مع الله سبحانه وتعالى وهذا أمر واضح وهو من بديهيات الإسلام، وكل أمر يتعارض معه لا يُعتنى ويُلتزم به فلو دعا الأئمة الناس أو الغلاة باعتبارهم المعنيين بالكلام إلى مقالتهم التي هم عليها فيلزمهم بالإسلام والتوحيد ردّ مقالة عبادة البشر وترك عبادة الله، ويلزمهم بالإعتقاد ببشريتهم وعبوديتهم وردّ تأليههم.

والطاعة لغير الله مشروطة بعدم معارضتها لطاعة الله تعالى أمّا إذا كانت تتعارض مع الطاعة لله «**فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»، ولهذا قال الإمام الصادق عليه السلام: «**والله لو ابتلونا وأمرناهم بذلك لكان الواجب أن لا يقبلوه فكيف وهم يروني خائفاً وجلاً أستعدي الله عليهم، وأتبرء إلى الله منهم، أشهدكم أنّي امرؤ ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله، وما معي براءة من الله، إن أطعته رحمني، وإن عصيته عذّبني عذاباً شديداً أو أشدّ**

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٧٦، ٢٧٧.

عذابه»[١]، فالذين يدعون الموالات أو الوكالة عن الأئمة بدعوتهم الضالة كلامهم باطل، حتّى على فرض أنّهم في دعوتهم صادقين وأنّ الأئمة هم الذين أمروهم بذلك لأنّ بعد هذا الحدّ ممّا لا يطاع به بشر مهماكان مقامه وقد قال الله تعالى لعيسى عليه السلام عندما غلى به البعض: **﴿وإذْ قالَ الله يا عيسى بن مَرْيَمَ ءأنتَ قُلْتَ للنّاسِ اتّخذوني وأُمّي إلهينِ مِنْ دونِ الله قالَ سُبحانَكَ ما يَكون لي أنْ أقولُ ما لَيسَ لي بحقّ إنْ كُنت قُلتهُ فَقَدْ عَلِمته تَعْلَمُ ما في نفسي ولا أعلَمُ ما في نَفسِكَ إنَّك أنتَ علاّمُ الغُيوبِ﴾**[٢].

فدعوتهم الوكالة عن الأئمة لا تكون دليل وحجّة وكلامهم على فرض صدقهم باطل وبهذا ينهي الإمام كل حججهم وادّعاءاتهم الباطلة التي تمسّكوا بها وحاولوا إغواء الناس وجرّهم عن الهدى إلى الضلال.

الطريقة الرابعة ـ طريقة المواجهة الحادّة

وهذه الطريقة يبدأ العمل بها بعد استنفاذ الطرق السابقة، وبعد إجراء المحاولات الإصلاحيّة ودعوات الهداية والرجوع من الضلال إلى الهدى وبعد الإعراض عن الحقّ والإصرار على الباطل من جهة الغلاة مع وضوح الحجة وبيان الشبهة.

وهؤلاء المتعصّبون الذين يلتزمون القول بالغلو مع كل المحاولات السابقة هم غالباً رؤوس الإنحراف والكفر، الذين انتخبوا هذا الطريق عن

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٩٠.

(٢) المائدة: ١١٦.

علم ويتحرّكون باتّجاه غايات لهم، لأنَّ الإصرار مع كل هذا الوضوح ـ في موقف أهل البيت عليهم السلام ـ لا يمكن تفسيره على أساس أنّه شُبهة أو إفراط في الولاء والحُبّ، لأنّهما من المسائل التي ركّز على حدودها الأئمة وبيان حدود الغلو فيها وقد وضعت المراحل السابقة معالجات وحللتها الإشكالات، واسقطنا دليل الغلاة وحجّتهم، والحجّة للمؤمنين عليهم، فإذا نمت الحجّة لم يبق إلاّ سبيلين:

أ ـ الإنقياد لمنطق العقل والشرع.

ب ـ الجحود والإصرار على الباطل.

والأوّل: هو هدف دعوات الحقّ والإصلاح. والثاني: يشكل عقبة أمام المسيرة الهائلة خصوصاً إذا كان التحرّك منظّماً، إذ يمكن أن يعتقد فرد معيّن في المجتمع بآراء متطرفة وتبقى الآراء في مساحتها الفردية وهي غير مؤثّرة ولا تقلق أو تشكّل خطورة، أمّا إذا كانت الآراء المتطرفة تتكوّن وتلتقي بشكل منظّم في تركيبة أفراده وفي كيفية دعوتهم وطريقة إرتباطهم ومنهجهم فهذا ممّا يهدد المجتمع وتركيبته العقائدية والإجتماعية، ويهدد ويقلق مَن يهمهم توجيه المجتمع الإسلامي وقيادته، ولهذا اهتمّ أئمة أهل البيت عليهم السلام في الطريقة الرابعة بتخليص المجتمع من التركيبة الغريبة التي دخلت جسم الأُمّة والتي يمكن أن تكون تشكيلاً خطيراً ومؤثّراً على التركيبة الدينية للأُمّة الإسلامية ويمكن أن يؤدّي إلى حالات خطيرة في التشويش والتحريف للعقائد والأفكار فالهدف من هذه الطريقة يمكن أن تحدّد بالنقاط التالية:

أهداف المواجهة الحادة

الهدف الأوّل ـ تنقية المجتمع الإسلامي: ذكرنا أنّ وجود مجموعة منظمة تدعوا إلى الأفكار الضالة، من المسائل الخطيرة على المجتمع الإسلامي، فإزالتها تنقية للأجواء الفكرية والعقائدية، وخلق أرضية لنموّ الأفكار والعقائد السليمة ثمّ يساهم ذلك بخلق الشخصية الإسلامية الملتزمة.

الهدف الثاني ـ إقامة حكم الله: لمّا كان الغلاة يدّعون النبوّة تارة والإمامة أُخرى وتأليه البشر وكل هذه الدعوات تؤدّي إلى الكفر وحكمها القتل فمَن ادّعى ذلك كذباً حكم الإسلام بقتله، وهكذا حكم الأئمة عليهم السلام في الغلاة.

الهدف الثالث ـ إيقاف حالة الإستخفاف بالمعتقدات: كثرة ادّعاءات النبوّة والإمامة، حتّى أصبحت من المسائل التي تذكر كطريفة، وهذا التجرؤ في ادّعاء النبوّة كان أحد أسبابه الغلاة، فإقامة حكم الله يضع حدّاً ويكون رادعاً للمستخفّين بالمعتقدات الإسلامية والشريعة الإلهيّة.

الهدف الرابع ـ إظهار حقيقتهم الإعتقادية: هؤلاء يتسترون بالإسلام ويبررون أفكارهم بآيات القرآن، وبهذا يكون خطرهم وتهديدهم للعقائد الإسلامية كبير، ولذلك إذا كشفت حقيقة اعتقادهم وجهة إرتباطهم فإنّها تؤدّي الى تسخيف آراءهم والربط الدائم من المستمع لها بأُصولها الغريبة التي جاءت منها، وبذلك لا تحتسب على الإسلام.

فقرات طريقة المواجهة الحادّة

تتألّف هذه الطريقة من خمسة فقرات:

الأُولى: إظهار إرتباطهم المشبوه

لم ينتسب الغلو إلى دين إلهي أصيل، وإنّما هو قرين التحريف والانحراف والشذوذ عن الرسالات السماوية، وما ابتليت به الأديان عبر التاريخ الرسالي، كان وليد عوامل الإنحراف والمصالح الفرديّة والحزبيّة، ومن المنحرفين عن الأديان الإلهيّة الأصيلة حاولوا النفوذ داخل المجتمع الإسلامي لبثّ سمومهم وعقائدهم المنحرفة، وكان الغلاة ممَّن لهم ارتباط بأُولئك.

وقد كشف الإمام الصادق عليه السلام ذلك يوماً لأصحابه بقوله: «**لعن الله المغيرة بن سعيد، ولعن الله يهوديّة كان يختلف إليها، يتعلّم منها السّحر والشعبذة والمخاريق**»[١].

وقال عليه السلام يوماً عن بشار الشعيري أنّه: «**شيطان بن شيطان خرج من البحر، ليغوي أصحابي وشيعتي فاحذروه**»[٢].

ويؤيّد إرتباطهم ما ذكره ابن النديم أنّ أبا عبّاس البغوي قال: «دخلنا على فيثون النصراني وكان في دار الروم بالجانب الغربيّ، فجرى الحديث إلى أن سألته عن ابن كلّاب، فقال فيثون: رحم الله عبدالله (اسم بن كلّاب) كان يجيء فيجلس في تلك الزاوية ـ وأشار إلى ناحية البيعة ـ، وعنّي أخذ هذا القول، ولو عاش لنصّرنا المسلمين»[٣]، أي لجعلناهم نصارى.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٢٨٩.

(٢) رجال الكشي: ص ٢٥٣ و٢٥٤.

(٣) الفهرست، ص ٢٥٥.

الثانية ـ كشف أهدافه

الغلاة أشدّ الناس عداءً لأهل البيت عليهم السلام، ومواقفهم من الأئمة والرسول صلى الله عليه وآله أوضح صورة على عدائهم، وأمّا ما يدّعوه من إنتساب لأهل البيت عليهم السلام ومذهبهم فهو للطعن فيهم، وتشويه سمعتهم ومقامهم في نفوس المسلمين وقد كشف ذلك الإمام الثامن من أئمة أهل البيت عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بقوله: «**يا بن أبي محمود إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة: أحدها: الغلو، ثانيها: التقصير في أمرنا، وثالثها: التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فيناكفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيّتنا**»(١)، وقال الإمام الصادق عليه السلام عن هدف آخر في حديثه: «**إنّا أهل بيت صدّيقون لا نخلوا من كذّاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس**»(٢).

الثالثة ـ البراءة منهم ولعنهم

تكررت البراءة من الغلاة على لسان جميع الأئمة عليهم السلام، وأمروا بذلك شيعتهم وقد جاء عن الإمام الرضا عليه السلام: «**لا تقاعدوهم ولا تصادقوهم وابرأوا منهم برئ الله منهم**»(٣)، وجاء عن الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام: «**اللّهمّ إنّي بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى...**»(٤)، وقد سبق ما ذكرناه براءة الرسول الكريم محمّد صلى الله عليه وآله بقوله: «**صنفان لا تنالهما شفاعتي: سلطان غشوم عسوف،**

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٦، ص ٢٣٩.

(٢) رجال الكشي: ص ٧٠.

(٣) عيون الأخبار، ص ٣٢٥.

(٤) أمالي الطوسي: ص ٥٤.

وغال في الدين مارق منه غير تائب ولا نازع»[١].

وأمّا لعنهم ـ الغلاة ـ فقد أمر أئمة أهل البيت عليهم السلام به وقاموا به أمام الناس، فقد جاء عن الإمام الرضا عليه السلام: «**لعن شخص تأثّر بأقوال يونس بن ضبيان. فقال** عليه السلام له: «**أخرج عنّي لعنك الله ولعن من حدّثك ولعن يونس بن ضبيان ألف لعنة تتبعها ألف لعنة كلّ لعنة منها تبلغك قعر جهنّم (إلى قعر جهنّم)**»[٢].

وجاء عن الإمام الباقر عليه السلام: «**لعن الله أبا الخطاب، ولعن أصحابه، ولعن الشاكّين في لعنه، ولهم من وقف في ذلك وشكّ فيه**»، وقال عليه السلام: «**يا عليّ لا تتحرجّنّ من لعنهم لعنهم الله، فإنّ الله قد لعنهم**»، ثمّ قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن يأجم أن يلعن مَن لعنه الله فعليه لعنة الله**»[٣].

الرابعة ـ الحكم بكفر الغلاة

حكم الأئمة عليهم السلام لكفر الغلاة لأنّ دعوتهم تحاول هدم عقيدة التوحيد الأساس القائم عليه جميع الأديان الإلهيّة والغاية التي بعث لأجلها الأنبياء، وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: إنّ أبي حدّثني عن أبيه، عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**صنفان من أُمّتي لا نصيب لهما في الإسلام: الغلاة والقدرية**»[٤]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**والله إنّ الغلاة لشرّ (أشرّ) من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا**»[٥].

---

(١) قرب الأسناد، ص ٣١.

(٢) رجال الكشي: ص ٢٣٢.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٢٨.

(٤) الخصال: ج ١، ص ٣٧.

(٥) أمالي الطوسي: ص ٥٤.

وعن أبي هاشم الجعفري قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الغلاة والمفوّضة، فقال عليه السلام: «**الغلاة كفّار والمفوّضة مشركون مَن جالسهم أو خالطهم... خرج من ولاية الله عزّوجلّ وولاية الرسول صلى الله عليه وآله وولايتنا أهل البيت**».

الخامسة ـ الأمر بقتل الغلاة

منح الإسلام قيمة للعقل واعتبره القوّة الصالحة للحكم على الأشياء والميزان في بيان صحّة القضايا وفسادها، ولهذا أكّد دور الحجة في الإيمان والمسؤولية.

والعقائد الإسلامية قائمة على الدليل الذي يساهم العقل في التجوال بين مقدّماته للوصول إلى الحقيقة.

وكان أهل البيت عليهم السلام يمثّلون المدرسة الإسلامية في منهج المسير إلى الحق التي يعتمد البرهان والحجّة التي شخّصها الإسلام في ميادين الصراع عند اختلاف الآراء وتنوّعها.

ومنهج التصحيح الفكري والعقائدي الذي انتخبه الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ـ كما مرَّ ـ ينشد الوصول إلى الحق بالطريقة التي تعمّق الإيمان في النفوس وتجنّبها الشكوك والخرافة، وقدّموا الحقيقة الدينية في سعة أُفق ورحابة صدر وبطريقة علميّة: ﴿**لِيَهلك مَنْ هَلَكَ عَنْ بيِّنة ويحيى مَنْ حيَّ عَنْ بيِّنة**﴾[1].

لكنّ الغلاة واجهوا دعوة الأئمة عليهم السلام بقلوب مغلقة عن الوعي وآذان

---

(١) الأنفال: ٤٢.

مسدودة عن الإصغاء للحق لا لأنّهم لديهم ما يواجهون به ولا لأنّهم اتّبعوا البرهان والقناعات التي تترتب عليه، فهم لا يملكون شيئاً منه، بل لأنّهم يريدون أن ينكروا الحق عناداً وكفراً ويحاولون بأساليبهم السطحية الساذجة خداع البسطاء من الناس وإغوائهم.

فإذا تحوّلت المسألة إلى عمل يهدف إستغفال الناس وإثارة الفوضى والتخريب والإساءة للإسلام والعقائد الإسلامية الحقّة فلم يبق إلّا سبيلاً واحداً لردعهم وهو قتلهم وهذا حكم الإسلام، وقد جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**أيُّها الناس إنّه لا نبيّ بعدي، ولا سنّة بعد سُنّتي، فمَن ادّعى ذلك فدعواه وبدعته في النار فاقتلوه، ومَن تبعه فإنّه في النار**»(١)، وتابع أئمة أهل البيت عليهم السلام دعم المصطفى صلى الله عليه وآله في ذلك فقد جاء في معتبرة ابن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ بزيعاً يزعم أنّه نبيّ، فقال عليه السلام: «**إن سمعته يقول ذلك فاقتله**»(٢).

وروى عليّ بن حديد المدائني قال: سمعت من يسأل أبا الحسن الأوّل عليه السلام فقال: إنّي سمعت محمّد بن بشير يقول: إنّك لست موسى بن جعفر الذي أنت إمامنا وحجّتنا فيما بيننا وبين الله تعالى، قال: فقال: «لعنه الله ثلاثاً، أذاقه الله حرَّ الحديد، قتله الله أخبث ما يكون من قتله».

فقلت له: جعلت فداك إذا أنا سمعت ذلك منه أوَ ليس حلال لي دمه مباح كما أُبيح دم السّابّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وللإمام؟

فقال عليه السلام: «**نعم، حلّ والله دمه وأباحه لك ولمَن سمع ذلك منه**».

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١، ص ١٨، باب ١.

(٢) وسائل الشيعة: ص ١٨. الباب ٧ من أبواب حدّ المرتد. ح ٢ و٣.

قلت: أوَ ليس ذلك بساب لك؟

فقال عليه السلام: «**هذا سابّ الله وسابّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسابّ لآبائي وسابّي، وأي سبّ ليس يقصر عن هذا ولا يفوقه هذاالقول**»؟

فقلت: أرأيت إذا أنا لم أخف أنّي أغمز بذلك بريئاً ثمّ لم أفعل ولم أقتل ما عليَّ من الوزر؟

فقال عليه السلام: «**يكون عليك وزره أضعافاً مضاعفة من غير أن ينقص من وزره شيء، أما علمت أنّ أفضل الشهداء درجة يوم القيامة مَن نصر الله ورسوله صلى الله عليه وآله، يظهر الغيب وردّ عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله**»[١].

وجاءت أحاديث كثيرة توجب على أتباع أهل البيت عليهم السلام قتل رؤوس الغلاة وتخليص المجتمع منهم ونصرة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وحماية مبادئ الإسلام.

الإمام الهادي عليه السلام يأمر بقتل الغلاة

روى الكشي: أنّ أبا الحسن العسكري عليه السلام أمر جنيداً بقتله ـ فارس ـ فقتله، وحرّض على قتل جماعة أُخرى من الغلاة كأبي السمهري وابن أبي الزرقاء (ابن الزرقاء)[٢].

وكان عليه السلام يوصي شيعته بقوله: «**فاهجروهم لعنهم الله والجأوهم إلى أضيق الطريق، وإن وجدت من أحد منهم خلوة فاشدخ رأسه بالحجر**»[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ج ٢٥، ص ٣١٢ـ٣١٣.

(٢) رجال الكشي: ص ٣٣٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٢٣.

وكتب عليه السلام ابتداءاً منه: «أبرء إلى الله من الفهري والحسن بن محمّد بن بابا القمّي فابرأ منهما فإنّي محذّرك وجميع مواليّ وإنّي ألعنهما، عليهما لعنة الله، مستأكلين يأكلان بنا الناس فتّانين مؤذين آذاهما الله وأركسهما في الفتنة ركساً.

يزعم ابن بابا أنّي بعثته نبيّاً وأنّه باب، ويله لعنه الله، سخر منه الشيطان فأغواه، فلعن الله مَن قبل منه ذلك، يا محمّد إن قدرت أن تشدخ رأسه بحجر فافعل فإنّه آذاني آذاه الله في الدنيا والآخرة»[١].

* * *

(١) رجال الكشي: ص٣٢٣.

الفصل العاشر

موقف
علماء الشيعة من الغلو والغلاة

موقف علماء الشيعة من الغلو والغلاة

إمتداداً لموقف أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقف علماء الشيعة ماضياً وحاضراً وبنفس القوّة وأفتوا بارتداد وكفر القائلين بمثل هذه المقولات الغالية.

ولعلماء الشيعة مواجهة مع الغلو تميّزت بدقّة الأداء وعمق الفكر والشعور بالمسؤوليّة.

لأنّ الغلو كان يهدد الإسلام كدين إلهي، إذ استهدف مقوماته وأُسسه وعقائده، وعندما حصل الغلاة على أنصار وإغماض من الدولة بدأوا بإعلان التحلل من الإلتزامات الشرعية على المستوى النظري والعملي وفعلوا المنكرات على مرأى ومسمع من الناس، كما فعل ذلك محمّد بن نصير لعنه الله.

فلهذا لم يكن الدفاع عن المذهب الشيعي فحسب وإن كانت بعض الشخصيات لا تدرك خطورة الأمر ولم تعي عظم المؤامرة على الإسلام، فاستغلت هذه الأحداث والأجواء العقائدية المشحونة بالشكوك والأوهام، لتوجّه قدرتها للضغط على مذهب أهل البيت عليهم السلام ونسبت هذه الأباطيل إليه.

لكنّ أتباع أهل البيت عليهم السلام لم تشغلهم هذه الإثارات التي تصدرها تلك الجهات، لأنّها ركزت قواها باتّجاه أعداء الإسلام، للمواجهة مع الغلاة لشعورهم بخطورة المسألة وضرورة المواجهة، وكانت ردود علماء الشيعة

الإمامية على أنحاء ثلاثة:

الأوّل: دحض افتراءات الغلاة بتأليف الكتب والرسائل.

الثاني: إدامة طريق المواجهة بالفتوى بكفرهم وخروجهم من الإسلام.

الثالث: إدامة منهج أهل البيت عليهم السلام والذي ذكر بفصل مستقل وكان فيه نوع من التفصيل.

أوّلاً ـ الكتب والرسائل التي ألّفها علماء الشيعة

ذكر الشيخ عبدالله نعمة مجموعة كبيرة، فمَن كتب في هذا الموضوع في بداية القرن الثالث حتّى القرون المتأخّرة، وسوف نذكر نماذج من تلك المؤلّفات:

١ ـ كتاب الردّ على الغلاة، ليونس بن عبد الرحمن المتوفى سنة (٢٠٨هـ).

٢ ـ الردّ على الغلاة، لعليّ بن مهزيار.

٣ ـ الردّ على الغالية، للفضل بن شاذان المتوفى سنة (٢٦٠ هـ).

٤ ـ الردّ على الغلاة، لمحمّد بن الحسين الصفّار المتوفى سنة (٢٩٠ هـ).

٥ ـ كتاب الردّ على الغالية، لحسن بن عليّ بن فضال المتوفى سنة (٢٣٤هـ).

٦ ـ الردّ على الغلاة، لسعد بن عبدالله الأشعري القمّي المتوفى سنة (٣٠١هـ).

٧ ـ كتاب الردّ على الغلاة، لإسماعيل بن عليّ النوبختي المتوفى سنة (٣١١ هـ).

٨ ـ كتاب الردّ على الغلاة، لإسحاق بن الحسن بن بكر المتوفى سنة (٤١١ هـ).

٩ ـ الردّ على الغلاة، لأبي الفتح محمّد بن عليّ بن عثمان الكراجكي الطرابلسي المتوفى سنة (٤٤٩ هـ).

١٠ ـ الردّ على الغلاة، لمحمّد بن الحسن بن حمزة الجعفري المتوفى سنة (٤٦٣ هـ)[١].

كانت هذه نماذج من تصدّي علماء الشيعة في بداية القرن الثالث والرابع والخامس وقبل ذلك كان الأئمة عليهم السلام قد أسسوا وشرّعوا طريق المواجهة مع الإنحراف العقائدي وبيّنوا دوافعه وأسبابه.

ثانياً ـ إدامة طريق المواجهة مع الغلو، إضافة إلى ما تقدّم بالحكم عليهم بالكفر والبراءة منهم

وهذه نماذج من فتاوى علماء الشيعة الإمامية:

١ ـ رأي الشيخ المفيد محمّد بن النعمان العكبري: (وهو من كبار فقهاء الشيعة)، و«الغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من ذرّيته عليهم السلام إلى الألوهية والنبوّة ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا ما تجاوزوا فيه الحدّ، وخرجوا عن القصد، وهم ضلاّل كفّار، حكم فيهم أميرالمؤمنين عليه السلام بالقتل والتحريق بالنار وقضت الأئمة عليهم السلام عليهم بالإكفار والخروج عن الإسلام»[٢].

٢ ـ ما قاله الشهيد الأوّل والثاني في اللمعة الدمشقية وشرحها: «والمسلمون مَن صلّى إلى القبلة إلاّ الخوارج والغلاة فلا يدخلون في مفهوم الإسلام وإن صلّوا

---

(١) روح التشيع، عبدالله نعمة: ص ١٠٠، ط. بيروت.

(٢) تصحيح الإعتقاد: ص ٢٣٨، ط. إيران.

إليها بالحكم بكفرهم»[١].

٣ ـ وقال السيّد اليزدي في العروة الوثقى: «ولا إشكال في نجاسة الغلاة والخوارج والنواصب»[٢].

٤ ـ وقال السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي: في تعريفه للكافر: «الكافر وهو الذي لم ينتحل ديناً أو انتحل غير الإسلام، أو انتحل الإسلام وجحد ما يعلم أنّه من الدين الإسلامي مطلقاً، ولا فرق بين المرتد والكافر الأصلي، والحربي، والذمي، والخارجي، والغالي، والناصب»[٣].

٥ ـ وقال الإمام الخميني ﴿ره﴾: «وأمّا الغالي فإن كان غلوّه مستلزماً لإنكار الألوهية أو التوحيد أو النبوّة فهو كافر»[٤].

٦ ـ وقال العلاّمة المجلسي: «اعلم أنّ الغلو في النبيّ ﷺ والأئمة ﵈ إنّما يكون بالقول بألوهيتهم أو بكونهم شركاء لله تعالى في العبودية أو في الخلق والرزق أو أنّهم يعلمون الغيب بغير وحي أو إلهام من الله تعالى، والقول بكل منها إلحاد وكفر وخروج عن الدين كما دلّت عليه الأدلّة العقليّة والآيات والأخبار»[٥].

٧ ـ وقال الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء: «وأمّا الشيعة الإمامية ـ أعني بهم جمهرة العراق وإيران وملايين من مسلمي الهند ومئات الأُلوف في

---

(١) اللمعة الدمشقية، كتاب الوقف: ج ٣، ص ١٨٠، ط. النجف.

(٢) العروة الوثقى: ج ١، ص ٦٨، ط. طهران.

(٣) منهاج الصالحين: ج ١، ص ١٠٩.

(٤) تحرير الوسيلة: ج ١، ص ١١٨.

(٥) شرح نهج البلاغة، ميثم البحراني: ج ٤، ص ٣٦٠.

سوريا والأفغان ـ فإن جميع تلك الطائفة ـ من حيث كونها شيعة ـ يبرأون من تلك المقالات، ويعدّونها من أشنع (أشكال) الكفر والضلالات، وليس دينهم إلاّ التوحيد المحض، وتنزيه الخالق عن كلّ مشابهة للمخلوق، أو ملابسة لهم في صفة من صفات النقص والإمكان، والتغيير والحدوث، وما ينافي وجوب الوجود والقدم والأزليّة، إلى غير ذلك من التنزيه والتقديس المشحونة به مؤلفاتهم في الكلام، من مختصر (كالتجريد، أو مطولة (كالأسفار) وغيرهما ممّا يتجاوز الألوف، وأكثرها مطبوع منتشر، وجلّها يشتمل على إقامة البراهين الدامغة على بطلان التناسخ والإتحاد والحلول والتجسيم»[١].

٨ـ **وقال السيّد محسن الحكيم:** ذكر في المستمسك العروة الوثقى عند تعليقه على قول السيّد اليزدي: «لا إشكال في نجاسة الغلاة» دعوى إجماع فقهاء الإمامية على ذلك ثمّ أردف قائلاً: «وكذا الحال لو أُريد من الغلو تجاوز الحدّ في صفات الأنبياء والأئمة، مثل اعتقاد أنّهم خالقون أو رازقون أو لا يغفلون، أو لا يشغلهم شأن عن شأن، أو نحو ذلك من الصفات»[٢].

٩ـ **وقال الشيخ محمّد رضا المظفّر:** «لا نعتقد في أئمتنا ما يعتقده الغلاة، كبرت كلمة تخرج من أفواههم، بل عقيدتنا الخالصة أنّهم بشر مثلنا لهم ما لنا وعليهم ما علينا وإنّما هم عباد مكرمون أختصّهم الله تعالى بكرامته وحباهم بولايته»[٣].

---

(١) أصل الشيعة وأُصولها. تحقيق علاء آل جعفر: ص ١٧٧.

(٢) مستمسك العروة الوثقى: ج ١، ص ٣٨٦.

(٣) عقائد الإمامية: ص ٥٧.

١٠ ـ وقال الشيخ ميرزا جواد التبريزي: «والغلاة هم الذين غالوا في النبيّ والأئمة صلوات الله عليهم وأخرجوهم عمّا نعتقد، بأن قالوا والعياذ بالله أنّهم شركاء لله تعالى في العبودية والخلق والرزق أو أنّهم يعلمون الغيب بغير وحي أو إلهام من الله أو القول بتناسخ أرواح بعضهم في بعض... وغير ذلك من الأباطيل»[١].

١١ ـ وقال الشيخ محمّد جواد مغنيّة: «اتفق المسلمون كلمة واحدة على أنّ الغلاة مشركون ليسوا من الإسلام والمسلمين في شيء، ولكن الإمامية بوجه خاص تشدّدوا في أمر الغلاة إلى أقصى الحدود، لأنّ الكثير من إخوانهم السنّة قد حملوهم أوزار الغلاة ظلماً وعدواناً، وذكروهم في كتب الفقه في باب الطهارة، حيث حكموا بنجاستهم، وذكروهم أيضاً في باب الزواج، حيث قالوا بعدم جواز تزويجهم والزواج منهم، مع أنّهم أجازوا الزواج بالكتابيات، وذكروهم في باب الجهاد، حيث جعلوهم من المشركين ـ في حالة الحرب ـ وذكروهم في باب الإرث، حيث منعوهم من ميراث المسلمين»[٢] وبهذا البيان الواضح والصريح كتب علماء الشيعة عقائدهم وبيّنوا موقفهم من الغلو والغلاة.

وهكذا على طول التاريخ الإسلامي كان موقف الشيعة الإمامية حتّى أقرّ علماء الإسلام من الفرق الإسلامية الأُخرى، وأعلنوا براءة الشيعة من هذه التهمة الظالمة.

---

(١) اعتقادنا: ص ٩.

(٢) الفقه على المذاهب الخمسة، محمّد جواد مغنيّة: ص٥٠٢.

اعتراف محمّد أبوزهرة بمواقف علماء الشيعة

ولقد شهد الإمام محمّد أبو زهرة بموقف علماء الشيعة بقوله: «هذه الفرق وأشباهها من المنحرفين في الإعتقاد لا يعدّها الشيعة من بينه ويقولون عنهم الغلاة ولا يعدّون أكثر هؤلاء من أهل القبلة فضلاً عن أن يكونوا منهم وكذلك منهم ولذلك نقول: أنّ هذه الفرق حملت اسم الشيعة في التاريخ الإسلامي وحمّل كثيرون من الكتّاب الشيعة أوزارهم وهم يتبرأون منهم كل التبرء»(١).

اعتراف ابن خلدون بمواقف الأئمة عليهم السلام

على رغم التهم الذي وجهها ابن خلدون للشيعة وعدم صدقه في هذه المسألة لكنّه لم يتمكن من إنكار موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام من الغلاة فهو يذكر الغلاة بقوله: طوائف يُسمّون الغلاة تجاوزوا حدّ العقل والإيمان في القول بألوهيّة هؤلاء الأئمة أمّا على أنّهم بشر اتّصفوا بصفات الألوهية أو أنّ الإله حلّ في ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى عليه السلام، ولقد حرّق عليّ عليه السلام بالنار من ذهب فيه إلى ذلك منهم.

«وذلك فعل جعفر الصادق عليه السلام بمَن بلغه مثل هذا عنه».

«وقد كفانا مؤونة هؤلاء الغلاة أئمة الشيعة فإنّهم لا يقولون بها ويبطلون احتجاجاتهم عليها»(٢).

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية: ص ٣٩.

(٢) مقدمة ابن خلدون: ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

السامرائي يؤكّد دور الإمام الصادق عليه السلام

أكّد الدكتور عبدالله سلوم السامرائي على دور الأئمة في مواجهة حركة الغلو الهدّامة قائلاً: «وكان للفقهاء الدور البارز في عمليّة التصدي لهذه الحركة والوقوف في وجهها وتعطيل أثرها السلبي في الحركة الإسلامية، ويبرز في هذا المجال الإمام أبو عبدالله جعفر بن محمّد الصادق الذي كان له مواقف عمليّة رائعة وجريئة في الردِّ على هؤلاء، فحينما وقف على غلو أبي الخطاب تبرأ منه، وعندما أظهر المغيرة بن سعيد بدعته وجد في نفسه في حاجة إلى شخصية من آل البيت يحمي بها نفسه فجاء إلى محمّد الباقر عليه السلام فقال: أقرر أنّك تعلم الغيب أجبي لك العراق، فنهره وطرده، ولم يأس المغيرة فجاء الإمام الصادق عليه السلام فقال له مثل ذلك، فقال له الصادق عليه السلام: أعوذ بالله. وطرده»[1].

وقال الدكتور فاروق عمر فوزي

«لقد كان الأئمة العلويون أوّل من تصدى إلى عقيدة الغلاة لأنّهم أساءوا إلى الأئمة وإلى عقيدة الشيعة، وقد تبرأ الإمام الباقر عليه السلام من المغيرة بن سعيد زعيم المغيريّة الغلاة، كما تبرأ الإمام الصادق عليه السلام من أبي الخطاب زعيم الخطابيّة الغلاة، وسار الأئمة على هذا المنهج في الردّ على الغلاة لأنّهم كانوا يدركون مآربهم الدينيّة ـ السياسيّة ـ . لقد اتبعت الدولة والمجتمع الإسلامي بعلمائه ومفكريه طرقاً عديدة للردّ على حركات الغلو، فالسلاح يقابله السلاح

---

(١) الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية د. السامرائي: ص ١٨٩ ـ ١٩٠.

والفكر يقابله الفكر، ولفظ الجسم الإسلامي هذه البؤر الغريبة، رفض الفكر الإسلامي هذه المظاهر التي حاولت العبث بقيمه ومُقله، وكان النصر حليف الإسلام الوسطي المعتدل بعدكل مجابهة مع التطرف في القرون الإسلامية المتتابعة»(١).

وقال: «وعلى الرغم من تستر هذه الفرق وراء الإسلام، وعلى الرغم من تسترها وراء الأئمة العلويين، فإنّ أمرها كان مفضوحاً بالنسبة للغاليّة من المجتمع، خاصّة وأنّ العلويين رفضوا ما ادّعته هذه الفرق من إرتباطات وفضحوا أهدافها»(٢).

---

(١) نشأة الحركات الدينية السياسية في الإسلام، فاروق عمر فوزي: ص ١٣٨، ط ١، سنة (١٩٩٩ م).

(٢)المصدر السابق: ص ١٢٧.

المصادر

- أ -

١ ـ **أنساب الأشراف**، أحمد بن يحيىٰ بن جابر البلاذري المتوفى (٢٧٩هـ).

٢ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم**، ابن تيمية المتوفى (٧٢٨ هـ).

٣ ـ **الإسلام وإيران**، الشهيد المطهري استشهد في (١٣٩٩ هـ).

٤ ـ **أقطاب القطبية ـ أو البلغة في الحكمة** ـ «إنتشارات انجمن فلسفة دانشگاه طهران».

٥ ـ **اسد الغابة**، عليّ بن محمّد بابن الأثير الجزري المتوفى (٦٣٠هـ).

٦ ـ **أصل الشيعة وأُصولها**، محمّد حسين آل كاشف الغطاء المتوفى (١٣٧٣هـ).

٧ ـ **الإمامة والسياسة**، ابن قتيبة المتوفّى سنة (٢٧٦ هـ).

٨ ـ **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، محمّد بن أحمد المقدسي المتوفّى سنة (٣٧٥ هـ).

٩ ـ **الأنوار البهية**، عبّاس بن محمّد رضا المحدث القمي المتوفى (١٣٥٩ هـ).

١٠ ـ **الأمثل في تفسير الكتاب الأمثل**، آية الله الشيخ مكارم الشيرازي (معاصر).

١١ ـ **أضواء على السنّة المحمّدية**، محمود أبو رية (معاصر).

١٢ ـ **أم القرىٰ**، عبدالرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي المتوفى (١٣٢٠ هـ ـ ١٩٠٢م).

١٣ ـ **الأدب المفرد**، محمّد بن إسماعيل البخاري المتوفّى سنة (٢٥٦ هـ).

١٤ ـ **أُصول الفقه**، الإمام عليّ بن محمّد البزدوي لمتوفى (٤٨٢ هـ).

١٥ ـ **الأمالي**، الصدوق المتوفى (٣٨١ هـ).
١٦ ـ **الاحتجاج**، أحمد بن عليّ بن أبي‌طالب الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري.
١٧ ـ **اعتقادنا**، ميرزا جواد التبريزي ط. قم.
١٨ ـ **الإمام الصادق والمذاهب الأربعة**، أسد حيدر .

ـ ب ـ

١٩ ـ **بحار الأنوار**، العلّامة المجلسي المتوفّى سنة (١١١١ هـ) .
٢٠ ـ **البابيون والبهائيون**، همايون همتي (معاصر).

ـ ت ـ

٢١ ـ **تاريخ المذاهب الإسلامية**، محمّد أبوزهرة (١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤م).
٢٢ ـ **تاريخ بغداد**، الخطيب البغدادي المتوفّى سنة (٤٦٣ هـ).
٢٣ ـ **التبيين لأسماء المدلسين**، السبط ابن العجمي الشافعي المتوفّى سنة (٨٤١هـ).
٢٤ ـ **تصحيح الاعتقاد**، الشيخ المفيد المتوفّى سنة (٤١٣ هـ).
٢٥ ـ **تاريخ اليعقوبي**، أحمد بن إسحاق بن جعفر اليعقوبي المتوفّى سنة (٢٨٤هـ).
٢٦ ـ **تاريخ الآلهة**، فاروق الدملوجي المتوفّى سنة (١٣٧٦ هـ).
٢٧ ـ **تاريخ دنياى قديم** ـ ف ـ پ كوروفكين.
٢٨ ـ **تاريخ الطبري**، ابن جرير الطبري المتوفّى سنة (٣١٠ هـ).
٢٩ ـ **تاريخ الخلفاء**، جلال الدين السيوطي المتوفّى سنة (٩١١ هـ).
٣٠ ـ **التمهيد**، أبو بكر محمّد بن الطيّب الباقلاني المتوفى (٤٠٣هـ ـ ١٠١٣م).
٣١ ـ **تحرير الوسيلة**، الإمام الخميني ﷺ المتوفى (١٤٠٩ هـ) .

- ث -

٣٢ ـ **الثقافة الإسلامية في الهند**، عبدالحسين الحسيني (معاصر).

- ج -

٣٣ ـ **جامع أحاديث الرسول**، جعفر بن أحمد القمي المعروف بابن الرازي (القرن الرابع الهجري).

٣٤ ـ **جامع الأُصول لأحاديث الرسول**، ابن الأثير الجزري (٦٠٦ هـ).

٣٥ ـ **جامع كرامات الأولياء**، يوسف النبهاني المتوفى (١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣٢م).

- خ -

٣٦ ـ **خلاصة علم الكلام**، عبدالهادي الفضلي (معاصر).

٣٧ ـ **الخصال**، الشيخ الصدوق المتوفّى سنة (٣٨١ هـ).

ـ د ت

٣٨ ـ **دائرة المعارف الإسلامية**، محمّد فريد وجدي المتوفى (١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م).

٣٩ ـ **الدولة الإسلامية والمعارضة**، يوسف بن رشيد العش المتوفّى سنة (١٣٨٧هـ).

٤٠ ـ **الدر المنثور**، جلال الدين السيوطي المتوفّى سنة (٩١١ هـ).

- ر -

٤١ ـ **رجال الكشي**، أبو عمرو محمّد بن عبدالعزيز الكشي.

٤٢ ـ **روح المعاني**، محمّد عبدالله الحسيني الآلوسي المتوفّى سنة (١٢٧٠ هـ).

٤٣ ـ **روح التشيّع**، عبدالله نعمة (معاصر).

- س -

٤٤ ـ **سير أعلام النبلاء**، الحافظ الذهبي المتوفى (٧٤٨ هـ).

٤٥ ـ **السيرة الحلبية**، عليّ بن برهان الحلبي الشافعي المتوفّى سنة (١٠٤٤ هـ).

٤٦ ـ **سيرة ابن هشام**، أبو محمّد عبدالملك بن هشام المعافري المتوفّى سنة (٢١٣هـ).

٤٧ ـ **سفينة البحار**، عباس القمي المتوفى (١٣٥٩ هـ).

- ش -

٤٨ ـ **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفّى سنة (٦٥٦ هـ).

٤٩ ـ **شرح نهج البلاغة**، ميثم بن عليّ البحراني المتوفى (٦٧٩ هـ).

٥٠ ـ **شذرات الذهب**، عبدالحي بن العماد الحنبلي المتوفى (١٠٨٩ هـ).

- ص -

٥١ ـ **صحيح الترمذي (سنن الترمذي)**، أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفّى سنة (٢٧٩ هـ).

٥٢ ـ **صحيح البخاري**، محمّد بن إسماعيل البخاري المتوفّى سنة (٢٥٦ هـ).

٥٣ ـ **صحيح النسائي (السنن الكبرى)**، أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣ هـ).

٥٤ ـ **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجّاج القشيري المتوفّى سنة (٢٦١ هـ).

- ط -

٥٥ ـ **الطبقات الكبرىٰ**، ابن سعد الزهري المتوفّى سنة (٢٣٠ هـ).

- ع -

٥٦ ـ **العروة الوثقىٰ**، سيّد كاظم الطباطبائي المتوفى (١٣٣٧ هـ).

٥٧ ـ **عبدالله بن سبأ**، سيّد مرتضى العسكري (معاصر).

٥٨ ـ **عيون أخبار الرضا**، الشيخ الصدوق المتوفّى سنة (٣٨١ هـ).

٥٩ ـ **عمدة التحقيق**، إبراهيم بن عامر بن عليّ العبيدي المالكي المتوفى (١٠٩١هـ).

٦٠ ـ **العقد الفريد**، أحمد بن محمّد بن عبدربّه الأندلسي المتوفّى سنة (٣٢٨ هـ).

٦١ ـ **عقائد الإماميّة**، الشيخ محمّد رضا المظفر المتوفى (١٣٨٣ هـ).

- غ -

٦٢ ـ **الغلو والفِرق الغالية في الحضارة الإسلامية**، الدكتور السامرائي (معاصر).

٦٣ ـ **غاليان كاوشي در جرمانها و برآيندها**، نعمة الله صفري فروشاني.

٦٤ ـ **الغدير**، عبدالحسين الأميني المتوفّى سنة (١٣٩٠ هـ).

٦٥ ـ **غرر الحكم ودرر الكلم**، أبو الفتح الآمدي المتوفّى سنة (٥١٠ هـ).

- ف -

٦٦ ـ **الفَرق بين الفِرق**، عبدالقاهر البغدادي المتوفى (٤٢٩ هـ).

٦٧ ـ **فضائل الصحابة**، أحمد بن حنبل المتوفى (٢٤١ هـ).

٦٨ ـ **الفردوس الأعلىٰ**، محمّد حسين كاشف الغطاء المتوفى (١٣٧٣ هـ).

٦٩ ـ **فجر الإسلام**، أحمد أمين المتوفّى سنة (١٣٧٣ هـ).

٧٠ ـ **الفهرست**، ابن النديم المتوفى (١٢٩ هـ).

٧١ ـ **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي**، محمد البهي (معاصر).

٧٢ ـ **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني المتوفّى سنة (٨٥٢هـ).
٧٣ ـ **فرائد السمطين**، أبو عبدالله الجويني المتوفّى سنة (٧٢٢ هـ).
٧٤ ـ **الفقه على المذاهب الخمسة**، محمّد جواد مغنية ﷺ المتوفى (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٧٩م) .

ـ ق ـ

٧٥ ـ **قصة الحضارة**، (وي وايل ديورانت).
٧٦ ـ **قرب الإسناد**، عبدالله بن جعفر الحميري من أعلام القرن توفي بعد (٣٠٤هـ).

ـ ك ـ

٧٧ ـ **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير المتوفّى سنة (٦٣٠ هـ).
٧٨ ـ **كنز العمّال**، المتّقي الهندي المتوفّى سنة (٩٧٥ هـ).
٧٩ ـ **كرامات الصحابة**: سعيد هارون عاشور (معاصر) ط ١٩٩٦١م القاهرة.
٨٠ ـ **الكافي**، أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني المتوفى (٣٢٨أو ٣٢٩ هـ).

ـ ل ـ

٨١ ـ **لوائح الأنوار في طبقات الأخيار**، عبدالوهاب بن أحمد الشعراني المتوفى (٩٧٣ هـ ـ ١٥٦٥م).
٨٢ ـ **لسان العرب**، ابن منظور المتوفّى سنة (٧١١ هـ).
٨٣ ـ **اللمعة الدمشقية**، الشهيد الأوّل محمد بن جمال الدين مكي العاملي المتوفّى سنة (٧٨٦ هـ).

- م -

٨٤ ـ **مقدمة ابن خلدون**، المتوفّى سنة (٨٠٨ هـ).

٨٥ ـ **مفردات غريب القرآن**، الحسين بن محمّد الراغب الإصفهاني المتوفى (٥٠٢هـ).

٨٦ ـ **مجمع البحرين**، فخر الدين الطريحي المتوفّى سنة (١٠٨٥ هـ).

٨٧ ـ **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى (معاصر).

٨٨ ـ **الملل والنحل**، محمّد بن عبدالكريم الشهرستاني المتوفّى سنة (٥٤٨هـ).

٨٩ ـ **المعجم الكبير**، الطبراني المتوفّى سنة (٣٦٠ هـ).

٩٠ ـ **مسند أحمد بن حنبل**، المتوفّى سنة (٢٤١ هـ).

٩١ ـ **مروج الذهب**، المسعودي المتوفّى سنة (٣٤٦ هـ).

٩٢ ـ **الميزان في تفسير القرآن**، محمّد حسين الطباطبائي المتوفّى سنة(١٤٠٢هـ).

٩٣ ـ **الموسوعة العربية الميسّرة**، محمد عليّ الأنصاري (معاصر).

٩٤ ـ **المقالات والفرق**، سعيد بن عبدالله الأشعري القمي المتوفى (٣٠٠ هـ).

٩٥ ـ **مستمسك العروة الوثقىٰ**، مرتضى البروجردي (معاصر).

٩٦ ـ **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، محمّد بن عليّ الفاروقي الحنفي التهاونوي المتوفى (١١٥٨ هـ ـ ١٧٤٥م).

٩٧ ـ **موسوعة الفِرق الإسلامية**، محمّد جواد مشكور (معاصر).

٩٨ ـ **مقباس الهداية**، عبدالله المامقاني المتوفى (١٣٥١ هـ).

٩٩ ـ **مَن هم الموحّدون**، الدكتور جميل أبو ترابي (معاصر).

١٠٠ ـ **المذاهب الإسلامية**، عبدالهادي الفضلي (معاصر).

١٠١ ـ **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم النيسابوري المتوفى (٤٠٥ هـ).

١٠٢ ـ **ميزان الإعتدال**، الذهبي المتوفّى سنة (٧٤٨ هـ).

١٠٣ ـ **مشكاة الأنوار**، أبو الفضل عليّ الطبرسي (من علماء القرن السابع الهجري).
١٠٤ ـ **مناقب آل أبي طالب**، ابن شهرآشوب المتوفى (٥٨٨ هـ).
١٠٥ ـ **المسألة القاديانية**، أبو علي المودودي (معاصر).
١٠٦ ـ **المعجزة الخالدة**، هبة الدين الشهرستاني المتوفى (١٣٨٦ هـ).
١٠٧ ـ **مجمع البيان في تفسير القرآن**، الفضل بن حسن الطبرسي المتوفى (٥٤٨ هـ).
١٠٨ ـ **مناقب أحمد بن حنبل**، ابن الجوزي المتوفى (٥٩٧هـ).
١٠٩ ـ **معارف القرآن من خلال الحواميم السبعة**: الشيخ جواد الآملي دار الصفوة ط ١ (١٤١٥ هـ).
١١٠ ـ **مناقب عليّ بن أبي طالب**، موفق ابن أحمد المكي الخوارزمي المتوفى (٥٦٨هـ).

ـ ن ـ

١١١ ـ **نشأة الحركات الدينية السياسية في الإسلام**، فاروق عمر فوزي (معاصر).
١١٢ ـ **النهاية**، ابن الأثير الجزري المتوفّى سنة (٦٠٦ هـ).
١١٣ ـ **النكت الاعتقادية**، الشيخ المفيد المتوفى (٤١٣ هـ).
١١٤ ـ **نزهة المجالس**، عبدالرحمن بن عبدالسلام بن عثمان الصفوري الشافعي المتوفّى سنة (٨٩٤ هـ).

ـ و ـ

١١٥ ـ **الوزراء للجهشياري**، المتوفّى سنة (٣٣١ هـ).
١١٦ ـ **وسائل الشيعة**، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي المتوفى (١١٠٤ هـ).

ـ ي ـ

١١٧ ـ **الياقوت في الوعظ**، أبي فرج عليّ بن الجوزي (٥٩٧ هـ).

الفهرس

الفصل الثّالث: مقالات الغلو

الفصل الرّابع: المؤرّخون والربط السيّئ

الفصل الخامس: مناشئ وأهداف الغلو

الفصل السّادس: الغلو عند غير الشيعة من المسلمين

الفصل السّابع: توقيت نشاط الغلاة

الفصل الثّامن: المنهج القرآني في مواجهة الغلو

الفصل التّاسع: أهل البيت عليهم السلام في مواجهة الغلو

الفصل العاشر: موقف علماء الشيعة من الغلو والغلاة